

رجاء جارودى
الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
ومحاورات جارودى بالقاهرة
الناشر
دار الغد العربى

دار الغد العربى

سلسلة « كتاب الغد » ٥

رجاء جارودى

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

ومحاورات جارودى بالقاهرة

ترجمه عن الفرنسية

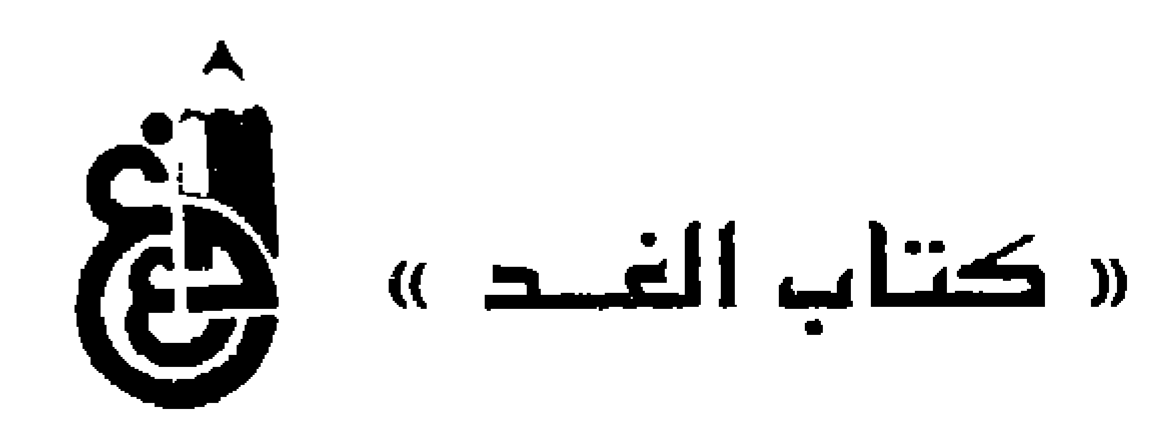
قسم الترجمة - بدار الغد العربى

الناشر

دار الغد العربى

٣ ش - دانش - العباسية

ت: ٢٨٥٦١٢٢ - ٢٩٧٣٨٧ - القاهرة



سلسلة غير دورية تهتم بالقضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية التى تهم القارئ العربى....

المشرف العام على السلسلة

حمدان جعفر

الغلاف بريشة الفنان : عبد الكريم غيته

العنوان الأصلى للكتاب

Roger Garaudy

Les Mythes fondateurs de la politique israélienne

SAMISZDAT
Roger Garaudy
1996



كلمة الناشــــر

لقد كان روجيه جارودى ، المفكـر الفرنسى المعروف ، والذى اعتنق الإسـلام منـذ عشـر سنوات وتسمى بـاسم رجـاء جـارودى ، من كبـار رجـالات الحزب الشيـوعى الفرنسى حيـث كان عضـوا بارزا فى لجنتـه المركـزية . ونـاضل منذ شبـابه فـى صفوف هذا الحـزب ، وله فـى هذا المضـمار كتاباتـه ومؤلفاته العديدة . ولكنـه ما إن اهتدى إلى الإسلام ، وذاق حـلاوتـه عن علم ومعـرفـة ، حتى انبـرى يكتب عن هـذا الـدين الحنيف ويدافع عنـه وعن تعاليمه فى ديار الغرب ، ولـه فى ذلك أيضا صولاته وجولاته التى مازالت تثير الجدل والنقاش .

ومن عجائب المفـارقات ، بل ومن محـاسن الصُّدف أن يقيض الله للعـرب وللفلسطينيين خاصـة من يـدافع عن حقـوقهم التاريخيـة ومن ينادى بـالعدالـة ورفع الظلم عنهم . فقـد كرّس رجـاء جارودى حيـاته ووقفها على جليل الأعمـال التى تدعو إلى رفعـة أمة الإسلام و إيقـاظها من سباتهـا وتذكيرها بعظمـة حضارتها وبما لهـا من أفضال على العلم والعلماء . ولقد جلب هذا عليه الكثيـر من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسـالى الشرق ، غيـر أنه لم يحد عن طـريق الحق رغم مزاعم المتهـافتين والحاقدين الذين ادعـوا زورا وبهتانا أنه قـد ارتد عن

الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط . ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، فى الوقت الذى شنت عليه الصهيونية وأتباعها فى الغرب حربا شعواء .

إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير «مجازر لبنان : معنى العدوان الإسرائيلى»، والذى وقّعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية «ليكرا» وهى جمعية صهيونية دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية . ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة . ونجحت فى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى . وهى نفس التهمة التى يقف جارودى فى الوقت الحالى بسببها أمام المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذى صدر عام ١٩٩٠، والذى يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية .

ففى أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه : إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها .

ولقد حاول جارودى فى كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمى الذى يؤكد على أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودى. وقد نجحت هذه الحملة فى تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده، فى حين إنه لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثر الشخصيات الدينية شعبية فى فرنسا، وعرف بمواقفه الشجاعة فى الدفاع عن الفقراء والمساكين والأجانب. فهو مؤسس جمعية «عمواس» الخيرية التى تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمى المسكن وتخفيف وطأة الفقر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب الجليل فى الأيام الأخيرة لحملة ضارية من الصحافة لوقوفه فى صف واحد مع صديقه جارودى، وأسقطت عنه جمعية «ليكرا» المذكورة عضويتها الفخرية، فاضطر وهو فى سن الرابعة والثمانين إلى الابتعاد عن باريس، والهجرة إلى الجبل لتفادى الملاحقات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف.

●●●

ويحتوى الكتاب على ثلاثة أجزاء، فضلا عن مقدمة وخاتمة. فالجزء الأول يتناول «الأساطير اللاهوتية» ويعالج الجزء الثانى موضوع «أساطير القرن العشرين» أما الجزء الثالث فقد كرسه للحديث عن «الاستخدام السياسى للأسطورة». وفى تمهيده لهذا الكتاب يتساءل جارودى: لماذا هذا الكتاب؟ ويرد على ذلك بأنه جزء من ثلاثية خصصها لمحاربة التطرف لدى جميع الأديان السماوية. واستطرد يقول: إن هذا الجزء ينصب على الأساطير التى قامت عليها السياسية الإسرائيلية، . وقد حاولت شجب ما فيها من هرطقة سياسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، وإن دولة إسرائيل ما هى إلا «رد الرب على الهولوكوست». ثم قال: «إن هذا الكتاب يحافظ بأمانة على النقد السياسى والأيديولوجى دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مساهمة منا فى معركة التوصل إلى سلام حقيقى يقوم على احترام الحقيقة التاريخية والقانون الدولى، وتفعيل التاريخ النقدى للعالم المعاصر».

والواقع أن الذى أثار حفيظة اليهود والصهاينة فى الغرب هو كلامه عن معسكر أوشفيتز. وعن التشكيك فى رقم ٦ ملايين يهودى من ضحايا الحرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة.

●●●

وإن لمن دواعى سرور [دار الغـــد العربى] أن تقدم هذا الكتاب القيم لقراء العربية . . ولشباب هذه الأمـة بوجه خاص هذه الأمة التى لن تموت أبدًا . . مهما حاولت الصهيونيـة العالمية ، والاستعمار الأمريكى الجديد . . وإذا كـانت هذه الحقيقة التى نعيشهاأتشهد تـرديًا لا مثيل له فى تاريخ هذه الأمـة إلا أن الغد المشرق لهذه الأمة سـوف ينبلج صباحه عما قـريب ، وسوف تنهض الأمـة من غفوتهـا حاملة رسـالتها السـامية وحضارتها العـريقة لتعيد صياغـة الحياة على أرض العرب من المحيط إلى الخليج بـالحريـة والحق والعدل والكرامـــة وإن غدًا لناظـــره قريب . . .

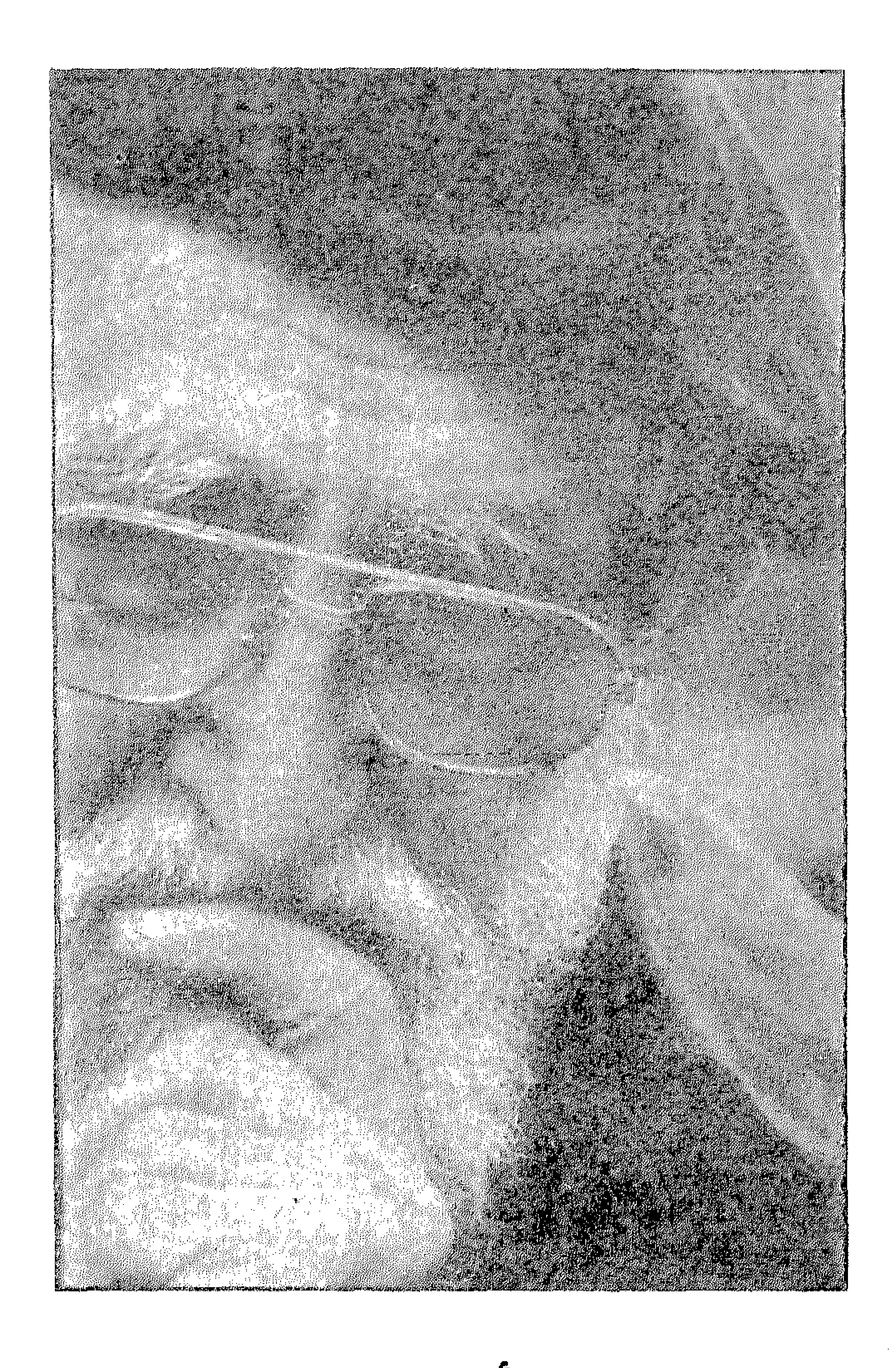
حمدان جعفر

مدير عام دار الغد العربى

●●●



رجاء جارودي



الأب بيير



الأساطير المؤسّسة
للسياسة الإسرائيليــة

تنويه من المؤلف

« إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة، لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية، التى يدافع عنها الآن قانون «جيسو فابيوش الغاشم» الذي صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث وجعلت قانونا قمعيا يعوض ضعف الحجج».

●●●

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهـرطقة . وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسـة بإضفاء القـداسة عليها عـن طريق قراءة حـرفية وانتقـائية للكلام المنزَّل .

وهذا هو المرض القاتل فى نهايـة هذا القرن الذي سبق لى أن عرَّفته فى كتابى عن التطرف الدينى .

ولقد حاربت هذه النـزعة لدى المسلمين فى كتابي «**عظمة الإسلام وانحطاطه**» مجازفـا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقـولَ «إن التطرف الدينى هو مرض الإسلام» .

وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين فى كتابى «**نحو حرب بين الأديان**» ، مجازفا بأن أغضب كـل من لا يحبون أن أقول «**إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى**» .

وأنـا أحـارب هـذه النـزعـة الآن لـدي اليهـود فى كتـابى «**الأساطير المـؤسِّسة للسيـاسـة الإسرائيليـة**» مجـازفـا بأن أثير ضـدى عـواصف الصهاينة ــ الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكِّرهم الحـاخام هيرش بأن «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيـانا قوميا . . وتلك هى الهرطقة» .

[المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة فى ٣ أكتوبر ١٩٧٨] .

فمـا هى الصهيونيـة التى أدينها وأفضحهـا علنا فى كتـابى «وليست

الديانة اليهودية»؟ .

وهى غالبا ما عرَّفت نفسها بنفسها :

١ ـ إنها عقيـدة سياسية «منذ ١٨٩٦ ، ارتبطت الصهيونية بـالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل » .

[المصدر : موسوعـة الصهيونيـة وإسرائيل . دار هـرتزل، نيـويورك ١٩٧١ ، المجلد الثانى ، الصفحة ١٢٦٢] .

٢ـ إنها عقيدة قومية لـم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر . ولـم ينتسب مؤسس الصهيونية، هرتزل، إلى الدين «إننى لا أنقاد لأى دافع دينى» .

[المصدر : تيودور هرتزل : اليوميات ، طبعة فيكتور جولانسز ، ١٩٥٨] .

«فأنا لا غنوصى (أى أنه من اللاادرية)» [ص ٥٤٠] .

فهو لا تهمـه الأرض المقدسـة بوجـه خاص : فهو يقبـل أيضا ومن أجل أهدافـه القوميـة ، بأوغندا أو طـرابلس أو قبرص أو الأرجنتين ، أو موزمبيق ، أو الكونغو. [المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق].

ولكن أمام معـارضة أصدقـائه من أصحاب الديـانة اليهوديـة ، فإنه يعى أهمية الأسطـورة القوية ، كمـا يقول [اليـوميات ، المجلـد الأول، ص ٥٦٠]التى «تؤلف صيحة للمّ الشعث ذات قوة لا تقهر» .

[المصدر : هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٤٥٠].

إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله . وهو ماصرح به عندما حوّل أسطورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية : «إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ينسى . . وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لمٍّ الشمل القوية لشعبنا » .

[المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٢٠٩].

« إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية . . إنها مسألة قومية » .

٣ ـ إنها عقيدة استعمارية . وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه : فكخطوة أولى ، تحقيق « شركة ذات امتيازات »، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى ، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية .

ولذا فإنه توجه نحو من اتضحت مهارته في هذا النوع من العمليات : المتاجر الاستعمارى سيسيل رودس ، الذى استطاع انطلاقا من شركته ذات الامتيازات تحويلها إلى دولة جنوب إفريقيا ، التى كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه : روديسيا .

فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩٠٢ ما يلى :

« أرجوك أن ترسل إلىّ نصا يقول إنك قد فحصت برنامجى وأنك توافق عليه . وقد تتساءل لماذا أكتب إليك يا سيد رودس . ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى » .

[المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص ١٠٥].

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هى الخصائص الثلاث التى تشرح السياسة الصهيونية التى انتصرت في مؤتمر بازل فى أغسطس ١٨٩٧، والتى انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلى، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: «لقد أسست الدولة اليهودية» [المصدر : اليوميات، ص ٢٢٤].

وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التى سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسى (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية).

ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأى حال من الأحوال امتداداً للديانة والروحانية اليهودية.

ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التى كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكونية للأنبياء.

«إننا نشجب تماما أى مبادرة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية. وإن أى محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطىء لرسالة إسرائيل..

التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها . . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومى ، ولكن روحى . . فهو يشير إلى عصر مسيحى حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لإنشاء مملكة الرب على الأرض» .

[المصدر : المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين ، الكتاب السنوى السابع ، ١٨٩٧ ، صفحة ١٢] .

وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من « رابطة حاخامات ألمانيا » ، وحتى « الاتحاد الإسرائيلى العالمى لفرنسا » ، «والاتحاد الإسرائيلى » في النمسا ، وكذلك الرابطات اليهودية في لندن .

وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية ، المستوحاة من التمسك بروحانية الديانة اليهودية ، ما فتئت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى ، المخاصمات والمشاحنات التى دارت بين الدول في الأمم المتحدة ، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة ، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة ، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى ، من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الإسرائيلية الصهيونية ، على عكس ما كان متوقعا . ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين .

ولم يتوقف مارتن بوبر ، أحد الأصوات اليهودية الكبرى في هذا

القـرن، طوال حيـاته، وحتى وفـاتـه في إسرائيل، عن شجب انحـلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية .

فقد أعلن مارتن بـوبر في نيويورك: « إن الشعور الـذى اعترانى منذ ستين عامـا، عندما انضممت إلى الحركـة الصهيونية، هو في جـوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم . . لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخـرين ـ وأن تبدأ بآمـال عريضة لكى لا تتـردى بعد ذلك حتى تصبح نزعـة أنانية مقـدسة، تجاسرت ـــ كموسولينى ـــ أن تعلن نفسها أنانية مقـدسة، كما لو كـانت الأنانية الجماعيـة تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية .

وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟ .

لقـد كـان التنـاقض بين الهـدف ووسائل بلـوغـه سببـا في انقسـام الصهاينة: فالبعض أراد أن يحظى بامتيـازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخـرون، ولا سيمـا الشبـاب، أرادوا فقط السمـاح لهم بـالعمل فـي فلسطين مع جيـرانهم، مـن أجل فلسطين ومـن أجل المستقبل . .

ولكن كل شيء لم يكن يسير على مـا يرام في علاقاتنـا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية .

وهـذه المـرحلة العضـويـة من الاستيطـان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر.

وهتلـر الـذى دفع بجمـوع اليهـود إلى الـذهـاب إلى فلسطين، لا بالنُّخَب التى جاءت لمواصلة حيـاتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضـوى الانتقائى هجرة جماعية ومـا استلزمه ذلك من إيجاد قوة سيـاسية لسلامها وأمنها. . وقد فضلت غـالبية اليهود أن يتعلموا من هتلـر بدلا من أن يتعلموا منـا. . ولقد برهن هتلـر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القـوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقـاب. . وهذه هى الحالة التى كـان علينا أن نحاربها. . . . وفي « إيهـود » اقترحنا ألا يكتفى اليهـود والعرب بـالتعايش ولكن أن يتعـاونوا. . وذلك بمقـدوره إحداث تنميـة اقتصاديـة في الشرق الأوسط، وبفضلـه يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الإنسانية ».

[المصدر : النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨].

وفي بيانه الذى ألقاه أمام المؤتمر الصهيونى الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال: إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى. . .

ولكن إذا مـا كـانت روح إسـرائيـل ليست شيئًـا آخـر سـوى تخليق هويتنـا القومية، وتبريـر جميل لأنانيتنا الجماعيـة. . التى تحولت إلى صنم معبـود، بـرفضنـا قبـول إلـه آخـر سـوى رب السمـوات، نكـون

كـالشعوب الأخـرى، ونشـرب معهـم من الكأس التى تسكـرهـم فالأمـة ليست هى القيمة العليا . . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة : إنهم أعضاء في جماعة مؤمنة .

« لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها ، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هى ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر. وهـذا الشكل الجديد للرغبـة في الأرض هى الخلفية التى آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب . .

وما هو دور فكرة «اختيـار إسرائيل» في كل ذلك؟ فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى المصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين، ولكن من رسالـة ومن منطلق مسئولية إنجاز مهمة لم يفتأ الأنبياء يذكّرون بها : إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله ، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة » .

وختم حديثه بذكر تلك « الأزمة القـومية » للصهيونية السياسية التى تعتبر تحريفا لروحانية الديانة اليهودية ، قائلا :

« كنا نأمل في أن ننقـذ القومية اليهوديـة من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود . ولكننا قد أخفقنا » .

[المصدر: مـارتن بـوبـر، إسرائيل والعـالم . نيـويـورك، ١٩٤٨ ، الصفحة ٢٦٣].

وقد اعتبـر الأستاذ جـوداس ماجنيس ، رئيس الجـامعة العبـرية فى

القدس منـذ ١٩٢٦ ، أن « برنامج بلتيمور » لعـام ١٩٤٢ ، الذى قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين « سيؤدى إلى حرب ضد العرب » .

[المصـدر: نورمـان بنـويش، من أجل صهيـون. سيرة جـوداس مـاجنيس ، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا، ١٩٥٤ ، الصفحة ٣٥٢] .

« وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هـذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منـذ ٢٠ سنة ، قال : إن الصـوت اليهودي الجـديد يتكلم عبر فوهات البنادق . . . وهذه هي التوراة الجديدة لأرض إسرائيل . لقد تكبل العالم بقيود جنـون القوة المادية . وليحفظنـا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون . إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبيـر من الشتات القـوى . وكنا نعتقد زمن الصهيـونية الرومـانتيكية ، أن صهيون ينبغي افتداؤه بـالاستقامة والنـزاهة . ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئوليـة هذه الغلطة ، وهذا التحول . . حتى من لم يوافقوا على تصـرفات الإدارة الملحدة ، ولكنهم ظلوا قـاعدين مكتوفى الأيدى . إن تخدير المعنى الأخلاقى يؤدى إلى الضمور والهزال » .

[المصدر : المرجع السابق ، ص ١٣١] .

والواقع أنـه منذ إعلان بلتيمور، كان القـادة الصهاينة في أمـريكا قد حصلـوا على أكبـر حـامٍ لهم : الولايـات المتحـدة . وقضت المنظمـة الصهيونيـة العالمية على معـارضة اليهود الأمنـاء على التقاليد الـروحية لأنبياء إسرائيل ، وطالبت بإنشــاء ليس فحسب « وطن قومى يهودى فى

فلسطين »، طبقا لنصوص (بل ولروح) إعلان بلفور، ولكن بإنشاء دولة يهودية في فلسطين.

وقد سبق لألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجه:

« في رأيي فإنه من المعقول أكثر التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مشتركة ومسالمة، بدلا من إنشاء دولة يهودية. وإن إحساسي الذاتي بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لها حدودها، وجيشها ومشروعها للسلطة الدنيوية مهما كانت متواضعة. وأخشى من الخسائر الداخلية التي قد تتكبدها اليهودية بسبب قيام قومية ضيقة في صفوفنا.. وإننا لم نعد يهود عصر المكابي. ومجرد أن نصبح أمة بالمعنى السياسي للكلمة يساوي أننا سنحيد عن روحانية طائفتنا التي ندين بها لأنبيائنا».

[المصدر: الحاخام موشي مينوهن: انحلال اليهودية في زمننا، ١٩٦٩، صفحة ٣٢٤].

ولم تنقصنا رسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولي.

وسنكتفي هنا بذكر مثالين اثنين على ذلك، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكم التفتيش الفكرية للوبي الإسرائيلي ـ الصهيوني: ففي عام ١٩٦٠، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس، أعلن المجلس الأمريكي لليهودية:

« وجه المجلس الأمريكى لليهودية أمس الإثنين خطابا إلى السيد كريستين هرتر ينكر فيه حق الحكومة الإسرائيلية في التحدث باسم اليهود كافة .

ويعلن المجلس أن اليهودية هى مسألة دين وليست مسألة جنسية» .

[المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦٠].

وفي ٨ يونيه ١٩٨٢ ، كتب الأستاذ بنيامين كوهين، من جامعة تل أبيب، وأثناء غزو الإسرائيليين الدامى للبنان، إلى الأستاذ بيرفيدال ناكيه(١):

« أكتب إليك وأنا استمع إلى راديو الترانزيستور الذى أعلن « أننا » في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان: وهو ضمان السلام لأهالى الجليل. وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز، تجعلنى كالمجنون. ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضارية، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتها، لا علاقة لها بأى شيء، لا بحادث الاغتيال الذى وقع في لندن، ولا بأمن الجليل . . ولا اليهود، أبناء إبراهيم . . هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوة والوحشية، هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقساوة؟ إن أكبر نجاح للصهيونية هو « عدول اليهود عن

---

(١) وهو أستاذ فرنسى يهودى مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون.

اليهودية» . . .

وأرجوكم أيها الأصدقاء أن تقوموا بكل ما فى وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهى العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والإسرائيليين كبشر » .

[المصدر : خطاب منشور في جريدة « لموند » بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص ٩] .

« الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الإسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية ـ نازية » .

[المصدر: ايعدوت احرونوت، ٢ يوليه ١٩٨٢ ، ص ـ ٦] .

وهذا هو رهان المعركة بين الديانة اليهودية التوراتية وبين القومية الصهيونية ، التى تقوم مثلها في ذلك مثل أى قومية ، على رفض الآخر وتقديس الذات .

فكل قومية في حاجة إلى تقديس ادعاءاتها : فبعد تفكك المسيحية ، ادعت كل دولة ـ أمة أنها قد تلقت الإرث المقدس وأنها حازت على الولاية من الرب :

ففرنسا هى « البنت البكر للكنيسة » ، والتى بها تتم أفعال الرب . وألمانيا هى « فوق الجميع » لأن الله معها . وأعلنت إيفا بيرون « أن رسالة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العالم » ، وفى عام ١٩٧٢ ، تكهن

بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصرى، وأخذ يهذى بعبارات مثل «لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة» . . . وتشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات.

وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة.

فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع : جوهر النبوءة (دار كلمان ليفي، ١٩٨٢، ص ـــ ٣١١)، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكوني للتحالف : تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول : إن إسرائيل هى وبامتياز « علامة التاريخ الإلهى في العالم. فإسرائيل هى محور العالم، وهى العصب والمركز والقلب ». [ص ـ ٣١١].

ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، « بالأسطورة الآرية » التى أسست أيديولوجيتها الجرمانوية والهتلرية. وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر.

والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه : فلا يمكن التحاور مع هتلر ولا مع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفوهم القَسْرى مع الإله، لا يترك أى مجال للآخر.

ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن

الحـوار يقتضى ، وهو مـا لا نملُّ من تـرديـده ، أن يعى كل إنسان منـذ البداية ما ينقصـه من إيمان ، وأنه في حاجة إلى الآخـر لسد هذا الفراغ لديـه ، وهو شرط كل تفـوق على الذات ، وكل رغبة في الكمـال (وهو روح كل إيمان حيٍّ) .

فإن مختاراتنـا هذه عن الجـريمة الصهيونيـة يسير في امتـداد جهود هؤلاء اليهود الذين حـاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومنـاصرتها ضد الصهيونية القبلية .

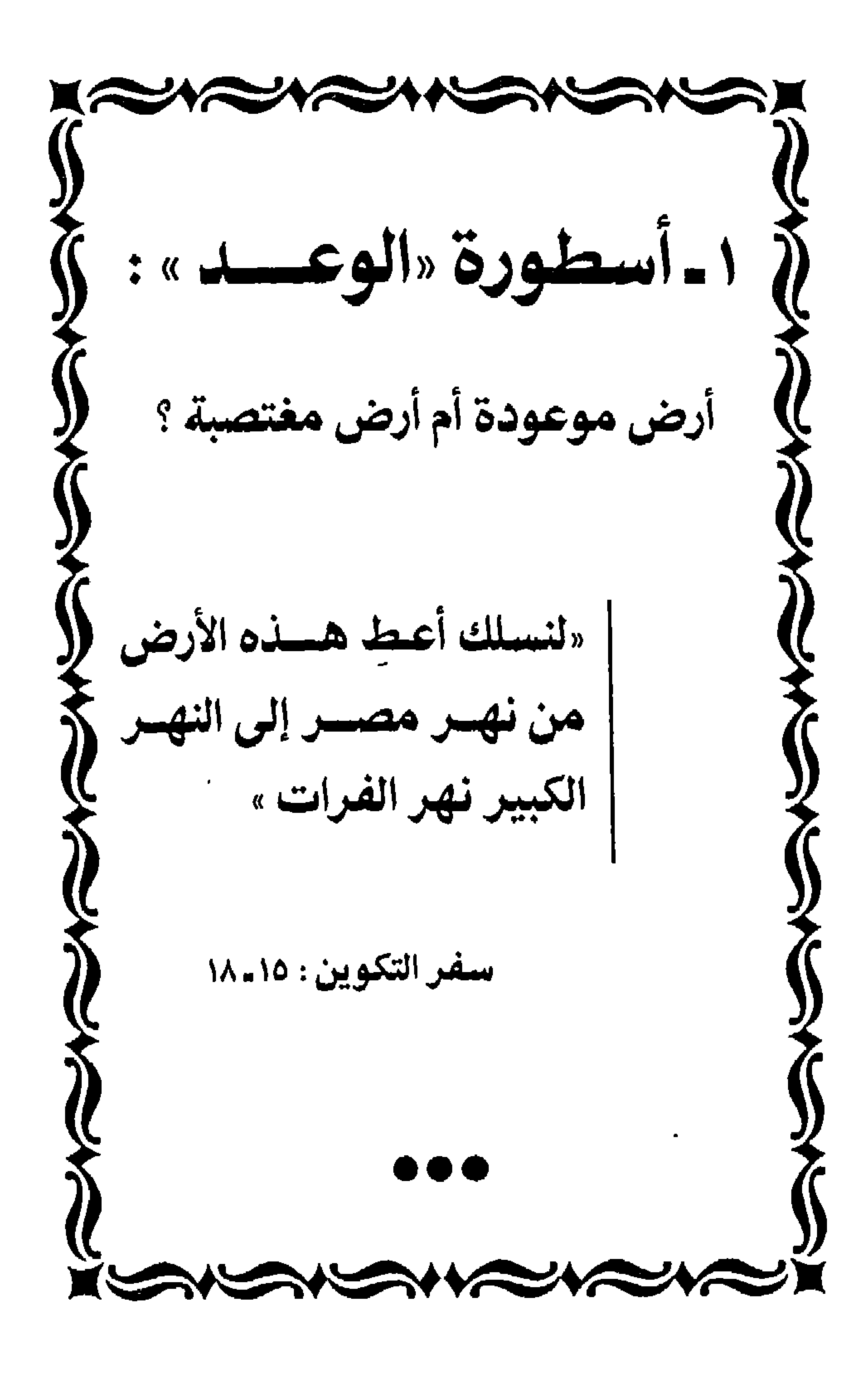
وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقـد سياسة العدوان والإفك والدم التى تمـارسها الصهيـونيـة الإسرائيليـة بل التأييـد غيـر المشروط لهـذه السياسة التى أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمـة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفى ، وما يضعها فوق كل قانون دولى بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم .

●●●



أولا

الأساطير اللاهوتيـــة



١ ـ أسطورة «الوعـــد» :

أرض موعودة أم أرض مغتصبة ؟

«لنسلك أعطِ هــذه الأرض
من نهــر مصــر إلى النهــر
الكبير نهر الفرات»

سفر التكوين : ١٥ ـ ١٨

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

«إذا كنـا نملك التوراة، وإذا كنـا نعتبـر أنفسنا شعب التـوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضى التوراتية».

الجنرال موشى ديان، جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

● فى ٢٥ فبراير ١٩٩٤، قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم يصلون فى الحرم الإبراهيمى .

● وفى ٤ نوفمبـر ١٩٩٥، اغتال إيجال عامير إسحـاق رابين «بأمر من الرب» ومن جماعته المسلحة، التى تنادى بإعدام كل من يفرط فى الأرض المـوعودة «ليهـودا وسامـرا» (الضفة الغـربية حـاليا) ويسلمهـا للعرب .

أ) **فى التفسير المسيحى :**

يـوجـز البيـردى بـورى، أستاذ العهـد القـديم فى كليـة الـلاهـوت البـروتستانتيـة فى جنيف، رسالتـه للدكتـوراه «الوعـد الإلهى والخرافـة الشعـائريـة فى أدبيـات يعقـوب»، التى نـاقش فيهـا كبـار المـؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البـرخت آلت ومارتن نوت، على النحو التالى :

«إن المـوضـوع التوراتى لهبة البلاد يستمـد أصوله من «الـوعد الأول» أى الوعد الإلهى لإبراهيم بحسب المأثـور فى سفر التكوين . فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا فى مرات عـديدة وبأشكال مختلفة : إن الله وعد

الآباء وذرايتهم بملكيـة الأرض التى كانوا فى سبيلهم إلى التـوطن فيها . وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شىء على المناطق الواقعة حاليا فى الضفة الغربية .

ويعرض القصاصون التوراتيون علينـا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصـور المحددة تحـديدا دقيقـا . فهم يـدخلون كل الـذكريـات والتواريخ والخـرافات والحكـايات والأشعار التـى وصلتهم والتى نقلها لنـا التراث الشفهى ، ضمن إطـار محـدد للأنسـاب والتأريخ . ويتفق معظم المفسرين المحـدثين على أن هذه الصورة التاريخيـة ما هى إلا صورة وهمية إلى حد كبير .

وقد برهنت أعمال البرخت آلـت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متواليـة (الآباء ـ السخرة فى مصر ــ غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعى .

وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعـاصرة وفقا لمقولة البيردى بـورى ، كتبت السيـــدة فـرنسـواز سميـت ، عميـدة كليـة الـــلاهـوت البروتسانتية فى باريس تقول :

«إن البحـوث التـــاريخيـة الأخيـرة تـوصلت إلـى تقليص العـروض الكـلاسيكيـة للخـروج من مصـر ، وغـزو كنعان ، .والـوحـدة القـوميـة الإسرائيلية قبل المنفى ، وصورتها على أنها قصة خرافية ، فعلم التاريخ التوراتى لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه» .

[المصدر: فرنســواز سميت : البروتستانت والتوراة وإسـرائيل منذ عام ١٩٤٨ ـ

مجلة لالتر، نوفمبر ١٩٨٤، رقم ٣١٣، ص ٢٣] .

لقد قدمت السيدة فرانسواز سميت ــ فلورانتان توضيحا صارما لأسطورة الوعد فى كتابها : «الأساطير غير الشرعية، دراسة حول الأرض الموعودة» لابور وفيديس، جنيف، ١٩٩٤ .

ويستطرد البيردى بورى قائلا : إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى على أنه إضفاء للشرعية ـ بعد الأحداث ـ على الغزو الإسرائيلى لفلسطين، أو على أنه امتداد للسيادة الإسرائيلية فى عهد داود. بعبارة أخرى، فقد أدخل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبى الداودى والسليمانى .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء :

١ ـ الوعد بالأرض، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البدو الرحل التى كانت تطمح إلى الاستقرار فى مكان ما بالمناطق الصالحة للسكنى. وبمقتضى هذا، فإن الوعد كان جزءا من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة .

٢ ـ أما وعد الرُّحَّل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسى أو العسكرى لمنطقة أو لبلد بأكمله، بل الاستقرار فى منطقة محدودة .

٣ ـ وفى الأصل، فإن الوعد المعطى للآباء والذى تحدث عنه سفر التكوين، لم يقطعه يهوى (الرب الذى دخل فلسطين مع مجموعة

الخروج)، ولكن الرب الكنعانى ايل فى إحدى أقانيمه المحلية. والرب المحلى، مالك الأرض، هو وحده الذى يستطيع أن يمنح للرُّحَّل حق الاستقرار فى أراضيه.

٤ ـ وبعد ذلك، وعندما تجمعت القبائل الرُّحَّل التى استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل «شعب إسرائيل»، فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادا سياسية وعسكرية «وقومية». وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو، فُهِمَ على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائى لفلسطين، وكإعلان و إضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء :

«بينما يرجع وعد «الرُّحَّل»، الذى يهدف إلى توطين عشيرة موحدة، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد «القومية». ونظرا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحد إلا بعد استيطانها فى فلسطين، فإن إعادة تفسير وعد الرحل ليصبح وعدا بالسيادة السياسية، قد تمت بعد الأحداث. وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥ ـ ١٨/ ٢١، الذى يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة «بين نهر مصر (= وادى العريش) والنهر الكبير نهر الفرات» وعلى جميع الشعوب التى تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود.

وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكيد على أن توسيع وعد الرحل

وجعله وعدا «قوميا» قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا .

ولقـد عاش القصـاص يهـويا ، الـذى يعتبـر أول قصاص كبيـر (أو بالأحرى : محرر الأحاديث) للعهد القديم ، فى عصر سليمان . ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهـدا على هذه العقود التى تحقق فيها وعد الآباء ، الذى أعيد تفسيره في ضوء داود ، بما يفوق كل الآمال .

ونص سفـر التكـوين ١٢ ـ ٣ ب ، هـو نص مـن تلك النصـوص الأساسية لفهم أعمـال يهويا . ووفقا لهذا النص ، فإن بركـة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع «قبائل الأرض» . وقبائل الأرض هـم أولا كل الشعوب التى كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية .

وهكذا فإننا لسنـا فى حِل من التأكيد على أنه فى فتـرة ما من فترات التاريخ ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان . ومن النـاحية القانونية ، فإننا لا نملك أى صك للهبة موقَّعة من «الله» ، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر فى أن المنظر الـوارد فى سفر التكوين ١٢ ـ ١/ ٨ ؛ ١٣ ـ ١٤/ ١٨ ، على سبيل المثال ، لا يعكس حادثة تاريخية .

فهل من الممكن ، والحال هذه ، تفعيل وعـد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعـد هو استخدامـه كصك من صكوك الملكية أو لـوضعه فى خدمة المطالبات السياسية ، فهو قطعا ليس كذلك .

فليس هناك أى سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه .

ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل» .

[المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التى ألقيت فى ١٠ فبراير ١٩٧٥ فى كريت ــ بيرارد (سويسرا) والتى نشرت فى مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية، العدد ٣، ١٩٧٦ (مونبلييه)] .

ب) فى التفسير اليهودى للنبوءات :

(محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة «من أجل اليهودية» فى الولايات المتحدة) .

إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب .

إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أو على الأقل قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل .

وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات .

أ ـ أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأرض التى كان لها فى حد ذاتها صفة القداسة .

فالمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب، فى وقت كانت فيه هذه العلاقة

قد قطعت من جانب الملك وشعبه .

وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح ، «استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب ، وقادة بيت إسرائيل ، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر ، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمَّامات من الدم والقدس بجرائمكم . . . . إن صهيون سَيُحرث كالحقل ، وستصبح القدس (أورشاليم) كومة من الأطلال ، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام» .

المصدر: ميشا الثالث، ١ ـ ١٢ .

لن يكون صهيون مقدسا ، إلا إذا سادت شريعة الله . وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التى استنت للقدس هى شريعة مقدسة .

ب ـ وليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص لها : فإن الشعب الذى أعيد توطينه فى صهيون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التى للعلاقة مع الرب .

ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية ، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران إسرائيل .

. . . وتوضح تقاليد النبوءات بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تُربتها ، ولا على شعبها ، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض .

والأمر الوحيد المقدس والجدير بصهيون، هو التحالف الإلهى الذى تعبِّر عنه مواقف شعبه.

ومع ذلك فإن دولة إسرائيل الحالية ليس لها أى حق فى ادعاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحى. . .

فهذه هى محض غوغائية التربة والدم.

فلا الشعب بمقدس ولا الأرض بمقدسة وهما ليسا جديرين بأى امتيازات روحية فى العالم.

إن النزعة الشمولية الصهيونية التى تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودى، حتى ولو بالعنف والقوة، تجعل من هذا الشعب شعبا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها».

[المصدر: الحاخام ألمر برجر: «النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل»، محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن (هولندا) فى ٢٠ مارس ١٩٦٨].

●●●

ولم يكن إيجال عامير، قاتل إسحاق رابين، بعربيد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية.

فهو ابن حاخام، وطالب ممتاز فى الجامعة الإكليركية بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة فى الجولان، ويحتفظ فى مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الذى اغتال منذ عدة شهور فى الخليل، ٢٧ من العرب وهم

يصلون). وهو لاشك قد شاهد فى التليفزيون الرسمى الإسرائيلى، العرض الكبير الخاص بجماعة «إيال» (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية، تيودور هرتزل بأن «يعدموا أى شخص يفرط للعرب فى أرض الميعاد» فى يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا).

ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التى اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميثولوجية المتطرفين الصهيونيين؛ وكما يقول عامير: «إن الأمر بالقتل جاءه من الرب»، كما كان يحدث فى عهد يشوع.

[المصدر: لموند، ٨ نوفمبر ١٩٩٥].

وهو لم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلى: فإن المستوطنين فى قرية إربا وحبرون (الجليل) كانوا يرقصون فرحا يوم اغتيال رابين وهم يرددون مزامير داود حول الضريح المقام على شرف باروخ جولدشتين.

[المصدر: جريدة ألبيس (أسبانيا) الصادرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٥، ص ـ ٤].

لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته، من أنه «قد حارب طوال حياته من أجل السلام» (وهو الذى قاد جيوش الاحتلال فى بداية الانتفاضة وأعطى الأوامر بكسر عظام أيدى أطفال الأراضى الفلسطينية الذين لم يكن يملكون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم).

ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين فى فيتنام والفرنسيين فى الجزائر) أن أى حل عسكرى نهائى غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله.

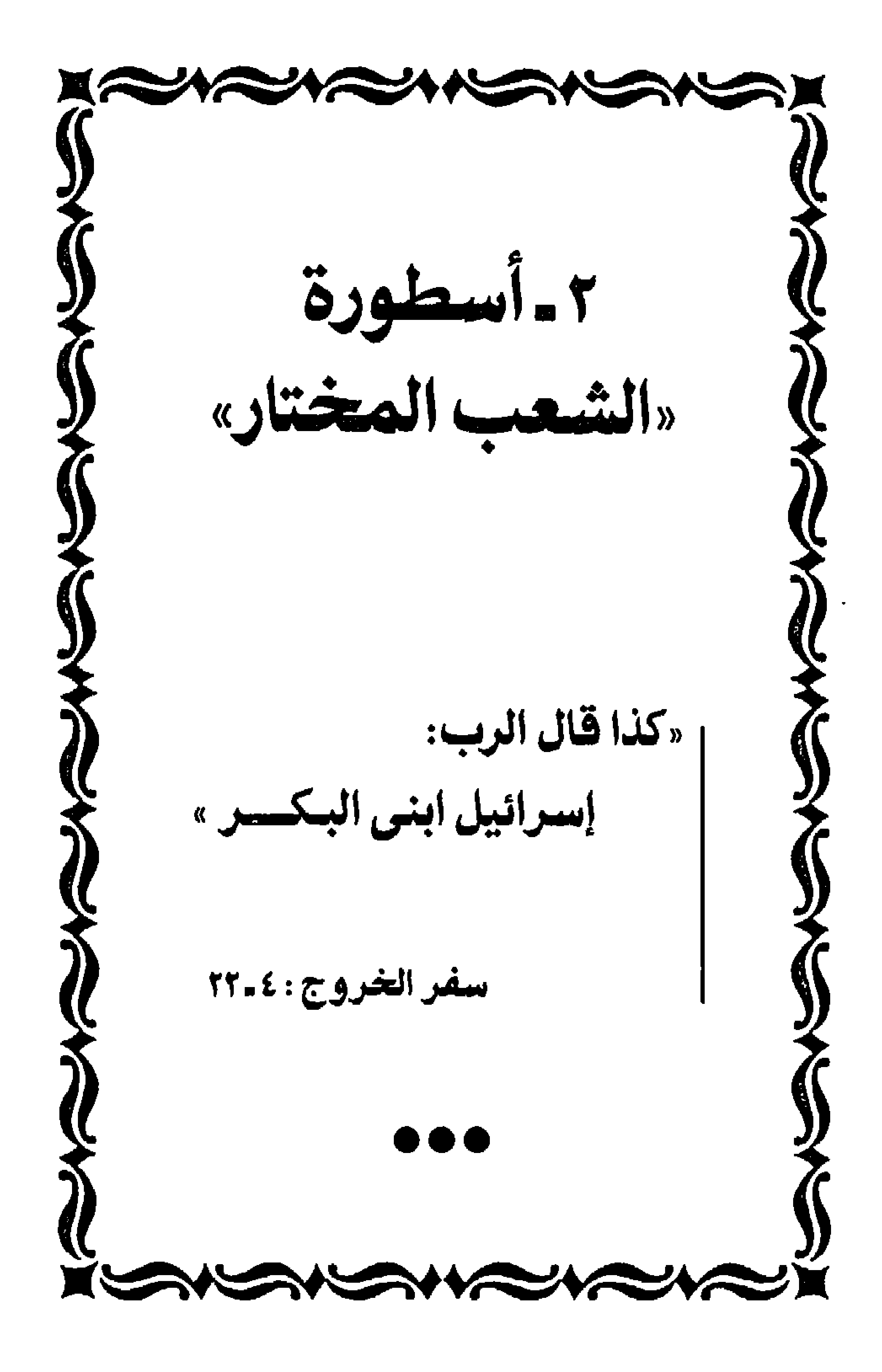
ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلال ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على «المستوطنات» المسروقة من الأهالى الأصليين والتى أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد.

ولقد كان هذا كثيرا بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه «بالخائن».

لقد كان رابين ضحية أسطورة «أرض الميعاد» كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهى ذريعة ألفية للاستعمار الدموى.

ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة.

●●●



٢ ـ أسطورة «الشعب المختار»

«كذا قال الرب:

إسرائيل ابنى البكـــر »

سفر الخروج : ٤ ـ ٢٢

●●●

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● «يمكن توزيع سكـان العالم بين إسرائيل وبين الشعـوب الأخرى برمتها. فإن إسـرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أسـاسى من أركان العقيدة» .

[المصـدر: الحاخـام كـوهين فى كتـابه «التلمـود»، بـاريس، ١٩٨٦، ص ـ ١٤٠].

هذه الأسطورة هـى الإيمان دون أى أساس تاريخى، بأن الـوحدانية قد ولدت مع العهد القـديم. وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتهـا وهما : يهوى وإيلوهى، لم يكن أى منهما وحدانيًا : فقد كانا ينـاديـان فقط بتفوق الإله العبرانى على سائر الآلهة، وغيـرتـه عليهم [سفـر الخـروج ٢٠، ٢ ــ ٥]. ورب مـوآب. كِمُش، معتـرف به (سفـر القضـاة ١١، ٢٤ وسفر الملـوك الثـانى، ٢٧) مثل «الآلهة الأخرى» (سفر صموئيل الأول، ٢٧، ١٩) .

وقد أضـافت ترجمة مجمع الكنـائس حاشية جاء فيهـا : «منذ زمن بعيد، كـان الاعتقاد سـائدا فى إسرائيل بوجـود آلهة أجـانب وقوتهم» . (ص ٦٨٠، حاشية د) .

ولم يحـدث إلا بعـد المنفى، ولا سيمـا لـدى الأنبيـاء أن ثبتت الوحدانية، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج : «لا يكن لك آلهـة أخرى تجـاهى» (الخـروج، ٢٠، ٣) إلى صيغ لا تكتفى بفـرض الطـاعة ليهـوى وليس لـلآلهـة الآخرين وهـو مـا تكـرر فى سفر تثنيـة

الاشتراع : «لا تتبع آلهة أُخر» (السادس ، ١٤)، وتنادى : «أنا الرب ، لا إلـه غيرى» (اشعيـا ، ٤٥ ، ٢٢) . وهذا التأكيـد الذى لا يقبل الجـدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق . م (بين ٥٥٠ و ٥٣٩).

فالوحـدانية فى واقع الأمر هى ثمرة عملية نضج طـويلة للحضارات الكبرى فى الشرق الأوسط ، حضارة ما بين النهرين وحضارة مصر.

واعتبارا من القـرن الثالث عشر قبل الميـلاد ، أمر الفرعون أخنـاتون بإزالة كلمة «رب» من جميع المعابد . وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقـريبا فى المـزمـار ١٠٤ . وكانت الـديـانة البـابليـة فى طريقهـا إلى الـوحـدانية ؛ وفى حـديثـه عن الـرب مـردوك ، عدد المـؤرخ أولبـريت خطوات هذا التحول : «عندمـا تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هى إلا تجليـات لإله واحـد . . لم يبق سـوى خطوة واحـدة لبلوغ نـوع من الوحدانية» .

[المصدر: أولبريت ، الأديان فى الشرق الأوسط ، ص ـ ١٥٩].

و «الأنشودة البابلية للخلق» (التى يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه «الخطوات الأخيرة» : «إذا كان البشر قد انقسمـوا حول الآلهة ، فبـالنسبة لنا ، وبكل الأسمـاء التى سميناهم بها ، فإنه هو ربنا» .

وقـد بلغ هذا الـدين تلك الـدرجة من السـريـرة حيث تظهر صـورة العادل المتألم :

«أود أن أمدح رب الحكمـة . . فإن الإله قـد تخلى عنى . . . وكنت أظن إننى فى خدمة الرب، ولكن المقـادير الإلهية، فى قاع اليم، فمن يفهمها؟ .

فمن هو إذن، إن لم يكن مردوك، هو رب البعث» .

[المصدر: المرجع السابق، ص ٣٢٩ ـ ٣٤١] .

أما صورة أيوب، فهـى سابقة عليها بعدة قرون . وثمـة صورة مماثلة للعـادل المتألم، وهى صورة دانيـال (وهى غير مـا جاء فى التـوراة العبريـة) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء، التى سميت «التوراة الكنعانيـة» وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بدانيال بجانب أيوب (حزقيال ١٤، ١٤ و ٢٠) .

وتلك مقـولات لا يتفـوق معنـاهـا الـروحى أبـدا على الفحص التاريخى .

وتلك على سبيل المثـال الحال مع المقـولـة الرائعـة بشأن مقاومـة الاضطهاد والتحرر التى وردت فى سفـر الخروج . ولا يهم فى شيء ألاَّ يعتبر «عبـور بحر البـوص بمثابة حـدث تاريخى»، كمـا يقـول مـرشياً إيلياد [١]، وهو لا يخص كافة العبـرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين .

(١) مرشيا إيلياد، «تاريخ العقائد والأفكار الدينية»، الجزء الأول ص ١٩٠ .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفى هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . .

بعد تفعيله و إدماجه فى التاريخ المقدس ليهوا (٢) .

وابتداء من عام ٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر الزراعية الكنعانية لعيد الفصح فى الربيع : عيد بعث أدونيس. ومن ثم أصبح الخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية .

وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب : فالتيهان الطويل فى القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك «مكسيكا» التى لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذى فتح أمامها الطريق. وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأسفار المُسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية .

وقد ارتبط استقرار القبائل الرُّحَّل أو المتجولة وخاصة فى الشرق الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة .

وثمة أساطير حفَّت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذى عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود فى كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا .

وقد ولدت أناشيد مدح الرب فى جميع الأديان، مثل المزامير

---

(٢) المرجع السابق، ص ـ ١٩١ .

المؤلفة على شرف باشاماما، آلهة أو إله قبائل ألانكا.

فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا، فلماذا لا نطرح حول هذه النصوص المقدسة، التى تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة «العهد القديم»، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة ؟

وحينئذ فقط، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح، ستبلغ كونيتها الحقيقية: فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية. إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود .

إننا لم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التى نشأت فى أحضانها الوحدانية، وتشكل داخلها العبرانيون .

وفى حضارات أخرى، غير غربية، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير.

وعلى سبيل المثال فى الهند فى نصوص الفيدا .

«إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم» (أنشودة ريج - فيدا الثالثة، ٧).

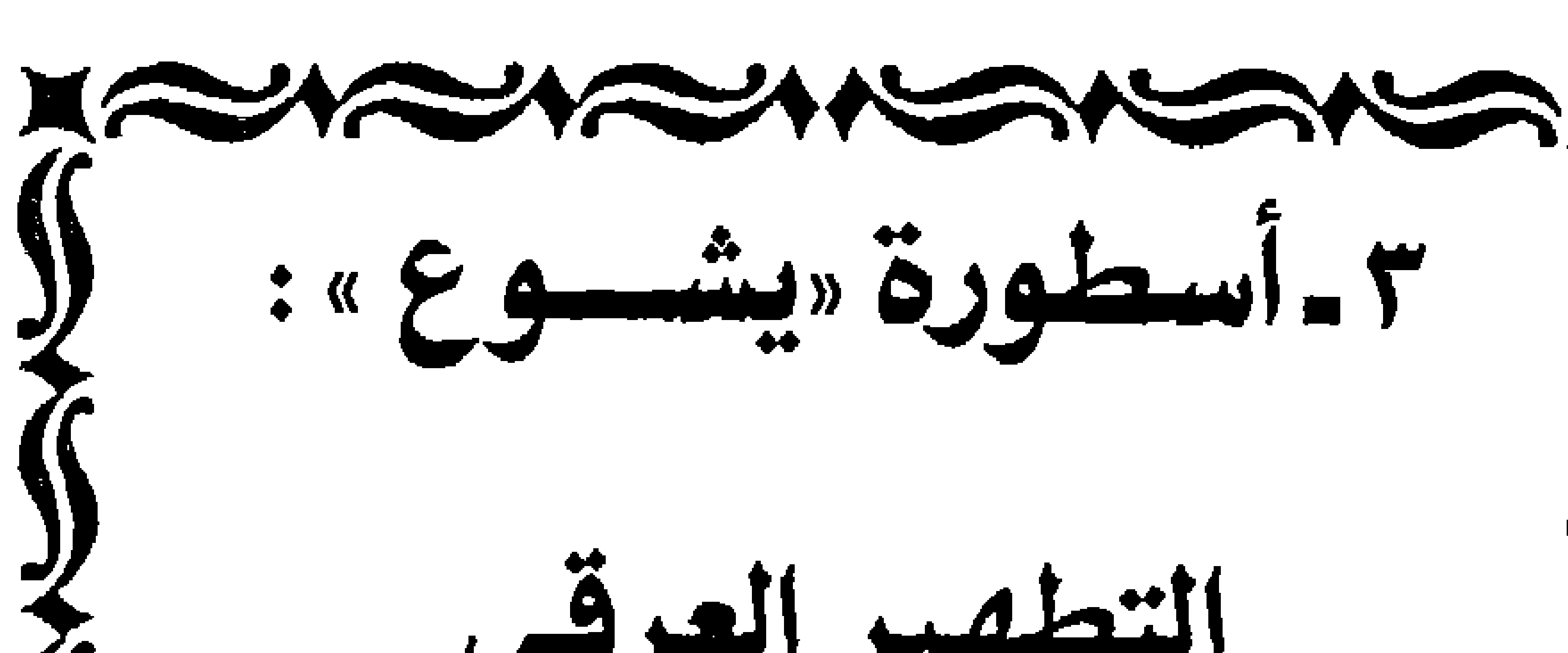
وفريهاسباتى: «إنه أبانا الذى يحتوى كل الآلهة» (الثالث، ١٨) .

«تعددت أسماؤه ولكنه واحد».

فهذه النصوص المقدسة يتراوح تاريخها بين القرن السادس عشر والسادس قبل ميلاد المسيح، وكان الأب مونشانان يسميها «أشعار الطقوس المطلقة».

[المصدر: جول مونشانان: الحياة الروحية فى الهند، وخفايا الدين المسيحى. الصفحات ٢٣١ ـ ٢٣٩].

●●●



٣ ـ أسطورة «يشـــوع» :

التطهير العرقى

«واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون، ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش.. وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون.»

سفر يشوع : ١٠ـ٣٤

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

● فى ٩ أبـريل ١٩٤٨ ، أباد مناحم بيجين ومعـه وجدات أرجـون العسكرية ، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفـــال .

●●●

لن نناقش الفصل الخاص بالحفريات الأسطورية فى التاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه ، لتبرير سياسة مَّا ، إلا في حالة خاصة هي الاستخدام الذرائعى للروايات التوراتية ، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حاسما في مصير الغرب بتغطية العمليات الدموية منذ اضطهاد اليهود من قبل الرومـــان ، ثم المسيحيين ، وحتى الحروب الصليبية ، ومحاكم التفتيش ، والتحالفات المقدسة ، والهيمنة الاستعمارية التى مارستها « الشعوب المختارة » ، وحتى عمليات الابتزاز التى مارستها دولة إسرائيل ، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لوبياتها ، وخاصة بأقوى لوبى لها وهى الولايات المتحدة ، التى تلعب دورا هاما في سياسة آمريكا للسيطرة العالمية والعدوان العسكرى .

هذا هو السبب في اختيارنا لهذا الماضى الأسطورى الذي يوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا .

●●●

وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التى أمر بها « رب الجيوش»، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة «بتحالف جديد » مع دانيال.

وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبىء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان والأنبياء، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية: « أن يصبح إنسانا لكى يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها ».

ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس « بالقانون » اليهودى ، ولكن « بعطية » مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الإنسان. «فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الإيمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله» (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثاني ، ٨).

إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذى يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه: أى الأسفار الخمسة الأولى: التكوين، والخروج ، والأحبار ، والعدد ، وتثنية الاشتراع ، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهى سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوءى الفخيم الذي يذكِّر دائما بأن « علاقة الله بالإنسان » مشروطة وعالمية

وأنها مرتبطة بطاعة القانون الربانى وأنها مفتوحة أمام جميع الشعوب وكل الناس .

●●●

وأسفار التوراة والكتب التاريخية هى بمثابة تجميع خطى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القرن التاسع ، ونُسَّاخ سليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها ، والتى مع ذلك لا سبيل هناك للتحقق منها بالمقارنة أو المقابلة التاريخية ، أو بالأطلال الأثرية ، ولا بوثائق أخرى سوى الكتابات التوراتية . . ويتعلق الحدث الأول الذى أكدته التواريخ الخارجية بسليمان ، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية .

وإلى هنا ، لا توجد أية مصادر خارجية أخرى غير الكتابات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها .

وعلى سبيل المثال ، فإن الآثار الأركيولوجية في حور بالعراق ، لا تمدنا بأية معلومات إضافية عن إبراهيم ، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام .

وفي سفر « العدد » (الفصل الحادى والثلاثون ، ٧ ـ ١٨) .

يقال لنا إن مآثر « بنى إسرائيل »، الذين هزموا المدينين ، « فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر» « وسبى بنو إسرائيل نساء مدين » « وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار » .

وعنـدما عـادوا إلى موسى ، « فسخط مـوسى على وكلاء الجيش وقـال لهم مـوسى هل استبقيتم الإنـاث كلهـن ، فـالآن اقتلـوا كل ذكــر من الأطفال وكل امـرأة عرفت مضاجعـة رجل اقتلوها ، وأما إنـاث الأطفال اللواتي لـم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم » . (١٤ ـ ١٨) .

وتابـع يشـوع ، خليفة مـوسى ، وفي أثناء غـزوه لكنعان ، وبطـريقة منهجية ، سياسة « التطهير العرقي » التي أمر بها رب الجيوش .

« وفتح يشـوع في ذلك اليـوم مَقيـدة وضـربهـا بحـد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التي فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا . ثم اجتـاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيـدة إلى لبنة وحـاربهـا . فأسلمهـا الـرب أيضـا إلى أيـدي إسـرائيل وهي وملكهـا فضربـوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيهـا فلم يُبقوا فيها باقيـا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا . وجـاز يشوع وجميع إسرائيل معه . من لبنة إلى لاكيش ونـزل عليها وحـاربها . فأسلم الـرب لاكيش إلى أيدى إسرائيل فـافتتحوهـا في اليوم الثـاني وضربـوها بحد السيـف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربـه يشوع هـو وقومـه حتى لم يبق منهم بـاقيا . واجتاز يشـوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلـون ونزلوا عليها وحاربوهـا وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها في ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش . وصعد يشـوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها ».

[المصدر: سفر يشوع، الفصل العاشر، ٣٤ ـ ٣٨].

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد « عمليات الإبادة المقدسة » التى وقعت في الضفة الغربية.

وينبغى لنا، أمام هذه الأحاديث، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما:

١ ـ الأول بشأن صحتها التاريخية.

٢ ـ والثانى بشأن عواقب التقليد الحرفى للإشادة. بسياسة الإبادة.

أ) وعن النقطة الأولى:

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥٠ ثم هُجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سُكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابر العصر البرونزى الوسيط التى استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شيء هناك ينتسب إلى القرن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث.

وكانت النتيجة التى توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من

المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

[المصدر: ك . م : كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧، الصفحات ٢٥٦_٢٦٥].

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن توجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآى، فقد كانت هناك أطلال تعود إلى ١٢٠٠ سنة .

[المصدر: الأب دي فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١ ، المجلد ١ ص . ٥٦٥].

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أى يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة المتمثلة في موسى ويشوع؟

وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان) : «فسمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم» (العدد، الحادى والعشرون، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: «فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولوا على بلاده . » (العدد، الحادى والعشرون، ٣٥) .

ويكرر سفر تثنية الاشتراع : « وإذا أدخلك الرب، إلهك الأرض التى أنت صائر إليهـا لترثها واستأصل أمما كثيـرة . . فأبسلهم إبسالا (الفصل السـابع، ١ ـ ٢) . « فـلا يقـف أحـد بين يـديك حتى تفنيهم » (الفصل السابع، ٢٤) .

ومن شارون إلى الحاخام مائير كـاهانا ، فذاك تجسيد للطريقة التى سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين .

ألم تكن مسيـرة يشوع هى مسيرة منـاحم بيجين عندمـا قضى في ٩ أبريـل ١٩٤٨ على سكان ديـر ياسين ، من الـرجال والنسـاء والأطفال البـالغ عددهم ٢٥٤ نسمـة ، وقتلهم هو وجنـود « الأرجون » لكى يفـر العرب العُزَّل مذعورين .

[المصدر: مناحم بيجين : العصيان، تاريخ الأرجون، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٠] .

فهو لم يطلب إلى اليهود، « ليس فحسب طرد العرب ، بل الاستيلاء على كل فلسطين » .

وألم يكن طريـق يشوع هى التى أشار إليهـا موشى ديـان : « فإذا كنا نمتلك التـوراة ، وإذا كنـا نعتبـر أنفسنـا شعب التـوراة ، فينبغى لنـا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة »؟

[المصدر: جيروزاليم بوست، ١٠ أغسطس ١٩٧٧] .

وألم يكن طريق يشـوع هو الطريـق الذى وضعه يـورام بن بورات في الجريدة الإسـرائيلية الكبرى أديعوت أحرونوت، الصـادرة في ١٤ يولية

١٩٧٢ : « لا صهيونيـة واستعمار للـدولة اليهـودية بـدون إبعاد العـرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم »؟

أما وسـائل وأساليب هـذا الاستيلاء علـى الأرض فقد حددهـا رابين عندما كان جنرالا على الأراضي المحتلة : تكسير عظام ملقى الأحجار من أطفال الانتفاضة .

فماذا كـان رد فعل المدارس التلمودية في إسـرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المبـاشرين عن مذبحة صبرا وشاتيـلا وهو الجنرال رفـائيل إيتـان الـذى نـادى «بزيـادة تحصين المستـوطنـات اليهـوديـة القائمة» .

وبنفس هـذا اليقين، انـدفع الـدكتـور بـاروخ جـولـدشتين، وهـو مستوطن من أصل أمريكى، من قرية أربـه « الضفة الغربية » وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجـرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمى . كان باروخ عضوا في جماعـة متطرفة تأسست برعاية أريل شـارون (أى تحت حمايـة من قاد مـذابح صبرا وشـاتيلا والـذى كـوفـىء على جـريمتـه بتعيينه وزيـرا لـلإسكـان، ومكلفـا بتنميـة المستـوطنـات في الأراضي المحتلـة)، وهــو الآن مـوضع تبجيل المتطرفين الـذي يأتون إلى قبره بـالزهور وينحنون لتقبيلـه، فهو الأمين على تقاليـد يشوع الراميـة إلى القضاء على كل شعـوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم .

●●●

وهذا التطهيـر العرقى الـذي يمارس بشكل منتظم في دولـة إسرائيل

اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقى الذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دم دنس من دماء الآخرين.

وفي السطـور التى تلى أمـر الرب بـالقضـاء على السكان، يـوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفر الخروج، الفصل الرابع والثلاثون، ١٦).

وفى سفر تثنية الاشتـراع فإن الشعب المختار (الفصل السابع، ٦) لا ينبغى لـه الاختلاط بـالآخرين: «ولا تصـاهـرهم ابنتك لا تعطها لابنـه وابنته لا تأخذها لابنك» (الفصل السابع، ٣).

وهذا الفصل العنصـرى هو الطريقـة الوحيدة لمنع تـدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذى يربطه به.

وظل هذا الانفصـال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه «التلمود»[١] كتب الحاخـام كوهين يقول: يمكن توزيع جميع سكـان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء. فإسرائيل هو الشعب المختار».

ولم يتقاعس عـزرا ونحميا، عقب عـودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى:

فقد بكى عزرا لأن الجنس الطاهـر (كذا!) قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

---

(١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦، صفحة ١٠٤.

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى: « جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين » (عزرا ، الفصل العاشر، ٤٤). ويقول نحميا عن اليهود: « فطهرتهم من كل غريب » (نحميا، الفصل الثالث عشر، ٣٠).

ومرض الخوف من الاختلاط ورفض الآخر قد تجاوز البعد الجنسى. فرفض دم الآخر بالزواج المختط، يعنى رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته.

وهكذا فإن «يهوا» ينفجر غضبا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة، والتى لا يوجد غيرها طبعا: فسوفونيا يقاتل ويحارب كل أشكال الملابس الأجنبية؛ ونحميا ضد اللغات الأجنبية: « وفى تلك الأيا م أيضا رأيت يهودا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات، وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية بل بلسان شعب وشعب، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالا ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم ». (نحميا، ١٣ ، ٢٣ ـ ٢٥).

ومن يخالف ذلك، يتعرض للمحاكمة القاسية، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب: « وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاق قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حِث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حِث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فمالى والحياة ». (التكوين، ٢٧ /

٤٦). وصاح والدا شمشون فزعا من زواج ابنهما من فلسطينية: « فقال له أبوه وأمه، أليس في بنات إخوتك وفي شعبي كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القُلْفِ: فقال شمشون لأبيه: بل إياها تأخذ لي لأنها حَسُنَت في عيني». (القضاة، ١٤ / ٣).

ويؤكد حاييم كوهين، الذى كان قاضيا بالمحكمة العليا في إسرائيل أنه: « من سخرية الأقدار المريرة أن تستخدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التى روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل «دولة إسرائيل» (انظر جوزيف بادى، القوانين الأساسية لدولة إسرائيل، نيويورك، ١٩٦٠، ص ـ ١٥٦).

والواقع أن المسألة قد طرحت أثناء محاكمة مجرمى الحرب في نورمبرج، لدى استجواب منظّر الإجناس جيولوس ستريشر:

« في ١٩٣٥ وأثناء انعقاد مؤتمر الحزب في نورمبرج صدرت القوانين العنصرية». فهل تم استدعاؤك أثناء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة، وهل اشتركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين ؟.

ورد المتهم ستريشر: أجل ! اعتقد أننى شاركت في ذلك وإننى منذ سنوات وأنا أكتب أنه ينبغى في المستقبل منع أى اختلاط للدم الألمانى بالدم اليهودى. وقد كتبت عدة مقالات في هذا المعنى، وكررت دائما أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهودى، الشعب اليهودى،

كنمـوذج . وأعـدت في مقـالاتى أن اليهـود يجب اعتبـارهم كنمـوذج للأجنـاس الأخرى، لأنهم يتبعون قـانونا عنصريـا ، هو قانـون موسى ، الـذي يقـول : إذا ذهبـت إلى بلـد أجنبي ، ينبغي لك ألا تأخــذ امـرأة أجنبية» . وهـذا أيها السادة ، على درجة كبيـرة من الأهمية للحكم على قـوانين نـورمبـرج ، فهى قوانيـن يهوديـة أخـذت كنمـوذج . فهى أصل الحفاظ على الهويـة اليهودية التى عاشت طـوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت » .

[المصـدر: محـاكمة كبار مجـرمى الحرب أمام المحكمـة العسكرية الـدولية (نورمبرج : ١٤ نوفبر ١٩٤٥ ـ أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمى باللغة الفرنسية)] .

وهكـذا وضـع المشرِّعـون والمستشارون فـي وزارة الداخليـة النازيـة قوانين نـورمبرج ، وحق أهالى الـرايخ ، وحماية الدم الألمـانى والشرف الألمانى » .

ويعلق هؤلاء المستشارون والمشرِّعون على هذا قائلين :

« بناء على رغبـة هتلر (الفـوهرر) ، فإن قـوانين نورمبـرج لا تستلزم حقيقـة اتخاذ تـدابير من شأنهـا أن تزيـد من حدة التعصب العنصـرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك ، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقـات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى . وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج» .

وهـذه العنصـريـة ، نمـوذج كل أنـواع العنصـريـة الأخـرى، هى أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المختلفة.

وأدت الحرفيـة إلى التمادى في المتجـازر التى قام بهـا يشوع: « إن مستوطنـى أمريكا مـن البروتستنت الأطهار، كـانوا في سبيـل الاستيلاء على أراضى الهنـود ومطـاردتهم، وهـم يتـذرعـون بيشـوع » وعمليـات الإبادة المقدسة » للعمالقة والفلسطينيين.

[المصدر: توماس نلسـون، « أطهار ماسا شوشتش اليهودية، المجلد السادس عشر، رقم ٢ ، ١٩٦٧].

وتندرج أيديولوجية « الترنسفير » أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبـادة الكنعانيـة والخوف من الاختـلاط ، وتسانـدها الآن غـالبية حاخامات يهودا وسامرا. وتقوم هـذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصـوص المقدسـة ، مثل الخطـاب المـوجه من الأحبـار إلى اليهـود يستحلفونهم فيها عدم ممـارسة اختلاط الأجناس (الأحبـار ١٩ / ١٩). وأمرهـم بـالتمييز بين الدم الطاهر والـدم الدنس (الأحبـــار ٢٠ / ٢٥)، والذى ميّز بين إسرائيل والشعوب الأخرى (الأحبار ٢٠ / ٢٤)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (الخروج ٨ / ١٩).

وهكذا لـم يتـورع الحاخـام الأكبر سيتروك أن يقـول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أى جهة من الجهات:

« أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات ».

وهكذا فإن إسرائيل « المقدسة » (الأحبار ٢٠ / ٢٦) ينبغى ألا تتدنس

(عزرا : ٩ / ١١) بالاتصال بشعوب أخرى التى مقتها الرب (الأحبار ، ٢٠ / ٢٣).

وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا .

« ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك ، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى . . » . (تثنية الاشتراع ٧ / ٣ ــ ٤) . « ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية) ، الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم ، فاعلموا أن الرب إلهكم لا يعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم بل يصيرون لكم وهقا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم » . (سفر يشوع ، ٢٣ / ١٢ ـ ١٣).

وفى ١٠ نوفبر ١٩٧٥ ، وفى جلسة عامة ، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتميز العنصرى .

ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى ، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١ ، على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥ . مع أن الحقائق تثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ ، فقد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره و إبادته الجماعية البطيئة ، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل .

●●●



ثانيـــا

أساطير القرن العشرين

١ ـ أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١ ، اقترف إسحاق شامير « جريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقيـة ، فقد دعـا إلى التحالف مع هتلـر ومع ألمانيـا النازيـة ضد بريطانيا» .

(بن زوهار، بن جوريون، النبي المسلح، باريس، ١٩٦٦، ص ـ ٩٩) .

عنـدمـا بـدأت الحـرب ضـد هتلـر، وقفت الغـالبيـة العظمى من المنظمات اليهـودية إلى جـانب الحلفاء، بل إن غـالبية زعمـاء اليهود ومنهم حاييم وايزمان، اتخذوا موقفـا مساندا للحلفاء، إلا أن الجماعة الصهيونيـة رغم أقليتها في ألمانيـا آنذاك اتخذت سيـاسة مخالفـة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١ ، وتـواطأت بل وتعـاونت مع هتلـر. وكـانت السلطات النازية ، وفي الوقت الذى كـانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الـوظائف العـامة على سبيل المثـال في مـرحلة أولى، تتحـاور مع القادة الصهاينة الألمان ومنحتهم معـاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم .

ولا ينصب الاتهـام بـالتواطـؤ مع السلطـات النـازية على الغـالبيـة العظمى من اليهود، بل إن بعضهم لم ينتظر الحرب العـالمية لمكافحة الفاشيـة بالسلاح في إسبـانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفـوف الفرق الدولية . وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو «لجنة الكفاح اليهودية » وماتوا وهم يحاربون .

ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية .

وكان اهتمامهم الوحيد بإنشاء دولة يهودية قوية وحتى رؤيتهم العنصرية للعالم ، قد جعل عداوتهم للإنجليز أشد من عداوتهم للنازية .

وبعد الحرب ، أصبحوا ، كمناحم بيجين أو إسحاق شامير ، قادة الصدارة في دولة إسرائيل .

●●●

وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ ـ أى بعد يومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا ، كتب حاييم ويزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى تشمبرلين ، رئيس وزراء صاحب الجلالة ملك إنجلترا ، خطابا يبلغه فيه : إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى وسنحارب من أجل الديموقراطية » .

مشيرا إلى أن « المفوضين عن اليهود على استعداد فورى لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم » . وقد نشر هذا الخطاب في « الجويش كرونيكل » يوم ٨ سبتمر ١٩٣٩ ، وهو يعتبر بمثابة إعلان

حرب صريح من العالم اليهودى ضد ألمانيا. وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم «رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا» كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل يابانى عشية دخولهم الحرب مع اليابان.

●●●

ولقد برهن الزعماء الصهاينة، في عصر الفاشية الهتلرية والموسولنية، على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون.

فالهدف الأساسي للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل، بن جوريون، ودون مواربة، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨، أمام القادة الصهاينة من «العمال»: لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا، أو إنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى، لاخترت الحل الثاني. لأننا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا».

[المصدر: إيفون جلبنير، السياسية الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية، القدس، المجلد الثاني عشر، ص ـ ١٩٩].

«لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم».

[المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، باريس ١٩٩٣ ، ص ـ ٥٣٩].

وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيوني في مؤتمر إيفيان ، في يوليه ١٩٣٨ ، حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئى ألمانيا النازية . فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن ، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين .

لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود .

إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعاتهم . وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسى لأى عنصرية ، بما في ذلك العنصرية الهتلرية ، وهو نقاء الدم . ولهذا السبب ، وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها ، فإن النازيين اعتبروا الصهاينة بمثابة السند لهم لأنهم يخدمون هذا المخطط .

وهناك قرائن تدل على هذا التواطؤ . فقد وجه الاتحاد الصهيونى الألمانى إلى حزب النازى مذكرة في ١ ـ يونيه ١٩٣٣ ، أعلن فيها ما يلى :

« بتأسيس دولة جديدة ، أعلنت مبدأ الجنس ، نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة . . . وإن اعترافنا بالجنسية اليهودية

يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألماني وحقائقه القومية والعنصرية. وذلك لأننا لا نود أن نقلل من قدر المبادئ الأساسية، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة.. فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم، يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية، لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذى يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟.. إننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية.

ولبلوغ هذه الأهداف العملية، تأمل الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود.. فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج، وعدائهم للتوجه الألماني الحالى. والدعاية للمقاطعة ـ والموجهة حاليا ضد ألمانيا ـ هى في جوهرها ليست صهيونية.

[المصدر: لوسى داووفيش، قارئ للهلوكوست، ص ١٥٥].

وأضافت المذكرة: وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا.

[المصدر لوسى داووفيش، الحرب ضد اليهود (١٩٣٣ ـ ١٩٤٥) لندن، ١٩٧٧، الصفحتان ٢٣١، ٢٣٢].

رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الصهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهــود من أجل همهم الــوحيـد بإنشــاء دولتهم في فلسطين. وكتب المنظِّر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج: ينبغى مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجمـوعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين.

[المصدر أ. روزنبرج : مسار اليهـود على مدار الزمن ، ميونخ، ١٩٣٧، ص ١٥٣].

وكتب رينهـارت هيدريش فـي عام ١٩٣٥ : يجب علينـا أن نقسم اليهـود إلى فئتين : الصهـاينــة ومـؤيـدى الاستيعــاب في المجتمـات الأخـرى. فالصهـاينة ينـادون بمفهوم عنصـرى بحت ، وبالهجـرة إلى فلسطين، يساعـدون على بناء دولتهم اليهـودية الخـاصة بهم. . ولهم تمنياتنا و إرادتنا الرسمية .

[المصدر : هوهن: جمعية رأس الميت، ص ٣٣٣].

وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية : ليس هناك من الأسباب ما يدعــو إلى عرقلـة النشاط الصهيـونى في ألمانيـا بواسطـة أى إجراءات إداريـة ، لأن الصهيـونية لا تتعـارض مع بـرنـامج الاشتـراكية القـوميـة (النازية) التى هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .

[المصدر : الخطاب رقم ٢١ـ ٨٣ ZU ، المؤرخ في ٢٨ / ٨ / ١٩٣٥].

وقـد طبقت هذه الأوامـر بحذافيـرهـا لتأكيد الإجـراءات السابقـة .

وبفضل هـذا المركـز التفضيلي للصهيونيـة في ألمانيـا النازيـة، كتب الجيستابو البـافارى إلى البوليس في ٢٨ ينايـر ١٩٣٥، هذا المنشور: «ينبغي ألا يعامل أعضـاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهـم الموجه نحـو الهجـرة إلى فلسطين، بنفس الصـرامـة الـواجبـة حيـال أعضـاء المنظمات اليهودية الألمانية».

[المصدر: كورت جروسمان، «الصهاينة وغير الصهاينة في ظل القانون النازى في الثلاثينات» المجلد الرابع، ، ص ٣١٠].

« لقد كـان وجود المنظمـة الصهيونيـة ليهود ألمـانيا وجـودا قانـونيا وشرعيـا حتى عام ١٩٣٨، أى بعـد مضى خمس سنوات علـى اعتلاء هتلـر الحكم. . واستمـرت صحيفـة الصهاينـة الألمـان تصـدر حتى ١٩٣٨».

[المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص ١١٦].

وفي مقابل الاعتراف الـرسمى بالزعماء الصهـاينة بوصفهم الممثلين الـوحيـدين للطـائفة اليهـوديـة، فقـد عـرضـوا القيام بكسـر الحصـار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما.

وابتـداء من ١٩٣٣، بـدأ التعاون الاقتصـادى: وأنشئت شـركتـان هما: شركة هعفرا، في تل أبيب، وشركة يالترو، في برلين.

وكانت آلية العمليـة على النحو التالى: يودع أى يهـودى يرغب في الهجـرة، في بنـك فـاسـرمـان فـي بـرلين، أو فى بنك فـاربـورج في

هامبورج، مبلغا لا يقل عن ١٠٠ جنيه استرليني وبهذا المبلغ يشتري المصدرون اليهود بضائع ألمانية وجهتها فلسطين، ومع دفع القيمة المقابلة بالجنيهات الفلسطينية، ولحساب شركة هعفرا، في البنك الإنجلو فلسطيني في تل أبيب. وعندما يصل المهاجر إلى فلسطين، يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه في ألمانيا.

وقد شارك عدد كبير من رؤساء وزراء إسرائيل في هذه العملية ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى جينذاك موشى شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلاقا من نيويورك، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين.

[المصدر: « بن جوريون وشرتوك »، ص ٢٩٤].

ولقد كانت العملية مربحة بالنسبة للطرفين: فقد نجح النازى في تحطيم الحصار (ونجح الصهاينة في بيع بضائع ألمانية حتى في إنجلترا)، وحقق الصهاينة هجرة « انتقائية » كما أرادوها: فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتى كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيونى في فلسطين). وطبقا لأهداف الصهيونية، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهودية من ألمانيا النازية لكى تتاح لها توسيع عمليتها، وإن حياة اليهود المعدمين أو غير القادرين على العمل أو على الحرب، ما هى إلا عالة وعبء ثقيل.

ودامت سياسة التعاون هذه حتى ١٩٤١ (أى طوال ٨ سنوات بعد وصول هتلر إلى السلطة). وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر.

فقد كشفت محاكمة إيخمان، وفى جزء منها على الأقل، عن آليات هذا التواطؤ « والمبادلات » بين اليهود الصهاينة « المَهمين » بالنسبة لإنشاء الدولة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش . . . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر.

وأعلن رئيس هذه اللجنة إسحاق جرونبوم في ١٨ يناير ١٩٤٣ : الصهيونية مُقدمة على كل شيء . .

« وسيقولون إننى معاد للسامية، وإننى لا أريد أن أنقذ من في المنفى ، وإننى لا أملك قلب يهودى يدشى حار (واليدشى هى لغة يهود أوروبا) » . [. . .] ولندعهم يقولون ما يريدون. ولن أطالب الوكالة اليهودية بأن تخصص مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ولا مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه استرلينى لمساعدة اليهودية الأوروبية .

وأظن أن من يطالب بمثل هذه الأمور فإنما يقترف إثما ضد الصهيونية » .

[المصدر: جرونبوم: أيام التدمير، ص ٦٨٠] .

وقد كان ذلك هو وجهة نظر بن جوريون أيضا : « إن مهمة الصهيوني لا تكمن في إنقاذ « بقية » إسرائيل الموجودة في أوروبا ، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودى » .

« واتفق زعماء الوكالة اليهودية على أن الأقلية التى يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيارها وفقا لاحتياجات المشروع الصهيونى في فلسطين» .

[المصدر: توم سجيف، ص ١٢٥، ص ١٥٨].

وقد حضرحنا أرنت، أحد كبار المدافعين عن القضية اليهودية بدراساته وكتبه، هذه المناقشات . وخصها بكتاب هو: إيخمان في القدس . بيَّن فيه (الصفحات ١٤٣ ـ ١٤١) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التى كان ثلثاها يُدار بمعرفة الصهاينة .

ومن واقع كتاب إيسايا ترونك : « طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها» . (صفحة ١٤١) .

والأمر الذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفاضة جيتو وارسو، والذى طلب فيه رئيس دولة إسرائيل من ليش فاليزى، رئيس بولندا، ألا يعطى الكلمة لماريك إيدلمان، الرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة .

فقد أجرى ماريك ايدلمان فعلا مقابلة آدوار التير من صحيفة هارتس الإسرائيلية فى ١٩٩٣، ذكّر فيها بمن كانوا هم المحرضين الحقيقيين وإبطال اللجنة اليهودية للكفاح في جيبتو وارسو، وهم

الاشتراكيـون من البـوند والمعـادون للصهيونيـة، والشيوعيـون، وأتباع تروتسكى، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير.

فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدوليـة في إسبانيا وفرنسا، أثناء الاحتـلال، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة.

ويحكى ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية « ثم » «المجلس اليهودى العـالمى »، في سيرته الـذاتية، مقابلته المأسـاوية مع وزيـر الخارجيـة التشيكى إدوار بينيس فى ١٩٣٥، التى عاب فيهـا على الصهاينـة كسرهم لحصار هتلـر بواسطة شـركة هعفرا (واتفـاقات النقل) ورفض المنظمـة الصهيـونيـة العـالميـة تنظيم المقـاومـة ضـد النازية.

« لـم أشعر في حياتى بالأسى والخـزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها، إلا خـلال هاتين الساعتين. لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق ».

[المصدر : ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، الصفحات ١٥٧ ـ ١٥٨].

«وقد استقبل مـوسولينى وايزمـان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومـرة أخرى في ١٧ سبتمبـر ١٩٢٦؛ وتحـدث نـاحـوم جـولـدمـان رئيس المنظمـة الصهيونية العالمية مع موسولينى في ٢٦ أكتوبر ١٩٢٧، الذى قال له :

سأســاعدكم في إنشــاء هذه الــدولة اليهــودية ». (جــولدمــان، السيرة الذاتية، ص ١٧٠).

وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام ١٩٤١ عندما اقترفت مجمـوعة من غـلاة الصهـاينـة المتطرفين، وهى مجمـوعـة «ليحى» (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتى كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعـد وفاتـه ترويكـا من بينهم إسحق شـامير، « جـريمة لا تغتفـر من الناحية الأخـلاقية وهى المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيـا النازية، وضد بريطانيا ».

[المصدر: بارزوهـار، بن جوريون، المرجع السـابق، باريس ١٩٦٦، ص - ٩٩].

وكشف أليـزرها ليفى، النقـابى العمالى المعـروف، وعضو كيبـوتز يهـوى، في أسبوعيـة « هـوتام» التى تصـدر في تل أبيب (بتـاريخ ١٩ أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقـة موقعـة من إسحق شاميـر، (الذى كـان يسمى حينئذ يـزرنيتسكى) وإبراهـام شيترن، سلمت إلى سفـارة ألمـانيـا في أنقـرة، في الـوقت الـذى كـانت الحـرب في أوروبـا على أشدهـا، والتى وطأت فيها قـوات روميل أرض مصر، جـاء فيها: « من ناحية المفهوم، فنحن نطـابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟ ».

ويؤكد أحد الرؤساء التـاريخيين لمجموعة « شتيرن »، وهو إسرائيل

الداد ، في مقـال له نشر في جريـدة أديعوت أحرونوت اليـومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣ ، على صحـة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألمانيا النازية .

وهاك بعض الفقـرات الريئسية لهـذا النص : « المبادىء الأسـاسية للمنظمة العسكـرية الوطنيـة في فلسطين (أرجون زفـاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا » . يتبين من أقوال قادة دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهـوديـة عن أوروبـا . وأن هــذا هـو الشـرط الأولي لحـل المشكلـة اليهـودية ، ولكن هـذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجمـوع في فلسطين ، فى دولة يهودية ، وداخل حدودها التاريخية .

وإن حل المشكلـة اليهـوديـة بصـورة نهـائيـة ، وتحـريـر الشعب اليهـودى ، هـو هدف النشـاط السيـاسى والسنـوات الطويلـة لكفـاح «الحـركـة من أجل حـرية إسـرائيل » (ليحيى) ومنظمتهـا العسكـريـة الـوطنيـة في فلسطين . (أرجـــون زفـاى ليـومى) . وتعتـرف المنظمـة بالمـوقف المتسامح لحكـومة الريخ حيـال الأنشطة الصهيـونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة ، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جـانب ألمانيا شـريطة اعتراف حكومـة ألمانيا بـالتطلعات القومية لحركة ليحى .

وسيسيـر تعاون حـركـة تحـرير إسـرائيل ، طبقـا للبيـانات الأخيـرة

لمستشـار الـريخ الألمـانى التـى شـدد فيهـا السيـد هتلـر على أن أى مفاوضات وأى تحالفات ينبغي أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها .

والمنظمـة ، بهيـاكلها ومفهـومهـا للعـالـم ، مـرتبطـة ارتباطـا وثيقـا بالحركات الشمولية الأوروبية» .

[المصدر: النص الأصلى باللغـة الألمانية المنشور في كتـاب دافيد يزرائيلى : المسألة الفلسطينيـة في السياسة الألمـانية ، من ١٨٨٩ إلى ١٩٤٥ ، ١٩٧٤ ، ص ٣١٥ـ٣١٧] .

وحسب مصـادر الصحـافـة الإسـرائيليـة ، التى نشـرت عشـرات المقالات في هـذا الموضوع ، فإن النـازى لم يأخذ اقتراحـات شتيرن ، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا .

وقد تـوقفت المفاوضـات بين الطرفين عنـدما ألقت قـوات الحلفاء القبض في يـونيه ١٩٤١ ، على منـدوب شتيـرن وشاميـر ، وهو نفتـالى لـوبنتشيك ، داخل مكتب الجهـاز السرى النـازى في دمشق . وهنـاك أعضـاء في المجمـوعـة واصلـوا الاتصـالات حتى إلقـاء القبض على إسحاق شـامير من طـرف السلطات البـريطانيـة في ديسمبر ١٩٤١ ، بتهمة « الإرهاب والتعاون مع العدو النازى » .

ومثل هذا الماضى لم يمنع إسحاق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليـوم أيضًا رئيسـا لمعارضة قـوية وأشدهـا تمسكا بـاحتلال الضفة الغربية . وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة ، رغم مخاصماتهم

الـداخلية ، يـواصلـون نفس الهدف العنصـرى : طـرد السكان العـرب الأصليين بـالترويع والاغتصـاب أو النفى ، لكى يظلـوا وحدهم الغـزاة والأسياد .

لقـد صـرح بن جـوريـون : « إن بيجيـن ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى . فهـو عنصرى على استعداد لإبادة كل العـرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل ، وهو مستعد لإنجاز هذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل» .

[المصدر أ. هـابر، مناجم بيجيـن، الرجل والأسطورة ، نيـويورك، ١٩٧٩ ، ص ٣٨٥].

ونفس هذا الابن جوريون لم يؤمن أبدا بإمكانية التعايش مع العرب . وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل ، كلما كان ذلك أفضل .

وفي عـام ١٩٤٠ ، ولإثارة السخط على الإنجليـز الذين كـانوا قـد قرروا إنقـاذ اليهود المهـددين من هتلر، وذلك بـاستضافتهم في جـزيرة موريشيس ، فإن الباخرة التى كانت تنقلهم وهى ناقلة البضائع الفرنسية « باتريا »، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ ، لم يتردد الزعماء الصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها ، مما أدى إلى وفاة ٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز.

[المصدر: دكتور هرتـزل روزيلوم، ١٩٥٨ وجويش نيوزلتر نيـويورك، نوفمبر ١٩٥٨].

ويؤكـد يهودا بـاور حقيقة هذا التفجيـر بواسطة الهـاجانـاه ، وعدد الضحايا ، في كتابه يهود للبيع .

[باريس ، ١٩٩٦ ، ص ـ ٨٤] .

ومثال آخر، العراق :

لقـد كـانت الطـائفــة اليهـوديـة (١١٠٠٠٠ شخص في ١٩٤٨) متأصلـة في البـلاد تمـامـا . وأعلن حـاخـام العـراق الأكبـر خـدورى ساسون : « لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد » .

ثم بدأت التصـرفات الإرهابيـة الإسرائيليـة ، في ١٩٥٠ في بغداد . وأمام إحجـام اليهود العراقيين وتـرددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجـرة إلى إسرائيل ، لم تتـردد الأجهـزة السريـة الإسرائيليـة ومن أجل إقنـاعهم بأنهم فى خطـر، بإلقاء القنـابل عليهم . . وقتل الهجـوم على معبـد « شيم تـوف » ثلاثـة أشخـاص وجـرح العشرات . وهكـذا بـدأ الخروج الجماعى المسمى « عملية على بابا » .

[المصدر : جريدة أديعوت أحرونوت ، ٨ نوفبر ١٩٧٧] .

وكان الهدف المنشود هو تجميع اليهود في جيتو عالمى .

ولقد أثبتت الـوقائع أن تيـودور هرتـزل كان على حق . وكـان اليهود الصالحـون يرددون كل يوم : « العـام القادم في القـدس » . وجعلوا من القـدس رمزا لتحـالف الـرب مع الإنسان . ولكن « العـودة » لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية .

وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٩ ، وفى حـديث مـوجه لمجمـوعـة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل ، قال بن جوريون : « رغم أننا حققنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية ، فإننا ما زلنا في البداية . فلا يوجد في إسرائيل اليـوم سوى ٩٠٠٠٠٠ يهودي ، بينمـا غالبيـة الشعب اليهودى مازالت موجودة في الخارج . ومهمتنا القادمة هى إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل » .

وكان هـدف بن جوريون هـو إحضار أربعـة ملايين يهودى في الفتـرة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١ . ولم يحضر سوى ٨٠٠٠٠٠ . وفي عام ١٩٦٠ ، وصل طوال السنة ٣٠٠٠٠ مهاجر فقط . وفي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها .

وبعض عمليات الاضطهـاد الكبرى ، كـالتى حدثت فى رومـانيا ، هى التى كانت وراء « العودة » .

وحتى فظـاعة هتلـر وأعمالـه الشرسـة لم تنجح فى تحقيق حلم بن جوريون .

فمن بين ضحايـا النازيـة من اليهود الذين التجـأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و ١٩٤٣ ، ذهب منهم بـالكـاد نسبـة ٨,٥٪ لـلإقـامـة في إسرائيل . وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢٠٠٠ (أقل من ٧٪) ، وإنجلتـرا بعـدد ٦٧٠٠٠ (أقل من ٢ ٪) أمـا الغـالبيـة العظمى ، أى نسبة ٧٥ ٪ ، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتى .

[المصدر « معهد الشئون اليهودية » في نيويورك] .

وثمـة مثـال نمـوذجي للتـلاعب بـالتـاريخ مـن طـرف المـؤرخين الرسميين، ورد في كتاب يهودا باور الأخيـر، وهو عضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجـامعة العبرية في القدس. فكتابـه عنوانه: يهود للبيع، مع عنوان جـانبى: المفاوضات بين النـازى واليهود، ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥، وصدر في باريس عام ١٩٩٦.

ويدل مظهر الكتاب الخارجى على أنـه عمل علمى بما يحتويه من حواشٍ بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس.. إلخ.

هذا في الظـاهر فقط، لأن بعض المصـادر التى تعالج المـوضوع، والتى لـم يستطع المؤلف تجاهلها، مـرت مرّ الكرام وفى صمت (ربما لأنها تتعـارض مع نظريتـه التى ترمى إلى إبـراز عنايـة زعماء الصهـاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من «الانتقاء»).

والأعمال التى ذكرها المؤلف، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية. ولـم يشر الكتاب إلى تواطـؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١، الـذى اقترحه شاميـر. وقد وضع باور قائمـة بأسماء «المتفاوضين» مع هتلر، وأضاف: «وقد أصبحوا كلهم من الأبطال» أما كل من نادى بمقـاطعة هتلر على مستوى العالم، فهـم في نظره ليسوا بأبطال!

وغـاية الكتـاب هى محـاولة إخفـاء حقيقـة أساسيـة هى أن الشغل الشاغل للزعمـاء الصهاينة أثنا حكم هتلر، لـم يكن إنقـاذ اليهود من نار

النازى، بـل وطبقا للمشروع الصهيـونى السيـاسى الذى وضعـه تيودور هرتزل، هو تأسيس « دولة يهودية » قوية.

والموضوع الـرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهـام بأن حرب هتلر « هى حرب ضد اليهـود » وليست حربا ضد الشيوعيـة في المقام الأول، مما جعله يـوجه معظم قوته الحـربية تجاه الشرق، والسعى إلى إبـرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين.

« إن جميع المـؤرخين يتفقـون على أن هيملـر كـان يفضل سـلامـا منفصلا مع الغـرب حتى يكرس كل قواه ضـد الخطر البلشفى » (ص ـ١٦٧) « وكـان فـون بوبـن يعتقد اعتقـادا راسخـا في تفـاهم قـادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للـوقف كسد في وجه الشيوعية » (باور، ص ـ ١٨٩).

ولقد كانت « المفاوضات » بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف، وهو ما اضطر باور بالاعتراف به.

« لقد كـان النازى يعرفـون، وعلى النقيض من الروس، أن حكـومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهمـا بتحمل أى ضغوط من الضغوط التى يمارسهـا اليهود عليهما ». (باور، ص ـ ٢٦٠).

وفي عام ١٩٤٤، اقتـرح إيخمان على المندوب الصهيونى بـراند،

مبادلة مليـون يهودى مقابل ١٠٠٠٠ شاحنة لاستخـدامها على الجبهة الروسية دون سواها .

وساند بن جوريون وموشى شـاريت (شرتوك) هذا العرض ، ووجه بن جـوريون بـالفعل نـداء شخصيا إلى روزفلت « حتى لا تفلت هـذه الفرصـة الفريـدة وربما الأخيـرة لإنقاذ آخـر يهود أوروبـا » . ولقد كـان الهدف واضحـا : مبادلة اليهود مقـابل معدات إستراتيجية ، بل وإقـامة اتصـالات دبلومـاسية مع الغـرب ، وهى اتصـالات قـد تؤدى إلى سـلام منفـرد ، أو حتى إلى حـرب يشتـرك فيهــا الألمـان مع الغـربيين ضـد السوفيت» (باور، ص ـ ٣٤٣) .

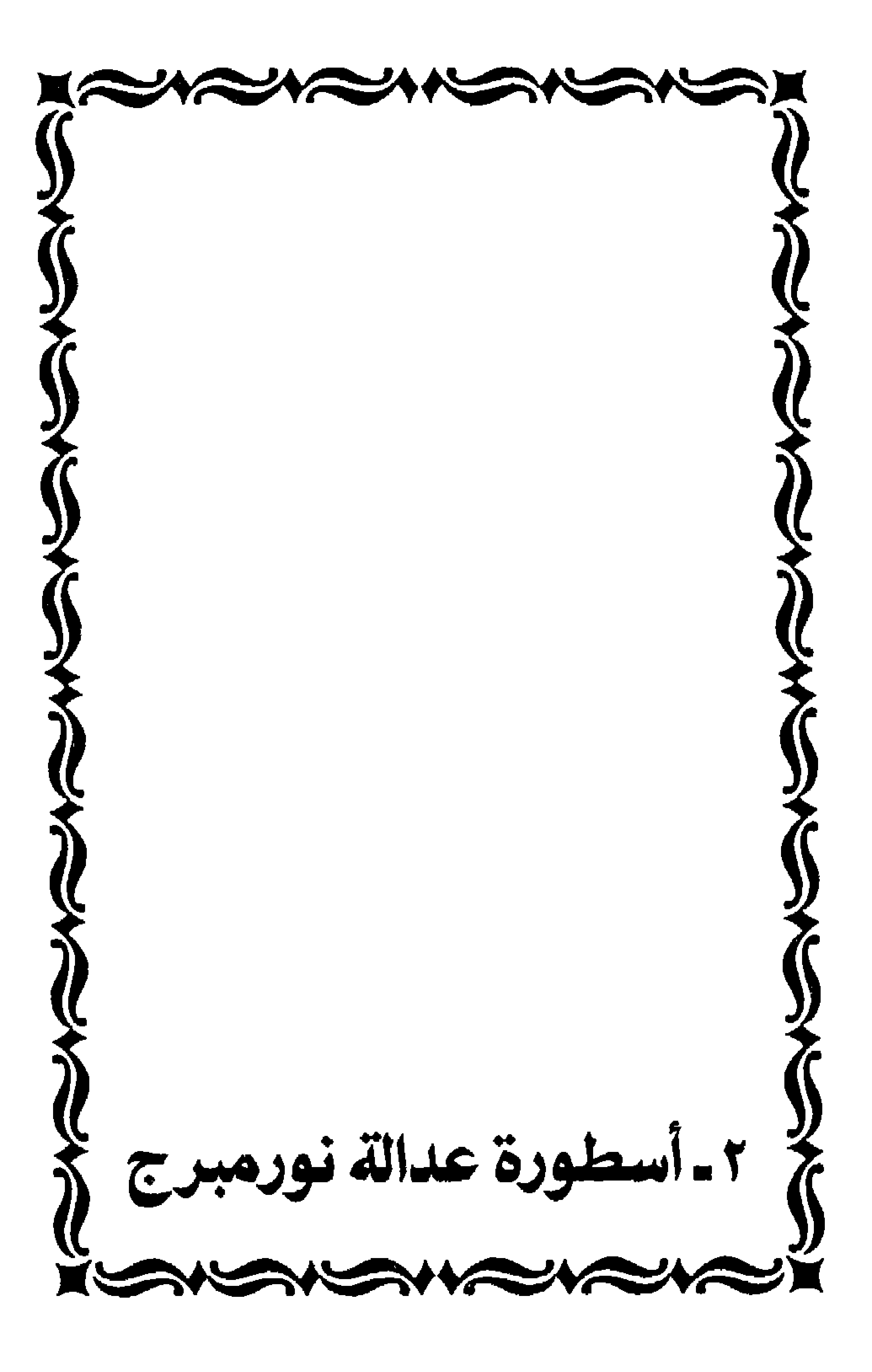
وأخفقت هـذه المؤامـرة عنـدما قـام الأمـريكـان والإنجليز بإبـلاغ السوفييت بهذه المسـاومات . ويقول باور فى هذا الصـدد : « لقد كان الدور الأسـاسى لروسيا في المعـركة ضـد ألمانيا النـازية بمثابـة الدعم الجـوهرى لصـلابة مـوقف الحلفـاء . فقد انهـزم الفرمـاخت (الجيش الألمـانى) في روسيا على يـد الجيش الأحمر. وبـدون السوفيت ومـا عانـوه، وبدون أعمـالهم البطولية ، فإن الحـرب كانت ستـدوم سنوات وسنوات وربما لـم نكسبها » . (باور ص ـ ٣٤٧) .

وعلى كل حال ، فإنـه من البداية وحتى النهـاية ، لم يفكر الـزعماء الصهاينـة (وهـم الذين تـولوا الحكم في إسـرائيل مثل شاميـر) إلا في تأسيس دولــة قــويـة في فلسطيـن ، ولم يفكـروا لحظــة واحــدة في المسئوليات التى تقع على عـاتق جماعة المقاومين لهتلـر، كما لو أن

النازيين لم يكـن لهم أعداء أو ضحايـا إلا اليهود ، وأن الأمـر لا يعدو سوى إنقاد اليهود وحدهـم .

وحتى الإنجليـز فقـد انتهى بهم الحـال إلى إظهـار سخطهم لهـذه الرغبـة في تجاهل معـاناة ٥٠ مليـون من ضحايا الهتلـرية ، والمطـالبة بإنقـاذ اليهود دون سـواهـم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقـدر منهم على بناء دولة قوية في فلسطين .

●●●



٢ - أسطورة عدالة نورمبرج

« إن هــذه المحكمة تمثل استمـرارا لجهـود حـرب الدول الحليفـة»
روبرت جـاسكون النـائب العام للـولايات المتحـدة (جلسة ٢٦ يـوليه ١٩٤٦).

في ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، اجتمع الـزعمـــاء الأمـريكيـون والإنجليـز والفرنسيـون والروس في لنـدن للاتفاق على « مـلاحقة وتـوقيع العقاب على كبار مجرمى الحرب التابعين لقوى المحور» وذلك بإنشاء محكمة عسكرية دولية (المادة الأولى ، أ).

وقـد صُنّفت الجـرائم في المـادة ٦ من الفصل الثـاني على النحـو التالى :

١ ــ جرائم ضـد السلام ، وهى تتعلق بتحـديـد مسئوليـة من قامـوا بإشعال الحرب .

٢ ـ جرائم الحرب ، وتخص قوانين وأعراف الحروب .

٣ ـ جـرائم ضد الإنسـانية ، وهى الجرائم المقتـرفة ضـد المدنيين .
وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات :

أولا ـ أنها لم تكن محكمة دولية حيث لم تتشكل إلا من المنتصرين في الحرب ، وبالتالى فإن الجرائم التى كانت ستحجز هى الجرائم التى اقترفهـا المنهزمـون . وهو ما اعتـرف به النـائب العام الأمـريكى روبرت جاكسون الذى كان يرأس جلســة ٢٦ يوليه ١٩٤٦ ، حيث قال : ما زال

الحلفاء عمليا في حالة حرب مع ألمانيا . . . وبوصفها محكمة عسكرية، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرار لجهود حرب الشعوب الحليفة» .

ـ وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية تشكل آخر فصل من فصول الحرب، وتنفى من حيث مبدأها، المسئولية عن المنتصرين، وقبل كل شيء مسئوليتهم عن إشعال الحرب .

ففى نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساى، بكل عواقبها، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس، وكذلك البطالة، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألمانى[1] . وعلى سبيل المثال، إجبار ألمانيا المهزومة في ١٩١٨، على دفع ١٣٢ مليار من الماركات الذهب، كتعويضات حرب، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦٠ مليار مارك ذهبًا .

وانهار الاقتصاد الألمانى وأصيب الشعب الألمانى بالإحباط من جراء عمليات الإفلاس وتدهور العملة، وخاصة البطالة، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهى إلغاء معاهدة فرساى وما تضمنته من بؤس و إذلال للشعب الألمانى .

---

(١) في ١٩١٩ أ، كتب الاقتصادى الشهير لورد أورج كينز يقول : بمعاهدة كهذه، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عام .

وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبية المطلقة في الريشتاخ (البرلمان الألماني) ، بدأت إعادة التسلح بمساعدة من الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى ، ومن بينها شركة الكمياويات الإمريكية ديبون دى نيمور وشركة أمبيريال كميكالز ، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب ، وهناك صناعات أخرى مُولت من طرف مورجان أو روكفلر . .

وهكذا شارك الجنيه الإنجليزى والدولار الإمريكى في المؤامرة التى جاءت بهتلر إلى الحكم .

ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار « المؤامرة ضد السلام » .

وكثيرا ما ذكرت اللعنات التى كان يكيلها هتلر وزعماء النازى للشيوعيين واليهود . وخاصة ما جاء في الفصل الخامس عشر من الجزء الثانى من « كفاحى » حيث تناول هتلر ماضى حرب الغازات التى شنها الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهو الفصل المعنون : «حق الدفاع الشرعى » ، والذى أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب ، حتى ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان .

وفي حديث له أمام البرلمان في ٣٠ يناير ١٩٣٩ ، قال كذلك :

« يستطيع اليهود ان يواصلوا شن حرب الإنهاك في بعض الدول

حيث تحميهم الاحتكارات والامتيـازات التى يمارسونها على الصحـافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها. ومع ذلك، فإذا ما نجح هنـا الشعب مرة ثـانية في دفع مـلايين الأشخاص إلى نـزاع قد يعـود عليهم بالفـائدة، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهـور شجاعـة الحركـة التوضيحية التى سمحت بالقضاء نهائيـا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات».

وفي ٣٠ ينـاير ١٩٤١، قـال هتلر لجمـوع يهود أوروبـا «إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة». وصرح في بيان آخر بتاريخ ٣٠ ينـايـر ١٩٤٢، أن الحـرب «ستقضى علـى اليهـوديـة في أوروبـا». والوصية السياسيـة لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكريـة الدولية تعج بهـذه الأراء. فهتلر يتحـدث عن تـدمير «نفــوذ مـا» أمـا هيملر فإنـه يتحدث مباشرة عـن تدمير الأشخاص. فقد قال لجنرالاتـه في ٥ مايو ١٩٤٤، في سونتهـوفن، ما يلى: «في هذا النزاع مع آسيـا، ينبغي لنا أن نعتاد على نسيـان قواعـد اللعبة والأخلاقيـات المتعارف عليهـا أثناء الحـروب الأوروبيـة المـاضية، رغـم أنها عـزيـزة علينـا وتتنـاسب مع عقليتنا».

ولكن هذه الوحشية لـم تكن من نصيب معسكر واحد.

فقد طلب لكيفتون فاديمان، محرر مجلـة نيويوركر الأسبوعية، في

عـام ١٩٤٢ إلى الكتـاب « تعلو روح مـن الحقـد الشـديـد ضـد كل الألمان وليس فقط ضد زعماء النازى » .

وأضاف : «والطريقة الوحيدة لكى يفهمنا الألمان هى قتلهم . وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا» .

وفي شهر أبريل ١٩٤٢ ، كتب يمتدح كتاب دى سال « إعداد الغد» ويشـرح مفهومـه العنصـرى ، فقال : إن العـدوان النـازى ما هـو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبيـر النهائى عن الغرائز العميقة للشعب الألمانـى . وما هتلر إلا تجسيـد لقوى أكبـر منه » . ووافق علـى اقتراح هيمنجواى القائل : إن الحل النهائي سيكـون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة .

ولم تكن هذه الآراء بـالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جـريدة الديلى هيرالد اللندنية مقـالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست ، جاء فيه : « إن كلمة السر يجب أن تكون « القضاء عليهم » ، ومن أجل ذلك تركـز عملنا على اكتشاف مـرفقعات جديـدة ومخيفة . . ورغم أن رجل الـدين لا ينبغى لـه أن ينـزلـق إلى مثل هـذه العـواطف ، إلا اننى صراحـة لو استطعت ، لمحوت ألمانيـا من خريطة العـالم . إنه جنس شيطانى كان لعنة على أوروبا طوال قرون» .

ولحسن الحظ ثـارت الاحتجاجـات ضـد مثل هذه الضـلالات في إنجلترا حيـث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزى وثقـافته الـرفيعة

وبين زعماء دمـويين ممتلئين بالحقـد والبغضاء، وهو مـا ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها.

ومنذ عام ١٩٣٤، أعلن الـزعيم الصهيونى فلاديمير جـابوتنسكى. «إن مصالحنـا اليهودية تحتم القضـاء النهائى على ألمانيـا، فالشعب الألمانى في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا».

وقال تشـرشل من جانبه في ١٦ مـايو ١٩٤٠: «سنجوع ألمانيا. وسندمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها».

[المصدر: بول بودوان، تسعة أشهر في الحكومة، ١٩٤٨، ص-٥٧].

وقال الـوزير البـريطانى اللـورد فانسيتـارت في عام ١٩٤٢، تبـريرا لفظاعة الغارات البريطانية: «إن الألمان الطيبين وحدهم، هم الموتى الألمان؛ وعلى ذلك، فلتمطر السماء القنابل!».

وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركـانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالى:

«أود أن تفكر جديًا في مسألـة الغازات الخانقة... وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخـانقة هذه... ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء»...

[المصدر: الإرث الأمريكى - عدد أغسطس - سبتمبر ١٩٨٥].

ولـم يقف لا تشـرشل ولا تـرومـان ولا ستـالين في قفـص الاتهـام

كمجرمى حرب. كما لا يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل تيودور كوفمان الأمريكى اليهودى الذى وجه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية، ضمن كتابه: «يجب إبادة ألمانيا»، قال فيه: «إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا». وكذلك ما جاء في نداء الكاتب السوفيتى إيليا اهربنورج عام ١٩٤٤ : اقتلوا ! اقتلوا فلا أبرياء لدى الألمان، لا بين الأحياء ولا بين من سيولدون ! ».

وهؤلاء أيضا لم يقفوا في قفص الاتهام ضمن المتهمين في نورمبرج، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو - أمريكان عن قصف مدينة درسدن الألمانية، والذى أسفر عن ٢٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين، وذلك دون أدنى فائدة عسكرية، لأن الجيش السوفيتى كان قد تجاوز هذه الأهداف. ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى ومصرع ٣٠٠٠٠٠ من الضحايا المدنيين، دونما ضرورة عسكرية لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور.

ولا بيريا وستالين، على سبيل المثال، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان، والتى قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين.

لقد كانت أساليب الإجراءات تنبثق عن نفس المبادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم.

وهكذا جاء النظام الأساسى لهذه المحكمة :

المادة ١٩ : لــن تتقيد المحكمــة بالقواعــد الفنية المتعلقــة بإقـامة الأدلة والبراهين . وهى ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة .

● المادة ٢١ : لن تطلب المحكمــة تقديم البــراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة ، وستعتبرها ثـابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء .

هذا هو الوحش القانونى الذى ينبغى أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلَّم بصحتهـا وكمعاييـر لحقيقة تـاريخية لا يمكن أن يمسهـا إنسان طبقـا لقانون جيسو ـ فابيوس الصادر في ١٣ يوليه ١٩٩٠ (فى فرنسا) .

فهــذا النص قـد أضاف إلى قـانـون حـريـة الصحافـة الصـادر في ١٩٨١ ، المادة ٢٤ مكرر، التى تنص علي ما يلى :

« يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤ (وهى بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنـة واحدة ، وبغرامة قدرها من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠٠٠ فرنك ، أو بإحدى هاتين العقوبتين) كل من ينكر ، بإحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٢٣ ، وجود جريمة أو أكثـر من الجـرائم ضـد الإنسـانية كمـا جـاءت في المــادة ٦ من النظـام الأسـاسى للمحكمة العسكريـة الدوليـة الملحقة باتفـاق لندن بتـاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥ ، والتى اقترفت سـواء من طرف أعضـاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سـواء بواسطـة شخص ثبتت إدانتـه في مثل هــذه الجرائم من محكمـة

فرنسية أو دولية .

وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى :

١ ـ الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائى .

٢ ـ نشر هذا القرار أو إدراجه ضمن بيان بالشروط المنصوص عليها في المادة ١ ـ ٥١ من القانون الجنائى ، دون أن تتجاوز مصاريف النشر أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة » .

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى ، وهم قضاة المحكمة العليا ، بدءا بالقاضى جاكسون الذى كان رئيسا لمحكمة نورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج ، : « لقد شعر كبار القانونيين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبرج . ولا شك أن القاضى روبيرت جاكسون ، الرئيس الأمريكى للادعاء ، كان يخجل من هذه الإجراءات . وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التى قرأتها .

أما القاضى فينرستروم ، من المحكمة العليا في الولايات المتحدة ، ورئيس إحدى المحاكم فقد أبدى امتعاضه واشمئزازه من جو المحاكمة وموقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيابة . . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة . ونشر في جريدة شيكاغوديلى تريبيون الصادرة في ٢٣ فبراير ١٩٤٨ ،

اعتراضاته على التنظيم والإجراءات .

ووفقا للنظام الأساسى لمحكمة نورمبرج الذى ينص على أن تقارير لجان تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن ، فقد ووفق على التقرير السوفيتى بشأن كاتين ، والذى يتهم الألمان بقتل ١١٠٠٠ ضابط بولندى ، « كدليل إثبات صحيح » ، ولا يناقش من طرف المنتصرين .

وفي ١٣ أبريل ١٩٩٠ ، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية .

ولكى لا نحيد عن موضوعنا الأصلى : « الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل » ، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التى سببت حتى الآن وبعد مضى ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة فى عالمنا الحاضر ، وهى أسطورة الستة ملايين من الضحايا اليهود ، والتى أصبحت عقيدة تبرر وتضفى القداسة (وكما تقتضية عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين ، وفي كل الشرق الأوسط ، وفى الولايات المتحدة ، وفي كل السياسة العالمية ، بوضعها فوق كل قانون دولى .

ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا الرقم رسميا ، وهو الأمر الذى ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأى العام في الصحافة ، المكتوبة والمقروءة ، وفي الأدب والسينما ، وحتى في الكتب المدرسية .

غير أن هذا الرقم لا يستند إلا إلى شهادتين: شهادة هوتل وأخرى لويزليسني (وهما من ضباط الأمن النازيين) وهاك ما أعلنه الأول :

« في أبريل ١٩٤٤ ، جرى حديث بيني وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرفه منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست . . . وكان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهود. وطلبت منه كم كان عددهم، فأجابنى رغم سرية العدد الشديدة، إنه طبقا للمعلومات التى يمتلكها فقد وصل إلى النتيجة التالية : نحو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلف معسكرات الاعتقال، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى » .

[المصدر: محاكمة نورمبرج، المجلد الرابع، ص ٦٥٧] .

وأعلن الثاني :

« كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه » [المصدر السابق] .

وهاتان الشهادتان، كما يقول موليا كوف نفسه : « من الممكن الاعتراض على هذا الرقم الذى لا سند له كما يمكن اعتباره رقما مشبوها » .

[المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية، أكتوبر ١٩٥٦] .

وتذكر الصحيفة العبرية الصادرة في نيويورك بتاريخ ٣٠ يونيه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ، كان هناك ٣ ملايين و ٣٧٥٠٠٠ شخص

قد قدموا طلبات للحصول على « تعويضات » نظير الخسائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.

[المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١].

وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثال، انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أى قضية حقيقية:

١ ـ إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.

٢ ـ تحليل قيمة الشهادات والظروف التى تم في ظلها الحصول عليها.

٣ ـ البحث العلمى لسلاح الجريمة لإثبات استخدامه وآثاره.

أ ـ النصوص :

تتألف النصوص الأساسية، والتى تعتبر حاسمة للتدليل على «الحل النهائى» من أوامر الإبادة التى تنسب إلى كبار المسئولين: هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها.

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهود التى بذلها المنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست،

فلم يوجـد لها أثـر. وكتبت السيدة أولجـا ورمسر ـ ميجو في ١٩٦٨ ، تقول : كمـا أنه لا يوجـد أمر خطى مكتوب بوضـوح للإبادة بـالغاز في أوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفبر ١٩٤٤ ».

[المصدر : أولجاورمسر ـ ميجو، نظام المعسكرات النازية ، باريس ١٩٦٨ ، ص ـ ٥٤٤ وص ـ ١٣].

ويعترف الدكتور كيبوفي من مـركز الوثائق في تل أبيب عام ١٩٦٠ : « لا توجد أي وثيقة ممضاة من هتلر أو هيملر أو هيدريش تتحدث عن إبادة اليهود . . . ولا تظهـر عبارة « الإبادة » في خطاب جـورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائى للمسألة اليهودية ».

[المصـدر : لـوسى داوديفتيش، الحـرب ضـد اليهـود، ١٩٧٥ ، ص ـ ١٢١].

وصـرح ريمـون أرون وفـرانسـوا فيـرى (وهمـا من كبـار المفكـرين الفرنسيين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢] .

« رغم البحوث المتعمقـة ، لم يتم العثور مطلقا على أمـر من هتلر بإبادة اليهود ».

[المصدر: والتى لاكير، السر الفظيع ، ١٩٨١ ، ص ـ ١٩٠].

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بإيعاز من فيدال ياكيه وليون بـوليـاكـوف : «(. . .) لا يجب التسـاؤل عـن الكيفيـة التى كـان من

الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية . لقد كانت ممكنة تقنيـا لأنها حـدثت . وهـذه هى نقطـة الانطلاق الـلازمـة لأى تحقيق تاريخى حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكرّ بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز » .

وهذه الممنوعات الثلاثة ، أو المحرمات الثلاثة هى الحدود النهائية لأى بحث .

وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تـاريخية في تأريخ التاريخ ، بوضعه مثل هذه الأوامـر الشرطيـة مسبقا أمـام أى بحث أو نقد لـلأحكام التى أصدرها المنتصرون .

ولكن التاريخ إذا أراد أن يحتـرم النظم الأساسيـة العلمية ، ينبغى أن يكون بمثـابة بحث دائم ، وتفنيد لكل ما نعتقـد أنه قد ثبت نهـائيا مثل قوانين نوتن .

وهاك مثالاً مشهوراً :

« لقد تـوخَّت اللجنة الدوليـة لاوشفيتز في نوفبـر ١٩٩٠ ، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتى تشير إلى « ٤ ملايين من الضحايا » بأخـرى تحمل عبـارة « أكثـر من مليـون قتيل » . ولكن الـدكتـور جولدشتين ، رئيس اللجنة اعترض على ذلك » .

[المصدر : جريدة لـوسوار ، بـروكسل ، ١٩ ــ ٢٠ أكتوبر ١٩٩١ ، ص ـ ١٦] .

والواقع أن الدكتور جولدشتين لم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجديدة أى رقم، لعلمه أنه قد يصبح من الضرورى في زمن قصير إعادة النظر مرة أخرى في تخفيض الرقم المذكور.

وعلى هذا فإن اللوحة المثبتة على معسكر بيركيناو، حملت التدوين التالى حتى عام ١٩٩٤.

« هنا وفي الفترة ما بين ١٩٤٠، ١٩٤٥، عُذِّب أربعة ملايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوا بواسطة عمليات الإبادة الهتلرية ».

وبفضل ما قامت به اللجنة الدولية لمتحف الدولة الذى يرأسه المؤرخ فلاديسلاف برتوزيسكى، تعدل النص على النحو التالى والذي لا يبعد عن الحقيقة:

«ليصبح هذا المكان، الذى قتل فيه النازيون مليون ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية ».

[المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند، ٢٧ يناير ١٩٩٥].

وهذا المثال يبين لنا أن التاريخ، لكى يفلت من الإرهاب الفكرى للمنادين بالحقد والبغضاء، يقتضى إعادة نظر دائمة. فإما أن يكون تعديلى (أى قابل لإعادة النظر فيه وتعديله) وإما أن يكون محض دعاية مقنعة.

ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقيقى ، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى (النازى) في المادة ٤ من البرنامج :

« لا يحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملى المواطنة . وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عروقهم الدم الألمانى ، دون تمييز عقائدى . وعلى ذلك، فلا يمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كامل المواطنة » .

وفي المادة ٥ ، جاء ما يلى :

« من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف ، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب » .

وجاء كذلك في المادة ٨ ، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤ . وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقيين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها .

ونصت المادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة . وأكدت المادة ٢٤ على أن الحزب يكافح ضد « العقلية المادية اليهودية » .

أ- أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه « القضاء على يهود أوروبا » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١ (دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ .

ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية، المنقحة، حذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قرارات هتلر بشأن« الحل النهائى » بصورة منهجية .

[المصدر : هيلبرج يراجع نفسه حوليات سيمون فيزنتال، (المجلد ٣، ١٩٨٦، ص- ٢٩٤).

ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن « الأمر كان شفويا ». أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال . . !

وكان هتلر ينادى في كتابه « كفاحى » برغبته في طرد اليهود من ألمانيا. واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التى كانت تابعة لفرنسا آنذاك .

وفي يوليه ١٩٤٠ ، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد ، هذا التوجيه في العبارة التالية : « كل اليهود خارج أوروبا ! ». وكان يتوقع لتحقيق « الحل النهائي » فترة أربع سنوات وإمكانيات ضخمة .

ب ـ خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١ يوليه ١٩٤١ .

طلب هيدريش من جـورنج : « في ١٩٣٩ ، أعطيتنى الأمر بـاتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية . فهل علىَّ الآن مد هذه المهمة التى أسنـدتمـوها إلـىّ لتشمل الأراضى الجـديدة التى استـولينـا عليهـا في روسيا . . . »

وهنـا كذلك ، لاشيء بخصـوص قتل اليهود . والأمـر لا يتعلق إلا بنقلهـم جغرافيا ، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة .

فالحل النهائى إذن كان يكمن في تفـريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصـائهم بعيدا حتى تسمح الحـرب بـوضعهم داخل جيتو خـارج أوروبا (كمشروع مدغشقر) .

وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند ، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى ، ومنها الموت الـرحيم ، وأمر قتل الكوماندوز البريطـانيين ، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محـاكمة ، وإبادة أهالى ستالنينجراد من الذكور عند احتلالها . وعن هذه الجرائم جميعها ، فالوثائق موجودة ، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصـول ولا الصور، ولا الأوامـر أو التوجيهـات اللازمـة لتنفيذ هـذه التعليمات الضخمة .

« في ينـايـر ١٩٤٢ ، أبلغ رينهـارد هيـدريش ، رئيس الجستـابـو ، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضى الشرقية ،

مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة » .

وفي المذكرة التى عممت في مارس ١٩٤٢ داخل مكتب هيدريش ، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبا سيجرى تجميعهم في الشرق «انتظارا لإرسالهم بعد الحرب إلى أراضٍ نائية ، مثل مدغشقر ، لكى تصبح وطنهم القومى . . »

ويذكر بولياكوف : « وكان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه ، هو الذى كان يطلق عليه الزعماء الألمان اسم « الحل النهائى » للمسألة اليهودية .

[المصدر : بولياكوف ، محكمة القدس ، باريس ، ١٩٦٣ ، ص ـ ١٥٢] .

ومن أجل الإبقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن ، تطلب الأمر إيجاد ذريعة : « لقد كانت عبارة الحل النهائى للمشكلة اليهودية من العبارات التقليدية للإشارة إلى الخطة الهتلرية الرامية إلى إبادة اليهود الأوربيين » .

[المصدر جيرالد ريتلينجر ، الحل النهائى ، ص ١٩] .

وليس هناك ما يبرر افتراض هذه اللغة الشفرية التى كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله . وهاك مثالان على ذلك :

الأول : خطاب جورنج المؤرخ في ٣١ يوليه ١٩٤١ ، والذى يستكمل فيه جورنج تعليماته إلى هيدريش : « استكمالا للمهمة التى أسندت إليكم بتاريخ ٢٤ ـ ١ ـ ١٩٣٩ ، أكلفكم بأن تعرضوا علىّ

وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والماديـة لتحقيق الحل النهائى الذى نتطلـع إليه للمسألة اليهـودية في منطقة النفوذ الألمانى في أوروبا ».

[المصدر: هيلبرج، المرجع السابق، ص ـ ٤٠١ (الطبعة الثانية)].

وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيـدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق مـا كـان يطبق في ألمـانيـا على أوروبـا نظـرا للظـروف التى استجدت. مـا لم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقـا لمخطط مسبق. والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى، ولكنه لا يشير في أى لحظـة إلى فكرة« الإبـادة » التى ألصقهـا لـه المدعى العـام في نورمبرج روبرت كمبنر عنـدما أعلن: « بهذه السطور ، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود) ».

وقـد اعترض جـورنج على الترجمـة الإنجليـزية للعبـارة الألمانيـة «الحل الشـامل» بعبـارة «الحل النهائى»، ممـا حـدا بالمـدعى العـام جـاكسون أن يعتـرف بالتـزوير، وإرجـاع العبارة إلى أصلهـا الحقيقى. وهذه الـواقعة التى دمرت نظريـة بأكملها، لـم تتحدث عنها الصحـافة بكلمة واحدة.

وفي ١٠ فبـرايـر ١٩٤٢ ، كتب مسئـول وزارة الخارجيـة الألمـانيـة رادماخير، في رسالة رسمية يقول: « لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى الحصول على أراض جديدة للحل النهائى. وعلى ذلك، فقد

قرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشـرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيار مدغشقر للحل النهائى».

[المصدر: ريتلنجر، الحل النهائى، ص ـ ٧٩].

والمثال الثـانى على هذا التعبير التعسفـى لمعانى الكلمات لتبـرير قضية ما، هو الخاص بمؤتمـر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢٠ يناير ١٩٤٢.

ومنذ بدايـة المؤتمر، لم ينفك هيدريش يذكّر بأنـه قد تم تعيينه في «منصب المسئول المكلف بإعـداد الحل النهائى للمسألة اليهـودية في أوروبـا» وبأنــه «سيكـون من الآن فصـاعـدا المسئــول عن مجمـوع الإجراءات اللازمـة للحل النهائى للمسألة اليهوديـة دون اعتبار للحدود الجغرافية.

ويلخص هيدريش بعـد ذلك السياسـة المعاديـة لليهود التى تمت حتى ذلك التاريخ في الآتى:

أ ـ طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألمانى.

ب ـ طرد اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألمانى.

نص مؤتمر وانسى (٢٠ يناير ١٩٤٢)

«أثناء الحل النهـائى سيسير اليهود تحت إدارة مناسبـة نحو الشرق للاستفــادة بهم في العمل. وسيتم التفـريـق بينهم بحسب الجنس. وسيـرحل اليهود القـادرون على العمل في طـوابيـر ضخمة إلى منـاطق

الأعمال الكبرى لبناء الطرق، ولا شك أن عددا كبيرا منهم سيموت بواسطة الانتقاء الطبيعي.

ومن سيظل منهم على قيد الحياة في نهاية المطاف، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغي معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعي، ينبغي اعتبار تحريرهم بمثابة الخلية المولدة للتطوير اليهودى الجديد. (كما توضحه تجارب التاريخ...).

ويعد بروتوكول وانسى بمثابة المحضر الحرفى للمؤتمر الذى عقد في الفترة من ٢٠ يناير ١٩٤٢، واشترك فيه الوزراء المهتمون إداريا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ. ويتعلق الأمر بنص لم ترد فيه أبدا عبارة غرف الغاز أو الإبادة، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبى.

وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورته التى نشرت في كتاب السيد روبرت كمبنر، فلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيع، والحروف كتبت على آلة كاتبة عادية وعلى ورق من القطع الصغير.

وعلى كل حال، فلا يوجد بها أى إشارة إلى غرف الغاز.

وفضلا عن ذلك، فإن مؤتمر وانسى المنعقد في ٢٠ يناير ١٩٤٢، والذى ادعى طوال أكثر من ثلث قرن أن قرار « إبادة » يهود أوروبا قد

اتخـذ أثناء انعقـاده، اختفى تمامـا من أدبيات أشـد أعداء المطـالبين بمراجعة التاريخ منذ عام ١٩٨٤ . فقـد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تـاريخهم حول هذه النقطة أثنـاء انعقاد مؤتمر شتـوجارت في مايو ١٩٨٤ .

[المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهـور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ١٩٨٥ ، ص ـ ٦٧] .

وقد وصف ياهودا بور في جريدة أخبار اليهود الكنديين الصادرة في ٣٠ يناير ١٩٩٢ ، أن تفسير وانسى كان « تفسيرا أحمق » .

وأشار أحـد المؤرخين المتشـددين وهو جـان كلود بـريساك إلى أن عبارة « الإبادة » قد نقحت وصارت « طردًا » .

وبخصوص أن مسألة « الحل النهائي » للمشكلـة اليهودية وإنها لن تحل إلا بعد الحـرب ، فإن « الملف البني » لصيف عـام ١٩٤١ يشهد على ذلك. فقـد جـاء في الفقـرة المعنونـة « تعليمـات لحل المسألـة اليهـوديـة » ما يلى : « لا يجب أن تتخـذ أى إجـراءات بشأن المسألـة اليهـودية في الأراضـى المحتلة في الشـرق إلا بعـد الحرب ، وستجـد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما » .

[المصدر: هنرى موزى، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية، ١٩٤٩] .

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد ، في وضع ميئوس منـه، فالحلفـاء يدمرون مـراكز الإنتـاج الحربى بقصفهم

لها، ويحطمون طرق المواصلات. واضطر إلى حشد أعداد أخرى للعمل بالمصانع. فكان يعمل في مونوفيتز بالقرب من أوشفيتز ١٠٠٠٠ معتقل، و ١٠٠٠٠٠ عامل مدنى، ١٠٠٠ سجين حرب بريطاني.

وفي ٢٥ يناير ١٩٤٢، وجه هيملر تعليماته إلى المفتش العام لمعسكرات الاعتقال، جاء فيها: «استعد لاستقبال ١٠٠٠٠٠ يهودى ... وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة».

وفي مايو ١٩٤٤، أمر هتلر باستخدام ٢٠٠٠٠٠ يهودى كعمال في البرنامج الإنشائى «جاجر» ومنظمة تودت. فصدر أمر فى ١٨ نوفبر ١٩٤٣. تمنح بمقتضاه علاوة للمعتقلين - حتى اليهود منهم - الذين يبرزون في العمل.

[المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢، ص - ٧٨].

ولا يتعلق الأمر هنا بالجنون أو الخرافة، بل على العكس بواقعية مريرة وقاسية. ولكن هذا وفي المقام الأول يشكل دحضا إضافيا لأطروحات «الإبادة».

ب - الشهادات

أثناء محاكمة أوشفيتز التى جرت فى فرانكفورت في الفترة من ٢٠ ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢٠ أغسطس ١٩٦٥، داخل مسرح كبير واسع، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة، ورغم هذا الإخراج القضائى

فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفـادى الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها .

« كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومـات تقريبا التى توضع عادة تحت تصـرف محاكمـة جنائيـة عادية حتى يتسنـى تشكيل صورة أمينة للـوقائع كمـا حدثت فعـلا أثناء الجـريمة . فكـان ينقصها جثث الضحايا ، وتقارير التشريح ، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة ، وكان ينقصهـا الآثار التى تركهـا المتهمون ، وسلاح الجـريمة ، . . إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة » .

[المصدر: الصفحة ١٠٩ من حيثيات الحكم] .

وسلاح الجريمة كان مع ذلك ، وطبقا للمدَّعين هى « غرف الغاز » ، وهاهم القضاة لا يجدون لها « أثرا » ! .

ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أى إنسان و إلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم .

وحتى عام ١٧٥٧ ، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض . . وكانت هذه حقيقة ثابتة ! .

وكتب أحد القانونيين الأمريكـان الذين أرسلوا إلى « داخاو » بعد أن أصبح معسكـرا أمريكيـا ومـركـزا للمحاكمـات ضـد جرائم الحـرب ، يقـول :

« لقد عشت في داخاو طوال ١٧ شهرا بعد الحرب كقاضى عسكرى

للـولايـات المتحدة، وأستطيـع أن أشهد أنـه لم يكن هنـاك أى غـرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقـة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنـه محـرقـة لجثث المـوتى « ولـم يكن هنـاك أى غـرف للغـاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنـه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لـم نحصل على إذن من السلطات الـروسية التى كانت تشرف على هـذه المنطقة، لزيارتها. . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهـود قد قتلـوا وأستطيع أن أؤكد بعـد ٦ سنـوات على انتهاء الحـرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هنـاك الكثير من اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليـون لـم يتم بلـوغه أبـدا، وأعتقـد أننى مؤهـل أكثر من غيـرى للحديث عن هذا الموضوع».

[المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩، ص ـ ١٥].

ونظرًا لانعـدام أى دلائل خطية ، ووثائق لا يـرقى إليها الشك، فإن محكمة نورمبـرج قد قامت على « شهادات » إن الفـارين الذين شهدوا على وجـود غرف الغاز قـاموا بـذلك ليس على أسـاس ما شـاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه.

والشـاهـد الرئيسى الـذي جيء بـه « لإثبـات » نظريـة المنتصـرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز.

وكان الموجـز الذى أدلى به عند إلقاء القبض عليـه، والذي قامت عليـه اعترافـاته في نـورمبرج، يستجيـب تمامـا لما كـانت تنتظره منـه

المحكمة .

وهاك اعترافه الذى أدلى به بعد حلف اليمين ووقع عليه رودولف هيس في ٥ أبريل ١٩٤٦ :

« توليت قيادة أوسفيتز حتى أول ديسمبر ١٩٤٣ ، وأعتقد أن ٢٥٠٠٠٠٠ ضحية قد أعدموا أو أبيدوا بالغاز أو الحرق ، وأن نصف مليون آخرين قد ماتوا من الجوع أو المرض ، وبهذا يصل عدد القتلى إلى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ، وكان الحل النهائي للمسألة اليهودية يعنى إبادة كل يهود أوروبا ، وقد تسلمت أمر إعداد الإبادة في أوشفيتز في يونيه ١٩٤١ . وفي ذلك الوقت كان هناك ثلاثة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة هى : بلزيك ، وتربلينكا ، وولزيك » .

فكيف بالله تم تسجيل هذه « الشهادة الهامة » دون التحقق منها مسبقا؟

ويشرح هيس نفسه ذلك قائلا : كتبت الاعترافات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التى اعتقلتنى .

وفي كتاب السيرة الذاتية لرودولف هيس جاء ما يلى : « أثناء استجوابى الأول ، انتزعت الاعترافات منى بضربى . ولا أعرف ما فى هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه » .

ولم تتأكد عمليات التعذيب التى تعرض لها هيس للحصول على «أدلة » إلا في عام ١٩٨٣ ، عندما كتب روبرت بتلر كتابه عن « فيالق الموت » ، والذى جاء فيه : « لدى إلقاء القبض عليه ، ضرب ضربا

مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلا له: قل لــه أن يـوقف هــذا الضـرب وإلا فـإننـا لن نحصل إلا على جثــة هامدة!».

محاكمة أوشفيتز

إن مصير المتهم الرئيسي وهو آخـر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى تـوفى قبل بدء المحاكمة، جدير بالاهتمـام، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦٠ بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش. وفي يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة.

وطبقا لمصادر عديدة. رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذى كان يشرف عليه.

ويقرر محامى نورمبرج، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دُسّ له السم أثناء التحقيق.

والمثـال انثـانــي: تقـرير جرشــتين، أحـد ضبـاط النازى وهـــو التقـرير الــذي رفضت محكمة نورمبرج العسكـرية الأخذ بـه كدليل في جلسة ٣٠ ينـاير ١٩٤٦ لعدم جديتـه وما جاء فيــه من تضليل، والذى استخدمه جزئيًا النائب العـام الفرنسى ديبوست، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١.

وطبقًـا لهـذا «الشـاهـد» فإن عـدد الضحــايـا بلغ ٢٥ مليـونًـا من الضحايا! (٦٠٠٠٠ يـوميًا في المعسكرات الثلاثة بيلـزيك وتريبلينكا وسوبيبور).

ورأى فضلا عن ذلك من ٧٠٠ إلى ٨٠٠ شخص مكدسين وقوفًا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أى أكثر من ٢٨ فى المتر المربع !)

والمثال الثالث : وكيما نتمسك بالشهود المشهورين ، نذكر الدكتور ميكلوس نيسزلى ، الطبيب المجرى ، الذى اعتقل في أوشفتيز ، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها ٢٠٠ م ، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢٠م٢ أو ٤٠٠م٢ أو ٥٨٠ م٢ ، أى ٥ , ١ × ٢م أو ٩٠ , ٢م . وهو يؤكد كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤ ، كانت الإبادة بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات ، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٤٤٠١ تشير إلى أن طلبات المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢ ، والوثيقة ٤٤٦٣ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا فى ٢٠ فبراير ١٩٤٣ .

وفي أغسطس ١٩٦٠ ، أعلن معهد التاريخ المعاصر فى ميونخ للصحافة ما يلى : « لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط ، وليس ألمانيا بأى حال من الأحوال » .

[المصدر: دى زيت ، ١٩ اغسطس ١٩٦٠].

أمثلة أخـــرى

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة ٣٠ مايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمبرج ما يلى :

« أقـر بأن تـوقيعي يظهـر في هذه الـوثيقـة. وأطلب من المحكمـة السماح لـي بأن أشرح كيفيـة الحصول على هذا التـوقيع. لقد قُـدمت هذه الوثيقة إليَّ في شكلها النهائي فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقرر مـا إذا كان عليّ أن أوقعها. ولكن رفـض طلبي. . . ثم دخل أحد رجال البوليس البـولنديين أو الروس وقال: « أين أسـرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنـا، أما الأسرة فستسلم فـي الأراضي الروسية». وأنـا والد ١٠ أطفال، ففكرت في أسرتي ووقعت على الوثيقة ».

●●●

ومن بين شهادات مجرمي الحرب، فإن شهادة الجنرال أوهلندورف تعتبر من الشهادات المعبرة بشكل خاص. فقـد كان يدير الجماعات المكلفة بإعـدام المفوضين السيـاسيين في جنوب روسيـا، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكريـة أنه قد تلقى أوامر شفوية لكي يضيف إلى وظـائفه وظيفـة إبادة اليهـود باستخـدام الشاحنـات المجهزة بمعـدات الموت، بما في ذلك النساء والأطفال. وجـاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تمامًا، وتراجع عن تصريحاته السابقة، واعترف بأنه قتل عـددًا من اليهود والغجـر ولكن في إطـار المعركـة ضد العـدو، وليس بمـوجب خطـة محددة لإبـادة اليهـود والغجـر، كما اعتـرف بأنـه قتل ٤٠٠٠٠ شخص وليس ٩٠٠٠٠ كما قال في السابق.

ولم ينبس المؤرخـون النقاد بكلمة واحـدة لدحض هـذه الأقاويل، ولـم تصـدر عنهم أيـة منـاقشة علميـة معـارضـة، ولكن فـرض عليهم

الصمت والاضطهاد .

وطالما استمر هذا الاضطهاد وهـذا القمع تجاه البحوث الانتقادية ، وتـواصل على العكـس تـدفق التمـويل الـوافـر والإشـادة الإعـلاميـة بـالمـدافعين عن هذه المحـرمـات ، فلن ينمحي الشك والأرتيـاب من ذاكرتي .

ولقد مررت بهذه التجربة منـذ ١٤ عامًا ، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التى رفعتهـا ضـدى « ليكـرا » لأننى أدرجت حـرب لبنـان في إطـار منطق الصهيونية السياسية ، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على « ليكرا» بـالمصاريف في محكمـة الـدرجة الأولـى وفي محكمة النقض . فقـد اضطـر نـاشر كتـابى « الشأن الإسـرائيلى » الـذى صـدر عن دار نشـر بابيريس فى ١٩٨٣ ، إلى إعلان إفلاسه فورًا . كما لم يجر توزيع كتابى « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » الذى أصدرته دار نشر الباتيروس في باريـس عام ١٩٨٦ ، تـوزيعًا عاديًـا . فالمكتبـات التى عرضتـه تلقت تهـديـدات بتحطيم واجهـاتهـا . وعـادت معظم النسخ إلى النـاشـر ، واختفى تـوزيعـه تمامًـا . وحتى هـذا الكتـاب « الأسـاطير المـؤسسـة للسيـاسـة الإسـرائيليـة» فلن يسلم من الحملـة المسعـورة للصحـافـة الفرنسية ، ولذلك سأضطر إلى نشره على نفقتى الخاصة في فرنسا ، مع أن هـذا الكتاب قـد تـرجم ويجرى نشـره في إيطـاليا وألمـانيـا وتركيـا والولايات المتحدة وحتى روسيا .

فهـذا الصمت وهـذا الاضطهـاد، وعمليـات القمع ضـد التـاريخ

الانتقادى للجرائم الهتلرية ترتكز على حجج مشينة وكاذبة ، وهى تدليل على أن الجرائم الضخمة التي ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف ، ولم تكن تحتاج إلى أي أكذوبة للكشف عن فظاعتها، وأن الحديث عنها انتقاديًا إنما هو في نظر أعداء التاريخ الانتقادى بمثابة تبرئة هتلر أو التخفيف من حدة جرائمه ! .

فالتدليل على أن جرائم النازى لم تقتصر إلا على اليهود وحدهم وأنها خلّفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو « عنصرية » تشجع على التميز والحقد العنصريين !

ولمقاومة ظاهرة الحقد ضد الباحثين الانتقاديين، فإننا اليوم نسعى إلى إضافة عناصر جديدة بمصادرها ومراجعها إلى هذا الملف على أمل أن تؤدى إلى قيام مناقشة صريحة حول الوقائع الموضوعية لهذا الماضى دون دفعهم مسبقا بالتحيز أو إجبارهم على الصمت . ولا يمكن الإعداد للمستقبل مع مواصلة مشاعر الحقد وتغذيتها بالأكاذيب .

ونقد الشهادات المحققة تاريخيًّا والدراسات العلمية التى تسمح بمنح الرأى العام إمكانية التفكير في جرائم الأمس للحيلولة دون حدوثها غدًا، هو التزام أخلاقى بقدر ما هو التزام علمى .

وحتى الآن ، لم يقدم حتى للفنانين الكبار من ذوى النوايا الطيبة، إلا الأرقام التعسفية والخاطئة . وكم شاهدنا من الأفلام الرائعة التى

شوّهت بذكر الرقم التعسفى للضحايا اليهود في اوشفيتزا . وفي مقابل ذلك ، ما شهدناه من الأفلام بعد التحرير التى تشيد بمن حاربوا ضد النازى ، مثل « المعركة ضد الماء الثقيل » الذى يعالج الاكتشاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المياه الثقيلة في النرويج لمنع وصولها إلى هتلر حتى لا تتاح له فرصة استخدامها في صنع القنبلة الذرية . ونفس الشيء بالنسبة لفيلم «معركة السكك الحديدية » الذى يوضح الكيفية التى خرّب بها عمال السكك الحديدية طرق المواصلات الألمانية لشل حركة تجميع الجيوش الألمانية الغازية . وعلى النقيض من هذه الأفلام ، فكم من مرة أعادوا علينا كل أسبوع عرض أفلام مثل « الخروج » ، و « الهولوكوست » ، و « الإبادة » ، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لها الدموع !

وفيلم الهولوكوست هذا هو أكبر فيلم ساهم فى التلاعب بالرأى العام العالمى والسيطرة عليه ، وهو ما يعتبر جريمة ضد الحقيقة التاريخية ! .

[المصدر: لبيراسيون ، ٧ مارس ١٩٧٩] .

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة . وصدرت مؤلفات مثل « أيام موتنا» لدايفيد روسيه ، الذى جمع فيه بأسلوب روائى بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال .

وحتى مارتن جراى ، في كتابه « باسم كل أبناء جلدتى » والذى

استعان في كتـابته بأحد الكتـاب الفرنسيين الكبار لـوصف معسكر لم تطأه قـدمـاه أبـدًا . وابتـداء من المحفـوظـات المزيفـة لـوزارة قـدمـاء المحاربين التى « اكتشفهـا » سيرج كلارسفيلـد ، وحتى الرؤيا القيـامية الخاطئـة لإيلى فينزل (الحائز على جـائزة نوبل) الذى يقـول إنه « رأى بعينه » لهبا ضخمًا يصعد من حفرة في الهواء الطلق « حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال » ! .

[المصدر: إيلى فينزل، أقوال أجنبى، باريس ١٩٨٢ ، ص ـ ١٩٢] .

وذروة هذه الأدبيـات الرومـانسية ، هو كتـاب « يوميـات آن فرانك » الذى حقق أحسـن المبيعات عالميًّـا ، (وآن فرانك فتـاة يهوديـة كانت معتقلة في أحـد المعسكرات) . وفى هذا الكتـاب المؤثر تحل الـرواية محل الواقع ، ومرة أخرى تخفت الأسطورة في ثياب التاريخ .

ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيـدا رفنج عن هذا الكتاب : « لقد وافق والد آن فـرانك أخيرًا والذى راسلتـه عدة سنوات ، على إخضـاع أصول كتاب « اليـوميات » للفحص المعملى وهو مـا أطالـب به دائما عنـدما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما » .

وكان المعمل الذى فحصت فيه أصـول الكتاب هو معمل البوليس الجنـائى الألمـانى في فيسبـادن . وكـانت النتيجـة التى تـوصل إليهـا المعمل هى أن جزءا من يوميات آن فرانك كتب بقلـم جاف (وهذا النوع من الأقلام لـم ينـزل الأسواق إلا في عـام ١٩٥١ ، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام ١٩٤٥) .

ويستطرد دافيدارفنج : وكان استنتاجي بشأن يوميات آن فرانك ، هو أنّ الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها . تولى أباها أوتو فرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنته المأساوي من جراء التيفوس داخل معسكر الاعتقال. وقد قام الأب وأشخاص آخرون لا أعرفهم بتصحيح « اليوميات» لإعطائها شكلاً صالحًا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد .

أما أنه وثيقة تاريخية، فهذا الكتاب ليس له أية قيمة لأن النص قد شُوه وحُرّف ».

وهذه البضاعة الإبادية لا تستخدم إلا شهادات تشير بطرق نختلفة إلى قتل الضحايا بالغاز، دون أن يوضحوا لنا أبدًا طريقة تشغيل غرفة غاز واحدة (والذى أثبت لوختر استحالة ذلك ماديًا وكيميائيًا) ، أو شاحنة واحدة من تلك الشاحنات التى استخدمت بطريقة انبعاث الديزل منها، كغرف غاز متنقلة .

جـ- سلاح الجريمة :

لو انطلقنا من وجهة النظر الموضوعية المفروضة في محاكمة جنائية ، فسيكون من الأهمية بمكان سماع أقوال الخبراء بشأن عدد كبير من الأسئلة ، حتى ولمجرد تكوين فكرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من « الوثائق ». ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة :

ـ كم من الـوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلـون ب ، وما هى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟

ـ كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية ، أو بتهوية لاحقة للاستعمال مباشرة)؟

ــ هل كان من الممكن كمـا يؤكـدون ، الدخـول دون كمامـة (أو: كمامات) إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب ، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟

ـ هل كـان من الممكن حرق الجثث بالكـامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟

ـ هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .

ـ هل من الممكن حـرق جثث بشريـة في حفر عمقها عـدة أمتار، وفي حالة الإثبات ، في كم من الوقت؟

ولكن وحتى الآن لم تصدر أى وثيقة إثبات .

ونطرح هنا مثالين اثنين :

● المثال الخاص « بغرف الغاز المتنقلة » بواسطة الشاحنات .

● والآخر خاص بالصابون المصنـوع من الدهن البشرى . (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى) .

[المصدر : الديلي تلجراف ، لندن ، ٢٢ مارس ١٩٤٦ ، ص ـ ٥] .

وقد انتشرت قصـة عمليات الإبادة « بغرف الغاز المتنقلـة » والمؤلفة من الشاحنـات التي أبيد فيها آلاف الناس بتـوجيه مخارج الديـزل نحو الداخل ، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربى ، عندما صدرت في جريدة النيويورك تـايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣ ، الصفحـة السابعة . (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع سوى الصحافة السوفيتية) .

وهنا أيضًـا ، فإن سلاح الجريمـة (وهو مئات أو آلاف الشـاحنات المجهزة لعمليـات القتل هذه) قـد اختفى . ولم تظهر واحـدة منها في أى محاكمة كدليل إثبات .

ويلاحظ كذلك أن خطة « الإبادة » كان مقدرًا لها أن تظل سرًا مطلقا كمـا قـال هيس ، فمن الغـريب أن يعلم بـه آلاف سائقى الشـاحنـات وأعوانهم الـذين تسلموا الضحايـا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطـريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا « السر الفظيع » .

وروج فيزنتال لخـرافة « الصابون البشرى » في مقالاتـه المنشورة عام ١٩٤٦ في جـريد الطـائفـة اليهوديـة النمسـاويـة درنيوفنج (الطـريق الجديد) ، كتب يقول : لقد سمعت العبارات المخيفة « النقل من أجل الصابـون » لأول مرة في أواخر عـام ١٩٤٢ . وقد تم هذا في الحكـومة العـامـة (لبولنـدا) وفي المصنع الـذى كـان كـائنـا في جليسى ، في بلـزيك . ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مـايو ١٩٤٣ ، استخـدم ٩٠٠٠٠٠ يهودى كمواد أولية في هذا المصنع» . وأضـاف أنه بعد تحويل الجثث إلى موادها الأوليـة ، استخدمت البقايا الدهنية لإنتـاج الصابون» . ثم

قال: ولا يمكن للعلم المتمدن أن يتصور سرور النازى بهذا الصابون وفرحة زوجاتهم به، هذا الصابون يحمل الحروف RIF وهو رمز على «مكتب الرايخ للتموين بالمواد الدهنية» وقرأ البعض هذا الرمز خطأ على أنه RTF، أى «دهن يهودى صافى» وبعد ذلك انتشرت الإشاعة كالريح.

وتوجد ثلاث وثائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنًا، بوضع حد للجدل بشأن «غرف الغاز» وهى: «تقرير لوشتر» (٥ أبريل ١٩٨٨)، ومعاينة كراكوفى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠، ووثيقة جرمار رودولف (١٩٩٤)، لأنها هى الوحيدة التى تكشف عن نهج علمى وموضوعى، وتتضمن تحليل العينات المأخوذة على الموقع، مما يتيح التحليل الكيميائى.

والزيكلون ب، المصنوع من حامض السيانيدر، هو الذى زعم أنه.. قتل عددا كبيرا من المعتقلين بالغاز. وهو عادة ما يستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التى يخشى منها أن تنشر الأوبئة، ولا سيما التيفوس، وقد استخدم ابتداء من الحرب العالمية الأولى لأول مرة، ولكنه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الإعدام في أحد المحكوم عليهم بالإعدام في أريزونا عام ١٩٢٠. ثم استخدمته ولايات أمريكية أخرى لنفس الغرض، ولا سيما في كاليفورنيا وكولورادو والماريلاند والمسيسيبى، وميسورى، ونيفادا، ونيومكسيكو، وكارولينا الشمالية.

[المصدر: تقرير لوشتر (رقم ٩٠٠٤).

وقد عمل المهندس لوشتر كخبير استشارى لولايات ميسورى وكاليفورنيا وكارولينا الشمالية. وقد تخلت ولايات كثيرة اليوم عن هذا النمط من الإعدام بسبب تكلفته الباهظة ليس فحسب بالنسبة لغاز السيانيدر، ولكن بالنسبة أيضا لمواد تصنيعه وصيانته التى تستلزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام.

وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات « غرف الغاز » المزعومة في أوشفيتز - بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية: « إن الفحص العينى للمنشآت تشير إلى أن تصميمها كان رديئًا للغاية وخطرًا إذا ما استخدمت كغرف للإعدام » وخلص لوشتر إلى أن أى من الشروط لم تستوف للقول بأنها غرف الغاز القاتلة. وكان أى إنسان يعمل فيها سيعرض نفسه للخطر، وبعد أن استعرض جميع المواد الوثائقية وفحص جميع الأماكن في أوشفيتز، وبركيناو، وماجدانك، وجد أن البراهين دامغة: فلم توجد في أى من هذه الأماكن غرف غاز قاتل ».

[المصدر : تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨].

وفي أثناء محاكمة تورنتو، كشف المحامى كريستى كم كانت الشهادات « تتعارض مع حقيقة الإمكانيات الكيميائية والتقنية. وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب، كانت أهم بكثير في القاعات التى تأكد أنها كانت مخصصة للتطهير، عنها في القاعات المزعوم أنها كانت « غرف

للغاز» .

[المصدر : المرجع السابق] .

وهذه النتيجة أكدتها جزئيًّا المعاينة المضادة لكراكوفى التى أجراها معهد معاينات الطب الشرعى في كراكوفى بتاريخ ٢٠ فيراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، والتى أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠ .

هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التى استخدمها النازى وفقًا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كمقابر للحرق « للتخلص من الجثث . وشدد على أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات .

أما ألبوم أوشفيتز وهو يضم ١٨٩ صورة أخدت من المعسكر نفسه في ذلك العهد ، والذى قدم له سيرج كلاسفلد ، تظهر ١٨٩ منظرًا للحياة في معسكرات الاعتقال لدى وصول قافلة من المعتقلين القادمين من المجر. وليس فيه أى شيء يثبت الإبادة الجماعية والمنظمة ، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة .

[المصدر : ألبوم أوشفيتز، باريس، ١٩٨٣] .

ويبدو أن الكندى جون بول ، خبير تفسير الصور الجوية ، هو الذى جمع أكبر قدر من المستندات التصويرية الأصلية وأجرى بكفاءة تحليلاً صارمًا لها . وجاءت استنتاجاته متعارضة تمامًا مع التاريخ

الرسمي .

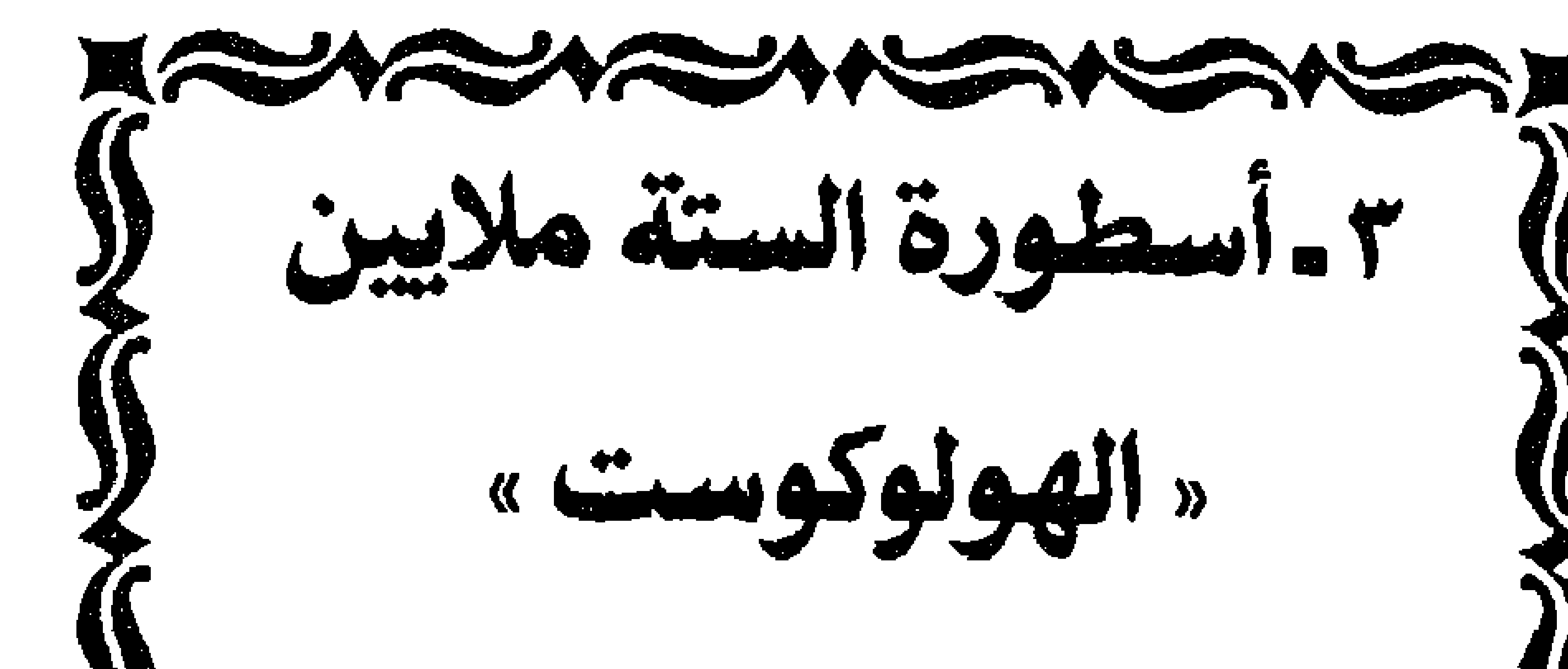
[المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا ، ١٩٩٢].

ولا يمكن لكتاب بريساك المعنون « محارق أوشفيتز » الذى لا يخصص سوى فصل واحد من ٢٠ صفحة لغرف الغاز، والذى لا يشير إطلاقًا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أو يعادل تحليلات لوشتر.

وطالما لم تجر بين خبراء من ذوى الكفاءات المتساوية ، مناقشة علمية وعلنية بشأن المهندس فرد لوشتر ، وبشأن معاينة كراكوفى المضادة، التى جرت في ١٩٩٠ بناء على طلب من سلطات متحف أوشفيتز، وطالما أن مجموع أوراق النقاش حول « غرف الغاز » لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة .

وحتى هذه اللحظة ، فإن الحجج الوحيدة التى استخدمت حيال الرافضين للتاريخ الرسمى ، كانت هى الامتناع عن المناقشة ، والاغتيال، والرقابة والاضطهاد .

●●●



٣ - أسطورة الستة ملايين

« الهولوكوست »

« الإبـادة الجمـاعيـة: هى الإبـادة المنظّمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها».

قاموس لاروس

« وعلى غرار الوعد الإلهى الوارد في التوراة ، فإن الإبادة الجماعية هى عنصر من عناصـر التبرير الأيديولوجى لإنشاء دولة إسرائيل » تـوم سيجيف ، المليـون السابع.

١٩٩٣ - ص ٥٨٨.

عادة ما تستخدم عبارات ثلاث لتعريف المعاملة التى عانى منها اليهود على أيدى النازيين وهى : الإبادة الجماعية ، والهولوكوست والشُواه SHOAH .

ولعبارة « الإبادة الجماعية » معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما ، وذلك بافتراض وجود جنس يهودى كما تدعى العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن .

ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب ، « إبادة جماعية » لليهود ؟ .

ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس . فلاروس على سبيل المثال يعطى هذ التعريف : « الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها » .

ولا ينطق هذا التعريف حرفيا إلا في حالة غزو يشوع لأرض كنعان ، حيث جاء فى سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة مفتوحة « لم يبق بها شريد (أى إنسان حى) » . (العدد ، ٢١ ـ ٣٥) .

وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطريقة خاطئة تمامًا لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادات المقدسة » للعمالقة والكنعايين وغيرهم من الشعوب الأخرى الذى تحدث عنها سفر يشوع بأنها حدثت في عجلون وحبرون : « ولم يبق منهم باقيًا » (يشوع ، ١٠ ـ ٣٧) أو في حاصور : «وأما الرجال فضربوهم جميعًا بحد السيف حتى أفنوهم ولم يبقوا نسمة» . (يشوع ، ١١ ـ ١٤) .

وعلى النقيض من ذلك ، فإن اليهودية (وتعريفها « كنجس » ينتمى إلى القاموس الهتلرى) قد حققت انطلاقة هائلة في العالم منذ عام ١٩٤٥ .

ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التى تقوم على تفوق الجنس الآرى ، وخلطه المتعمد والمنهجى بين اليهود والشيوعية التى كانت عدوه الرئيسى (وهو ما تشهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان ، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) . وأطلق على هذا الخلط عبارة «اليهودية البلشفية » .

وتوخى منذ إنشاء حزبه « القومى ـ الاشتراكى » (النازى) ، ليس فحسب استئصال الشيوعية ، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ، ومن كل أوروبا بعد أن يسيطر عليها . وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعد عن الإنسانية : أولا بالتهجير، ثم بالنفى ، وأثناء الحرب ، بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا أولاً ، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضى المحتلة ، وخاصة في بولندا ، حيث هلك السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربى ، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التى تدل كثرة المحارق على ضخامتها .

فماذا عن الحساب الختامى لهذا التعنت الهتلرى ضد هؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين؟

لقد خلّفت هذه الحرب العالمية الثانية . ٥٠ مليونًا من الموتى منهم ١٧ مليونـا من السوفييت و ٩ ملايين من الألمـان . أما بولنـدا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا ، وكذلك مـلايين الجنود من أفريقيا وآسيا ، فقد دفعوا ثمنًا باهظًا بموت عدد كبير منهم .

وعلى ذلك ، فإن الهيمنـة الهتلـرية لم تكن ، كمـا أشـاعت بعض ألـوان الدعـاية ، حكـرًا على اليهود وحـدهم ، أو أنهم كانـوا الضحايـا الرئيسيين . فقـد كانت كارثة بشـرية لا مثيل لها للأسف الشـديد ، لأن هتلر طبق على البيض مـا طبقه الاستعمـاريون الأوروبيون منـذ خمسة قرون ، على الملـونين ، ابتداء من هنـود أمريكـا ، الـذين استؤصل منهم ٦٠ مليونًـا من ٨٠ مليونًا (وبالأشغـال الشاقة كـذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلـى عشرين مليونًا إلى الأمريكتين ، بعـد أن مات منهم ١٠٠ إلـى ٢٠٠ مليون خـلال فتـرة الرق واصطيـاد العبيد السود .

وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميـع : فالحديث عن « أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ » كان بـالنسبة للاستعماريين الغربيين ، إنزالاً للستـار على جـرائمهم (قتل الهنـود في أمـريكـا ، والـرقيق السـود) ، وبالنسبة لستالين محوًا لآثار عمليات القمع الوحشية التى قام بها .

[المصـدر: بول مـارى دى لاجورس، ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ حرب غيـر معروفـة، باريس ١٩٩٥ ، ص ـ ٥٣٥].

وكانت الغـايات من ذلك غايات سيـاسية وليست غايات حـربية .

فقد كتب تشرشل ابتداء من ١٩٤٨ في كتابه : الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع) : من الخطأ الافتراض بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية » .

ويؤكد الأميرال الأمريكي وليم ليهى في كتابه « كنت هناك » على هذا قائلا : في رأيى أن استخدام هذا السلاح البربرى في هيروشيما ونجازاكى لم يكن عونًا كبيرًا في الحرب ضد اليابان » .

والواقع أن الإمبراطور هيروهيتو كان قد بدأ المفاوضات للاستسلام فى ٢١ مايو ١٩٤٥ ، مع الاتحاد السوفيتي (الذى لم يكن قد دخل الحرب مع اليابان بعد) ، وذلك بواسطة وزيره للخارجية والسفير السوفيتي مالك .

[المصدر: المرجع السابق ، ص ـ ٥٣٢] .

وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين .

وعلى هذا فقد كان الهدف سياسيا لا حربيا ، كما صرح بذلك الوزير الأمريكي للطيران فلنتر شارحًا أن استعمال القنابل الذرية كان هدفه « طرح اليابان أرضًا » قبل دخول روسيا الحرب » . ويلخص الأميرال الأمريكي ليهى في كتابه السابق : « باستخدامنا القنبلة الذرية كأول من استخدمها ، فإننا قد هبطنا إلى مستوى برابرة العصور الوسطى» .

وبالنسبة لكل هؤلاء الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة

دولية مكونة من دول محايدة كمجرمى حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشفوا لأنفسهم حججًا « بغرف الغاز » و « عمليات الإبادة الجماعية»، وهى حجج لم تكن لتخطر على بالهم أبدًا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل.

وكتب المؤرخ الأمريكى أولبريت، الذى كان مديرًا للمعهد الأمريكى للبحوث الشرقية ، في كتابه الأساسى، « من العصر الحجرى إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها »، وبعد أن برر « الإبادات الجماعية المقدسة » ليشوع فى غزوه لكنعان ، يقول « إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين . . لأننا قد أبدنا . . . آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢٠ (ص ـ ٢٠٥) .

وعبارة « هولوكوست » المطبقة على نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فينزل : « الليل » (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم «الهولوكوست»، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثًا استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قد اتخذت طابعًا مقدسًا. ومن ثم فإن « لاروس العالمى » (باريس ١٩٦٩ ، ص ـ ٧٧٢) يعرف الهولوكوست كالآتى: « قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنار تمامًا » .

وبذلك أصبح استشهاد اليهود لا يعادله استشهاد آخر نظرًا لطابعه القرباني الذى أدمجهم ضمن المشروع الإلهى على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحي، مفتتحًا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست ».

ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان ولابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق.

نعم الإبادة النهائية، ومن أجلها كان لابد من توخى الحل النهائى للمشكلة اليهودية الذى صار إبادة.

ومع هذا فلم يتسن تقديم أى نص يثبت أن « الحل النهائى » للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة.

ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية، منذ بياناته الأولى، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير « اليهودية - البلشفية ») ؛ وكانت معسكرات الاعتقال الأولى التى أقامها مخصصة للشيوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف، بما فيهم رئيسهم تيلمان.

أما بالنسبة لليهود، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولاً أنهم من أنشط الحركيين في الثروة البلشفية (تروتسكى، وزينوفييف، كامنيف، . . إلخ)، وأنهم في الوقت ذاته. من أشد الرأسماليين استغلالاً للشعب الألمانى.

وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألمانى نحو الشرق، على طريقة الفرسان التوتونيين، سحق الاتحاد السوفيتى، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية، والذى ظهر إبان سطوته على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس). وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبير من اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف.

ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن « المعاداة السوفيتية للسامية». فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية « المفوضين السياسين» للمشايعين الذين تكفلت الوحدات الخاصة بالقضاء عليهم.

أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم.

وشرع هتلر في ذلك على خطوات هى:

● الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح له بسلب أموال الأغنياء منهم. (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في شركة «ععفرا»

في هذه العملية بالوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية).

● والخطوة الثانية كانت الإبعاد بلا شرط متابعة للمخطط الرامى إلى إرسالهم جميعاً إلى جيتو عالمى، وهو جزيرة مدغشقر بعد استسلام فرنسا. وجرى التخلى عن هذا المشروع لضخامة العملية وصعوبتها في زمن الحرب.

● الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا، ولا سيما بولندا، والذى أمكن التوصل إليه بفضل « الحل النهائى » وهو تفريغ أوروبا من يهودها، بنقلهم بشكل مكثّف إلى معسكرات خارجية، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب، بما فى ذلك التجويع والسير الإجبارى، والمميت للضعفاء، والأشغال الشاقة في ظروف لا إنسانية لخدمة المجهود الحربى الألمانى (وكان معسكر أوشفيتز ـ بيركيناو على سبيل المثال أكبر مركز للصناعات الكيميائية). وأخيرًا الأوبئة، وخاصة التيفوس، التى اجتاحت المعتقلين المنهكين.

فهل من اللازم اللجوء إلى أساليب أخرى لشرح الموت الفظيع الذى حاق بضحايا مثل هذه المعاملة، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة، والاضطرار إلى تخفيضها لاحقًا؟ .

● وكذلك استبدال اللوحة التذكارية بمعسكر بيركيناو ـ أوشفيتز لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟ .

● تغيير لوحة « غرفة الغاز » في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا.

● أو تغيير لوحة « استاد الشتاء » في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ٨١٦٠ وليس ٣٠٠٠٠ كما جاء في اللوحة الأصلية التى تم سحبها .

[المصدر : لموند ، ١٨ يوليه ١٩٩٠ ، ص ـ ٧].

وليس الغرض مسك دفاتر حسابية مؤلمة ومفجعة. فقتل إنسان بريء واحد سواء أكان يهوديًا أو لم يكن ، هو جريمة ضد الإنسانية . ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه الناحية ، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى برقم الستة ملايين ، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين ودرسدن وهيروشيما ونجازاكى لا يجوز الاقتراب منه على العكس من الرقم الذهبى الستة ملايين الذى يحظى بالتقديس ، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة .

وفيما يتعلق بمعسكر أوشفيتز ـ بيركيناو وحده :

● ٩ ملايين وفقًا لفيلم المخرج الفرنسى آلان رينيه « الليل والضباب » ، الذى أخرجه عام ١٩٥٥ ، مع أنه فيلم رائع ومؤثر.

● ٨ ملايين وفقًا « لوثائق خدمة تاريخ الحرب » ـ معسكرات

الاعتقال ، الذى أصدره المكتب الفرنسي للنشر عام ١٩٤٥ ، الصفحة ٧ .

● ٤ ملايين طبقًا للتقرير السوفيتي الذى جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعى وفقًا للمادة ٢١ من النظام الأساسى التى تنص على ما يلى : « تكون للوثائق والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعى » ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن « هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع ، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها » .

● ٢ مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف « ترانيم الحقد »، ١٩٧٤ ص ـ ٤٩٨ .

● مليون وربع حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى راءول هيلبرج، « تدمير يهود أوروبا »، الصادر عام ١٩٨٥ ، ص ـ ٨٩٥ .

والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة، أوجز مدير معهد التاريخ المعاصر في باريس ، السيد فرانسو بيداريدا، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه « تقييم ضحايا أوشفيتز » ، خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥٠٠٠٠ على أقل تقدير و ١,٢ مليون على أكثر تقدير.

[المصدر : لموند ، ٢٣ يوليه ١٩٩٠] .

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى .

فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟

- مليون ونصف طبقـا للوسى داودوفيتش في كتاب « الحـرب ضد اليهود» ، الصادر في عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١٩١ .

- ٣٠٠٠٠٠ حسب لياروش وإبرهارد، ١٩٩١ ، ص ـ ٢١٧ .

- ٥٠٠٠٠ حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .

وهنا يطرح السؤال التالى . ألا يخدم الدعـاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة : إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟ » .

ونفس هذه المغالطـات المريبة بشأن أساليب قتل اليهـود، قد تثير الشك أيضًا :

- فالنيويورك تايمـز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن « مبنى للإعدام » كان يعدم فيها بالرصاص ١٠٠٠ يهودى يوميًا .

- وفى ديسمبـر ١٩٤٥ ، أدخل ستيفـان زينـد اليهـود في حـوض سبـاحـة ضخم يمـر فيـه تيــار كهـربـائى ذو ضغط عـالٍ لصعقهم، ويضيف : « وبهذا فإن مشكلة إعدام ملايين الرجال قد حُلّت » .

- وثيقـة نـورمبرج رقم ٣٣١١ المـؤرخـة في ١٤ ديسمبـر ١٩٤٥ ، وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل « غرف البخار المحرق » .

- وبعـد شهرين ونصف ، استبـدلت نفس هـذه المحكمة غـرف

البخار المحرق بغرف الغاز.

ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الإعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل.

والأمر الذى يؤسف له أن محكمة نورمبرج أو أى محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أى معاينة من أجل التحديد النهائى لسلاح الجريمة.

●●●

وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود «غرفة غاز» واحدة فقط. هى غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدًا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدًا!.

وصدر في ١٩ أغسطس ١٩٦٠، بيان عن مارتى بروزات عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو، أو بريجن ـ بيلسن، أو بوشنفالد.. ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤١ ـ ١٩٤٢... وقبل كل شيء في الأراضى البولندية المحتلة».

وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التى ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا

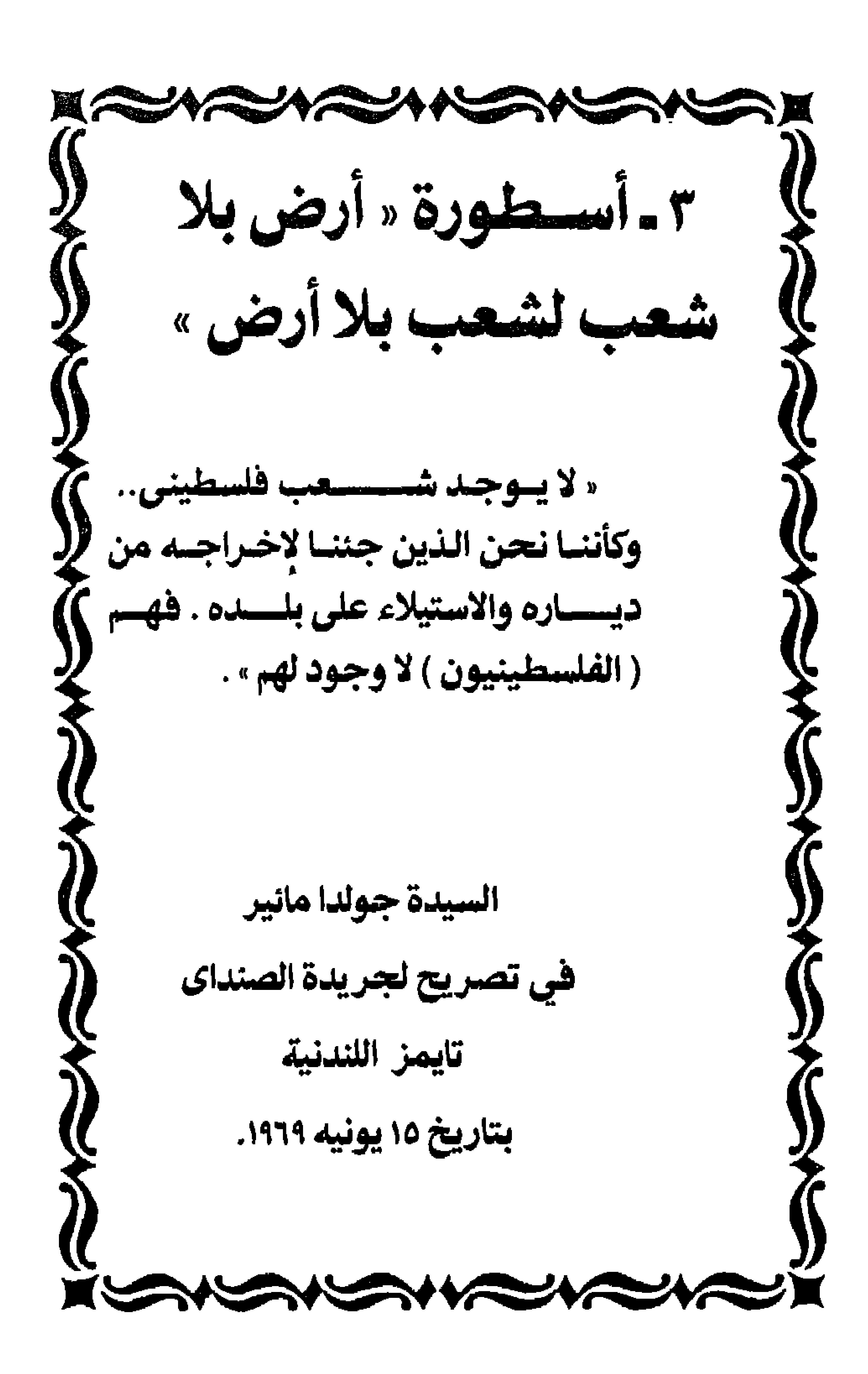
إنسانية خلّفت آلاف الجثث في الطريق، وسوء التغذية، والأوبئة، فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدى النازى؟

وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأى ثمن على هالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح « غرف الغاز »؟.

ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوى النيات الطيبة بين «محارق الموتى» و « غرف الغاز »، ووجود عدد هام من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة، وحرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة « غرف الغاز » إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة « سلاح الجريمة » بالعثور عليها.

وقد خدع الإخراج الذى أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين!.

وكانت غرفة الغاز في داخاو هى الوحيدة التى عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج، بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.



٣ ـ أسطورة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض »

« لا يوجد شعب فلسطيني.. وكأننا نحن الذين جئنا لإخراجه من دياره والاستيلاء على بلده . فهم (الفلسطينيون) لا وجود لهم » .

السيدة جولدا مائير

في تصريح لجريدة الصنداى

تايمز اللندنية

بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٦٩.

ترتكز الأيديولوجية الصهيونيـة على فرضية واهية وجد بسيطة هى أنه قد جاء في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢١) . ما يلى :

« في ذلك اليوم بتّ الـرب مع « أبرام » عهـدًا قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » .

وانطلاقًا من ذلك ، ودون التساؤل عن مـاهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشـروط ، أعلن الزعماء الصهاينة ، حتى ولو كانوا لا أدريين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب .

وتشير الإحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن ١٥٪ من الإسرائيلين فقط هم من المتـدينين . ولكن هذا لا يمنع ٩٠ ٪ منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب . . الذى لا يؤمنون به .

ولا تمـارس الغالبيـة العظمى للإسـرائيليين الحاليين الطقـوس ولا العقيدة الـدينية ، ولا تضـم مختلف « الأحزاب الـدينية » التى تلعب مع ذلك دورًا حـاسمًـا في دولـة إسرائيـل ، سوى أقليـة ضعيفـة جـدًّا من المواطنين .

وشـرح ناثـان وينستوك هـذا التنـاقض في كتابـه « الصهيـونية ضـد إسـرائيل » قـائلاً : لو ألغينـا مفـاهيم « الشعب المختـار » و « الأرض الموعودة» لانهارت الصهيونية من أساسها » .

[المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل ، باريس ١٩٦٩ ، ص ٣١٥].

« إن هذا البلد وجد كوفاء لـوعد أخذه الرب على نفسه . ومن المثير

للسخرية محاسبته على شرعيته . وتلك هى البديهية المسلم بصحتها والأساسية التى وضعتها جولدا مائير » .

[المصدر : لموند ، ١٥ أكتوبر ١٩٧١] .

« لقد وُعدنا بهذه الأرض ، ولنا حق فيها » . كما يقول بيجين .

[المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار ، ١٢ ديسمبر ١٩٧٨] .

ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقة « صيد الهنود » في أمريكا لطردهم والاستيلاء على أراضيهم عندما قال بوضوح : « إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن ، فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة ودينامية موجهة نحو التوسع » .

وتتطابق الممارسة السياسية مع النظرية الغربية التى مفادها : الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع ، خليفة موسى .

وقد أعلن مناحم بيجين ، وهو أشدهم إيمانًا بالتقاليد التوراتية : أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل ، كلها وللأبد » .

[المصدر : مناحم بيجين ، العصيان ، قصة الأرجون ، ص ـ ٣٣٥] .

وهكذا ومنذ البداية ، تضع دولة إسرائيل نفسها فوق كل قانون دولى .

ولما فرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١١ مايو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحدة ، فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هى :

١ ـ عدم المساس بوضع مدينة القدس .

٢ ـ السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم .

٣ ـ احترام الحدود التى وضعها قرار التقسيم .

ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة : « ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، يعتبر باطلاً وكأنه لم يكن » .

وتتطابق السياسة تمامًا مع قانون الغاب هذا : إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدًا .

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن «قاعدته المتقدمة » ، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢٪ من السكان ، ولا يملكون سوى ٦ , ٥ ٪ من الأرض . ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦ ٪ من الأراضى ذات التربة الخصبة . ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة . فقد مارس الرئيس ترومان ضغطًا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية . وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلز : بأمر مباشر من البيت الأبيض ، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة . . لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى » .

[المصدر سومنرويلز ، « علينا ألا نخفق » ، بوسطون ، ١٩٤٨ ، ص ـ ٦٣] .

ويـؤكد جيمس فـورستال، وزيـر الدفـاع آنذاك ، أن: « الأسـاليب المستخـدمـة للضغط ، ولإكـراه الـدول الأخـرى في الأمـم المتحـدة، أشْفَتْ [قاربت] على الفضيحة» .

[المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١ ، ص - ٣٦٣] .

وقد تم أيضـا تعبئة قـوى الاحتكارات الخـاصة لهـذا الغرض . ومع ذلك ، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء من عام ١٩٤٨ .

فكلمـا احتج العـرب على هـذا الظلم ورفضـه، تمـادى الـزعمـاء الإسرائيليون في استغلال ذلك لـلاستيلاء على أراضٍ جديدة، لا سيما يافـا وعكا، بحيث سيطـر الصهاينة فـي ١٩٤٩ على ٨٠٪ من البلاد، وطُرد ٠٠٠ , ٧٧٠ فلسطيني منها .

وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف .

والمـثل الصـارخ على ذلك هـو دير يـاسين . فـفي التاسـع من أبريل ١٩٤٨ ، بطـريقة مماثلـة لطريقة النـازى في أورادور، قتل أهالى هـذه القريـة البـالغ عددهـم ٢٥٤ نسمة (الـرجـال والنساء والأطفـال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التى كان يرأسها مناحم بيجين .

ويقـول مناحم بيجين إنـه بدون « الانتصـار » في دير ياسين، مـا قامت دولة إسرائيل « فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى . . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون : دير ياسين » .

وقـد اعتبـر «غـائبـا» كل فلسطينى غـادر منـزلـه قبل أول أغسطس ١٩٤٨ . وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضى المملوكة للعرب (٧٠٠٠٠ هكتار من ١١٠٠٠٠). وعنـدما صدر فـي عام ١٩٥٣ ، قانـون حيازة العقارات ، حـدد التعويض حسب قيمـة الأراضى في عام ١٩٥٠ ، مع أن الجنيه الإسرائيلى كان قد فقد قيمته بمعدل خمس مرات .

وكانت الأمم المتحدة قد عينت وسيطًا هو الكونت فولك برنادوت ، الـذى وصف في تقريـره الأول السلب الصهيـونى على النطاق الـواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة .

وقدم هذا التقريـر في ١٦ سبتمر ١٩٤٨ . وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨ ، اغتيل الكونت برنـادوت ومساعده الفرنسى الكولـونيل سيرو، في الجزء الذى يحتله الصهاينة من القدس .

ولم تكن هـذه أول جريمـة صهيونية ضـد من يتجاسـر على فضح تضليلهم وغشهم .

فقد أعلن اللورد موين ، الوزير المفوض البريطانى في القاهرة ، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢ ، إن اليهـود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء ، وأنهم لا يملكون المطالبة الشـرعية بالأراضى المقدسة . وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤ ، اغتيل اللـورد موين في القاهرة على يـد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لإسحق شامير) .

كمـا حلـت دولـة إسـرائيل محـل المستعمـرين القـدمـاء وبنفس الأسـاليب في الزراعـة وغيـرها ، وبـذلك تـواصل النظام الاستعمـارى

وتفـاقم . ويعتــرف الـدكتـور روزنفيلــد في كتـابـه «العمـــال العـرب المهـاجرون» الـذى نشرتـه الجامعـة العبريـة في ١٩٧٠ ، بأن الزراعـة العربية كانت أكثر ازدهارًا وقت الوصاية البريطانية منها اليوم .

وظهر التمييز العنصـرى كذلك في إطار سياسة الإسكـان . فقد ذكر إسـرائيل شاحـاك ، الأستاذ بنفس هـذه الجامعـة العبريـة في كتابـه : «عنصرية دولة إسرائيل » (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل ، ونزارت ، وإليت ، وهتزور وأراد وميتزفين ـ رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود .

وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم .

ونحن هنـا في صميم المنطق الصارم للنظـام الصهيونى وهـو كيفية خلق أغلبية يهـودية في بلد تسكنه طـائفة عربية فلسطينيـة من السكان الأصليين؟

وطرحــت السياسة الصهيـونية الحل الـوحيد المنبثـق عن برنـامجها الاستعمارى الاستيطـانى : إنشاء مستعمرة إسكـان بطرد الفلسطينيين ، ودفع عجلة الهجرة اليهودية .

وقد كـان طرد الفلسطينيين والاستيـلاء على أرضهم عمليـة متعمدة ومنظمة . فالصهاينة أيام وعـد بلفور في ١٩١٧ ، كان لا يملكون سوى ٢,٥ ٪ من الأراضى ، ولدى صـدور قرار « تقسيم » فلسطين ، ٦,٥ ٪ أما في عام ١٩٨٢ ، فإنهم كانوا يملكون ٩٣ ٪ من الأراضى ! .

وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضي من سكانها الأصليين، هي نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية.

وقد اتخذت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكي، أي استغلال اليد العاملة المحلية. وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذى كان يستخدمه في زراعته للعنب في الجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مدّ أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربا آخرين هم الفلسطينيون.

وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩٠٥، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩٠٥. فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فروا إلى فلسطين حاملين معهم نوعًا غريبًا من « الاشتراكية الصهيونية ». حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية. ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطيني بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض.

وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هي إنشاء « الصندوق القومي اليهودى » في عام ١٩٠١، الذى كان له طابعه الخاص المتمثل في أن

الأرض التى تقع في حوزته لا يمكن إعادة بيعها ولا تأجيرها لغير اليهود، لأنها أصبحت أراضى إسرائيل ».

وثمة إجراء آخر وهو استخدام « قوانين الطوارىء » التى أصدرها الإنجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب.

وقد احتج القانونى اليهودى برنارد جوزيف ضد هذا التشريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسرائيل. وفيما يتعلق بهذه القوانين كذلك، فإن جوزيف شبيرا أعلن فى مظاهرة احتجاج في شوارع تل أبيب في ٧ فبراير ١٩٤٦، أن هذا التشريع لا مثيل له في البلدان المتمدينة، ولم توجد حتى في ألمانيا النازية قوانين مماثلة ». ونفس هذا الشخص الذى أصبح نائبًا عاما ثم وزيرًا للعدل في دولة إسرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبررًا ذلك بأن حالة الطوارىء لم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل.

وكتب شيمون بيريز في صحيفة دافار بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٧٢ ما يلى: « إن استخدام القانون ١٢٥ (وهو قانون الطوارئ) الذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية ». أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أباح لوزير الزراعة دون التذرع بالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قامت به

القـوى الصهيونيـة من تفريـغ لـلأرض من سكـانها العـرب بـالطـرد والـترويع والمذابح كما حدث في ديـر ياسين عام ١٩٤٨ ، ثم في كفر قاسـم عام ١٩٥٦ ، قد « حرر » أراضي شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب ، وأعطيت للمحتلين اليهود .

ولمحو ذكـرى وجود السكـان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيـد على أسطـورة « بـلاد صحراء » ، دُمِّـرت القـرى العـربيـة وهُدِّمت منـازلهـا وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها . وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قـرية كـانت مسجلة في عـام ١٩٤٨ . وقال وليتسنى الإقنـاع بأن فلسطين قبل إسـرائيل لـم تكن سـوى « صحراء »، دكـت مئات القـرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها» .

[المصدر : إسرائيل شاحاك، عنصرية دولة إسرائيل، ص ١٥٢ وما بعدها] .

واستمر زرع المستـوطنات الإسرائيلية وازداد منـذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية ، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلاسيكية وهي تسليح المستوطنين . وكانت النتيجـة الإجمالية هى الآتـي : بعد طرد مليـون ونصف مليون فلسطيني ، أصبحت «الأرض اليهــوديـة » كمـــا يقـول العـاملـون في «الصنـدوق القومي اليهـودى »، تمثل اليوم ٩٣٪ من فلسطين بعـد أن كانت ٦,٥٪ عام ١٩٤٧ .

وقد حُرِّف « قانون العودة » لصالح اليهود . فأي يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنًا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامـه مطار تل أبيب، أما

الفلسطينى المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية .

ويقولون إن ليس في هذا أى تمييز عنصرى ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود ! .

والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء « بالوعد » . وهذا من حسن الحظ ، لأن اليهود قد لعبوا دورًا بارزًا في كل بلدان العالم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذى وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمى .

فقد كان هناك ٢٥٠٠٠ يهودى عام ١٨٨٠ في فلسطين من بين ٥٠٠٠٠٠ نسمة من السكان .

وابتداء من عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرات الكبرى عقب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية .

وعلى ذلك فمن عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩١٧، وصل ٥٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين . ثم جاء المهاجرون البولنديون ويهود المغرب هربًا من الاضطهاد ، وذلك بين الحربين العالميتن .

ولكن أهم مجموعة ضخمة كانت المجموعة القادمة من ألمانيا بسبب معاداة هتلر للسامية، فوصل نحو ٤٠٠٠٠٠ يهودى إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥ .

وفي عام ١٩٤٧ ، وعشية إنشاء دولة إسرائيل ، كان هناك ٦٠٠٠٠٠ يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة .

وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين . فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو ٦٥٠٠٠٠ عربى يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل . وفي ١٩٤٩ ، لم يتبق سوى ١٦٠٠٠٠ . وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥٠٠٠٠ في نهاية ١٩٧٠ . وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل ، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩ ، دُمِّر ٢٠٠٠٠ منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية .

وكان التعداد البريطانى الذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، قد أحصى ٧٥٧٠٠٠ نسمة في فلسطين ، منهم ٦٦٣٠٠٠ من العرب (٥٩٠٠٠٠ من العرب المسلمين ، و ٧٣٠٠٠ من العرب المسيحيين) و ٨٣٠٠٠ يهودى (أى : ٨٨٪ من العرب و ١١٪ من اليهود) . والجدير بالذكر أن هذه « الصحراء » المزعومة كانت تصدر الحبوب والموالح . فقبل الصهاينة ، كان « البدو » يصدرون ٣٠٠٠٠ طن من القمح سنويا ، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢ ، وبالبرتقال وغيره من الموالح ، وتضاعفت سبع مرات ، فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٤٧ ، وتضاعف الإنتاج عشر مرات فيما بين ١٩٢٢ و ١٩٣٨ .

وجـاء في تقريـر بيل الذي قـدم إلى البرلمـان البريطـانى في يوليـه ١٩٣٧ ، بشأن صـادرات الدول من سـلال البرتقـال الشتوى ، جـاء ما يلى :

فلسطين : ١٥ مليون سلة .

الولايات المتحدة : ٧ ملايين سلة .

إسبانيا : ٥ ملايين سلة .

بلدان أخرى (قبرص ، مصر ، الجزائر ، . . إلخ) ٣ ملايين .

[المصدر : تقرير بيل ، ص ٢١٤] .

وكتبت صحيفـة اديعوت أحرونـوت اليوميـة ، ذات أكبر تـوزيع في إسرائيل تقول :

« منذ السبعينـات ، لم يحدث مثل هـذا التسريع بالإنشـاء والتشييد في الأراضى (المحتلـة) فـاريل شـارون مشغول بـإنشاء مستـوطنـات جـديدة ، وتطـويـر المستـوطنات المـوجـودة ، وبنـاء الطرق وإعـداد مساحات جديدة للبناء » .

ومن الـوهم الاعتقاد في أى « استقـلال ذاتى » حقيقى للفلسطينيين مع الإبقاء على المستوطنات اليهوديـة في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى ، وتسليح المستوطنين ، فهذا يجعل من المستحيل قيام أى سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع .

وتبذل الجهـود الرئيسية لـلاستيطان الاستعمارى في القـدس بهدف جعل قرار ضمهـا بالكامل نهـائيا ولا رجعـة فيه ، وهو مـا شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!) .

إن المستـوطنـات الاستعمـاريـة في الأراضى المحتلـة هى انتهـاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩ ، والتى تنص المادة ٤٩ منها علـى ما يلى : « لا تستطيع القوى المحتلة القيـام بأى نقل لجزء من سكـانها المـدنيين إلى الأراضى التى تحتلها » .

وحتى هتلر لم ينتهك القـانون الدولى ، فهـو لـم يُسكِّن أى مستوطن مدنى ألمانى في الأراضى التى طرد منها الفلاحين الفرنسيين .

وحجة « الأمن » و « إرهاب » الانتفاضة ، هى حجج واهية ، والأرقام تتحـدث عن نفسها في هـذا الصدد : فقـد قتل ١١١٦ فلسطينيا منـذ بداية الانتفـاضة (ثورة الحجارة) ، في ٩ ديسمبـر ١٩٨٧ ، وبرصاص العسكريين والشرطة والمستوطنين .

والمصـادر العسكريـة تتحدث عن مـا يقـرب من عشرين ألفـا من الفلسطينيين الجرحى ، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا .

وحسب المنظمات الإنسانية ، اعتقل ١٥ ألف فلسطينى في ١٩٩٣ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الإسرائيلى . وتوفى ١٢ فلسطينيًـا في السجون الإسـرائيليـة منذ بـدايـة الانتفـاضة وفي ظـروف

غامضة. وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب ٢٠ ألف فلسطيني على الأقل أثناء الاستجوابات.

وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانون الدولي مرجعه نظرة إسرائيل إلى القانون الدولي الذى يعتبر بالنسبة لها مجرد « قصاصة ورق » لا قيمة لها، أو كما يقول « الأستاذ إسرائيل شاحاك»: «لأن هذه المستوطنات، بطبيعتها، تندرج ضمن نسق متكامل، من النهب والسلب، والتفرقة والفصل العنصرى ».

[المصدر: المرجع السابق، ص-٢٦٣].

●●●



ثالثًا
الاستخدام السياسى للأسطورة

١ ـ اللوبى فى الولايات المتحدة

« إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكُثير تأثيره في بلده » .

بول فندلي «يتجرؤن علي الكلام» ؛ ص ٩٢

كيف أثارت هذه الأساطير العقائد التى يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟

ــ بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام . وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد .

ففى الولايات المتحدة حيث يعيش ٦ ملايين من اليهود ، فإن الصوت الانتخابى اليهودى » يمكن أن يكون حاسمًا ، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل ، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط .

وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتى تتوقف إلى حد كبير على « مظهر » المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون ، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه و إمكانيات « تسويقه » السياسى .

وأقوى لوبى معترف به في الولايات المتحدة هو « إيباك » (لجنة الشئون العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية) .

ولقد كانت قـوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشـدها بالفعل عام ١٩٤٢ ، بحيث قرر الاتفـاق الذى أبرم فى فندق بلتيمـور بنيو يورك أنـه ينبغى الانتقال من فكـرة « وطن يهـودى في فلسطين» (وهو الـذى وعـد به بلفـور) ، إلى إنشـاء دولة يهـوديـة ذات سيادة . وهنـا تكمن الازدواجية التى عـرفت بها الصهيونيـة طوال تـاريخها . فالجميع كـانوا يتحدثـون عن «وطن » كما لو كـان الأمر يتعلق بمقـر روحى أو ثقافى ، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في « دولـة » ، كهرتزل نَفسه . وإلى هذا أشـار الجنـرال سمطس ، عضـو حكومـة الحـرب ، عنـدمـا أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥ : « خلال الأجيال القادمة ، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين) » .

وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول : « بينما ويزمان يقول شيئا ، وأنـت تفكر أن هذا الشيء هو « وطن قـومى يهودى » ، فإنه يرمى إلى شيء آخـر مختلف تمـامـا ، إنـه يتطلع إلى دولـة يهـوديـة ، وإلى إخضاع السكـان العرب لحكم اليهود . إنـه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار ، وبحماية الضمان البريطانى » .

وقد شرح ويزمـان بوضوح للحكومة البريطانيـة أن هدف الصهيونية هو إنشـاء « دولة يهودية » (بهـا أربعة أو خمسة ملايين يهـودى) . وقد أعطاه لـويد جورج وبلفور التأكيـدات على أنه باستخـدام عبارة « وطن قومى » فى إعلان بلفور ، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية » .

وفي ١٤ مـايو ١٩٤٨ ، أعلن بن جـوريون في تل أبيب استقـلال : «الدولة اليهودية في فلسطين والتى ستسمى : إسرائيل » .

وحول الاختـلاف في الرأى بين بن جوريـون الذى كان يـرى أنه من الـواجب على كل يهودى في العـالم القدوم للعيش في هـذه الدولـة ، وبين المنادين بـأن نشاط اليهود في الـولايات المتحـدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها ، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك ، ولم يستقر في إسـرائيل سوى ٥٤٠٠ يهـودى من بين ٣٥٠٠٠ أمريكى أو كنـدى هاجروا إلى إسرائيل .

[المصـدر : ملفين روفيسكى ، اليهـوديـة الأمـريكية وإسـرائيل ، نيـويـورك ، ١٩٧٨ ، ص ـ ٢٦٥] .

وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبى .

وعن قوة اللـوبى الصهيونى « والصـوت الانتخابى اليهـودى » صرح الرئيس ترومان نفسه أمام مجمـوعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦ : « آسف أيها السادة ، ولكن علىّ أن أستجيب لمئات الآلاف من الناس الـذين ينتظـرون فـوز الصهيـونيــة ، وليس لـدى آلاف العـرب من بين ناخبي» .

[المصـدر : وليم إيــدى ، روزفلت وابن ســعود ، نيـويـورك ، ١٩٥٤ ، ص ـ ٣١] .

ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلى على ذلك بقوله :

« إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابى اليهودى ، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى » .

وقد أوقف أيزنهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلى في عام ١٩٥٦ (بدعم من الزعماء الإنجليز والفرنسيين) على قناة السويس .

ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة . ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦٠ أن تبيّن له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيئًا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم . وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحًا للحزب الديمقراطى ، وحصل على ٥٠٠٠٠٠ دولار لحملته الانتخابية من اليهود ، وعلى ٨٠٪ من أصوات الناخبين اليهود ، عين كلوتزينيك ، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا ، مستشارًا له » .

[المصدر : ملفين روفيسكى ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥] .

وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيويورك في ربيع ١٩٦١ ، قال له كنيدى : « أعرف تمامًا أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين . وأنا أدين لهم بانتخابى . وقل لى ماذا علىّ أن أفعله من أجل الشعب اليهودى » .

[المصدر: ادوارد تيفانان: اللوبى، ص ٥٦].

وبعد كنيدى، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين: « لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه . . إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية فى البيت الأبيض ».

[المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعى، بافالو، ١٩٨١، ص ٦٦].

فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧، وبكل قوة. ومنذ ذلك التاريخ، دافع ٩٩٪ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية. « وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل ».

[المصدر: شالوموا فنيرى، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١، ص-٢١٩].

وفى نوفمبر ١٩٨٧، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل.

وحذا البرلمان الأمريكى حذوه. ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط « الإيباك »، وسلّم إسرائيل طائرات الفانتوم التى طلبتها. وبناء على ذلك، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام.

وعندما حضرت جولدا ماير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩،

شبهها نيكسون «بديبورا التوارتية » وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل .

[المصدر : ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥ ، ص ـ ١٨٥].

وسلم نيكسون لإسرائيل ٤٥ طائرة فانتوم إضافية إلى جانب ٨٠مقاتلة سكاى هوك .

وتوفى عبد الناصر فى ٢٨ سبتمر ١٩٧٠ ، عرض السادات السلام مع إسرائيل . ورفض موشى ديَّان ، وزير الدفاع ، على الرغم من معارضة وزير الخارجية أبا إيبان .

وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، شن السادات الحرب التى سميت باسم «يوم كيبور » (حرب أكتوبر) والتى دمرت سمعة السيدة جولدا مائير واضطرتها إلى الاستقالة في ١٠ أبريل ١٩٧٤ ، وكذلك موشى ديان .

ورغم ذلك ، أحرز لوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرًا كبيرًا بالتعجيل بتسليح إسرائيل : ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس .

[المصدر: نيف ، محاربو القدس ، ص ـ ٢١٧].

وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية .

وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم.

أما مسيرة جيمي كارتر فكانت موضوعة: ففى معبد اليزابيث في نيوجرسى ، وكان مرتديًا ثوبًا فضفاضًا من القطيفة الزرقاء، أعلن:

« إننى أعبد نفس الرب مثلكم. ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم». وختم يقول: إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة، ولكنه واجب أخلاقى ».

[المصدر : التايم، ٢١ يونية ١٩٧٦].

وفي نوفمبر ١٩٧٦ ، حضر ناحوم جولدمان، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه، فانس وبريجينيسكى، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة: حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة ».

[المصدر : شتيرن ، نيويورك، ٢٤ إبريل ١٩٧٨].

وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هامًّا في اللوبى منذ أيام ترومان، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسى كانت « قوة مدمرة غاشمة » وعقبة رئيسية « أمام السلام في الشرق الأوسط».

وكان بيجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته، وإن

استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له .

وبعد مضى ست سنوات، أكد سيروس فـانس هذه المقابلة وقال : لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى ، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكـان القدرة على ذلك، وأن ذلك قـد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية » .

[المصدر: اللوبى، ١٩٨٧ ، ص-١٢٣].

وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨)(حيث عقـد السـادات سلامًـا منفـردا مع إسـرائيل، لا يمس الضفة الغـربية (يهودا وسـامرا، الأراضى التوراتيـة حسب قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء ، وهى بالنسبة لبيجين ، ليست بأرض توراتية .

[المصـدر: ستيفان إسحـاق، اليهـود والسيـاسة الأمـريكيـة، ١٩٧٤، ص- ١٢٢].

وكـان كـارتـر في عـام ١٩٦٨ ، قـد حصل على ٦٨٪ من أصـوات اليهـود ، وفي عـام ١٩٨٠ لم يحصـل إلا على ٤٥ ٪ فقط، لأنـه بـاع طائرات ف ١٥ لمصـر وطائرات أواكـس للمملكة العـربية السعـودية، رغم تأكيداتـه أن هذه الطائرات لـن تستخدم أبدا ضـد إسرائيل . ورغم ذلك فقد هـزمه ريجـان في ١٩٨٠ الذي أفـرد وعلى العكس منه ٦٠٠ مليـون دولار من الائتمـانـات العسكريـة لإسـرائيل . وقـد شجع ذلك بيجين على تـدمير المحطـة العـراقية النـووية، التـى بناهـا الفرنسيـون

متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة : « لن يكون هناك هولوكوست آخر أبدا ». وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى .

وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، ضم بيجين الجولان . واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢ ، فثار بيجين وقال : هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟ » .

وفي السنة التالية ، اجتاح بيجين لبنان . وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي ، الضوء الأخضر لهذا الغزو الذى يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان .

[المصدر : زيف شيف ، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤] .

وقلة هم الأمريكان الذين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هى التى انتقدت حرب فيتنام . ولكن مذابح صبرا وشاتيلا ، تحت سمع وبصر شارون وإيتان ، والصور التى عرضها التليفزيون ، أجبرت اللوبي اليهودى على الكلام والخروج عن الصمت . وانتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى هرتزبرج ، وعدد كبير من الحاخامات، بيجين فى أكتوبر ١٩٨٢ . واتهم بيجين الحاخام شندلر، الذى أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه « أمريكى أكثر منه يهوديًا » واتهمه بعضهم بأنه عميل .

وبهذه المناسبة ساند المسيحيون الصهاينة فى الاعتداء الإسرائيلى، وتسلم رئيسهم جيرى فالول، أعلى الأوسمة الصهيونية وهى جائزة جابوتينسكى على ما أداه من خدمات لإسرائيل، بالإضافة إلى ١٠٠ مليون دولار من الدولة الإسرائيلة و : ١٤ مليون دولار من مؤسسة سواجيرت.

[المصدر: التايم، ١٧ فبراير ١٩٨٦].

وبهذا أصبحت القوة المالية، وبالتالى السياسية في عالم يباع فيه كل شيء ويشترى، هى القوة الحاسمة والفاصلة.

ومنذ عام ١٩٤٨، ، قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية.

[المصدر : مجلة التايم، يونيه ١٩٩٤].

●●●

وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في :

١ ـ التعويضات الألمانية والنمساوية.

٢ ـ السخاء غير المشروط للولايات المتحدة.

٣ ـ تحويلات أبناء « الشتات».

بـدأوا في وضع تصـور لسياستهم الخـارجيـة قائمـة على تطلعـات طموحة لإنشاء « إسرائيل الكبرى »

والشـاهـد على ذلك، المقـال الـذى نشـرتـه مجلـة « كيفـونيم » (التوجهـات) التى تصدرها في القـدس المنظمة الصهيونية العـالمية، وعنوانه : الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات ».

« إن مصر بوصفها جسـدًا مركزيًا، فإن هذا الجسـد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين. كما أن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافيـة منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى في التسعينات، على الجبهة الغربية.

فإذا مـا تفككت مصر وحـرمت من السلطة المـركزيـة، فإن بلدانـا أخرى مثـل ليبيا والسودان وغيـرهما مـن البلدان الأبعد، ستعـرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيـد مصر، هو مفتاح الحل لتطور تـاريخى تأخـر اليوم بسبب اتفاق السـلام، ولكن لابد منـه على المدى الطويل.

ورغم المظاهـر، فإن الجبهة الغـربية تمثل مشاكل أقـل من مشاكل الشرق. ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات . . . ما سيحدث في العالم العـربى بأسره. وتفكك سـوريا والعراق إلى منـاطق محددة على أسـاس المعاييـر العرقيـة أو الدينيـة ينبغى أن يكون على المـدى

الطويـل هدفا ذا أولـوية لإسـرائيل، على أن تكون الخطـوة الأولى هي تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين .

فالهيـاكل العرقيـة في سوريـا تعرضهـا للتفكك الذى قـد يؤدى إلى إنشاء دولـة شيعية على طول السـاحل، ودولة سنيـة في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغـب فى تشكيل دولته الخاصة به ـ وربمـا فـوق هضبـة الجـولان ـ وعلى أى حـال مع حـوران وشمـال الأردن . . . ومثل هـذه الدولـة ستصبح على المدى الطـويل، ضمانـا للأمن والسلام في المنطقة . وهو هدف في متناول يدنا بالفعل .

والعـراق الغنى بالبتـرول، والمـرتع للمنازعـات الـداخلية هـو خط التسـديـد الإسرئيلـى . وتفكيكه سيكـون بـالنسبـة لنـا أهم من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل » .

[المصدر : كيفونيم، فبراير ١٩٨٢ ، الصفحات ٤٩ ـ ٥٩] .

ورد النص الكـامل باللغـة العبريـة وتـرجمته الفـرنسية في كتـاب : فلسطين : أرض الـرسالات السماويـة ، باريـس ، ١٩٨٦ ، الصفحات ٣٧٧ وحتى ٣٨٧) .

وعندمـا تصبح أهداف خطـة كيفونيـم بعيدة التحقيق، والمجـابهة محفوفـة بالمخـاطر، فإن اللـوبى الإسرائيلى كان ينجح دائمًـا في دفع الولايـات المتحدة إلى القيام بـالعملية . والحرب ضـد العراق هى مثل صارخ على ذلك .

فقد قامت مجموعتان من مجموعات الضغط إلى دفع الولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان :

١ ـ اللوبى اليهودى ، لأن القضاء على صدام حسين سيزيل خطر أقوى بلد عربي . . .

٢ ـ لوبى رجال الأعمال ، الذى كان يعتقد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكى . .

[المصدر : آلان بيرفيت، بيرفيت ، الفيجارو، ٥ نوفبر ١٩٩٠].

وكان الزعماء الصهاينة لا يخفون الدور الذى يلعبه اللوبى ويمتدحونه ويشجعون عليه في جميع أحاديثهم .

ولكن الخلط بين اليهودية كدين محترم كغيره، وبين الصهيونية السياسية التى تفترض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل التى حلت محل « رب إسرائيل » سيؤدى حتمًا إلى تغذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الإسرائيلية .

« منذ عقود ، يحاول اليهود الأمريكان جاهدين إقناع الرأى العام الامريكى أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة . ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك ، فالولاء المزدوج قد اتضح » .

[المصدر : هارتيس ، ١ ديسمبر ١٩٨٥].

والأمثلة على أن اللوبى الإسرائيلى قد نجح في فرض موقف مضاد

للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر لها، وهناك من الأدلة ما يشير إلى الكيفية التي جعلت مطالب الإسرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة:

كان رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، السناتور فولبريت، قد قرر مثول القادة الصهاينة الرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C . B. S في أكتوبر ١٩٧٣، قائلا: « إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ»، وأضاف: « إن زملاءنافي مجلس الشيوخ وبنسبة ٧٠٪ منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبي وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مبادىء الحرية والقانون ».

وفي الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ.

ومنذ ذلك التاريخ، زاد اللوبي من سيطرته على السياسة الأمريكية. وقد وصف بول فندلي اللوبي الصهيوني وقوته وهذا « الفرع الحقيقي للحكومة الإسرائيلية » يتحكم فعلاً في الكونجرس ومجلس الشيوخ ورئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والبنتاجون (وزارة الدفاع)، وكذلك في وسائل الإعلام، كما أنه يمارس نفوذه على الجامعات كما في الكنائس ».

وحدث أن ألغى مجلس النواب في ٣ أكتوبر ١٩٨٤، بأغلبية

٩٨٪ ، كل تحـديد للمبـادلات بين إسـرائيل والـولايات المتحـدة رغـم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات .

وفى ٨ يونيـه ١٩٦٧ ، قذف الطيران والبحـرية الإسرائيليان البـاخرة الأمـريكية « ليبـرتى »، وقتل في هذه العمليـة ٣٤ بحارًا وجـرح ١٧١ ، واعتـذرت الحكومـة الإسرائيليـة عن هـذا الحادث وحفظت القضيـة . وثبت بعد ذلك أن هـذا القذف لم يكن نتيجة خطأ ولكن كـان متعمدًا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجـولان . ويفسر الأميرال توماس مـورر سر التغطيـة على هذه الجـريمة قـائلا : كان الـرئيس جونسـون يخشى رد فعل النـاخبين اليهـود . . . » ويضيف الأميـرال : «وكـان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى » .

وفي أعقاب اقتراح السناتور بـوب دول بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس ، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن ، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قـرار يطالب رابين بالعدول عن قـرار مصـادرة الأراضي في القـدس الشـرقيـة ، استخـدمت الـولايـات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمسـاندة إسرائيل . . . وقد أقلق هذا التصـرف اللوبى الـذي رأى في ذلك عـزلاً للـولايات المتحـدة سيقلل من «مصداقيتها كوسيط وحيد في النـزاع العربى - الإسرائيلى وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين . (جريدة النيويورك تايمز ١٥ / ٥ / ١٩٩٥) .

وفي خلال الاجتماع السنوى للإيبـاك ، شدَّد الرئيس كلينتون ، الذي

دعى لحضوره على ضخـامة المعونة العسكـرية التى تقدمها الـولايات المتحدة لإسرائيل :

« لقد أوفت الولايـات المتحدة بوعدها : فالقوة العسكـرية لإسرائيل الآن هى الأقـوى عنهـا في أى وقت مضى . . وإن تعـاوننـا في مجـال الاستراتيجية والمخابـرات أصبح تعاونًا وثيقًا تمامًا . وأجـرينا هذا العام مناورات مشتركـة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشـآتنا لتخزين المعدات الحـربية في إسرائيل . وقد أبـرم البنتاجون عقـودًا بأكثر من ٣ مـلايين من الدولارات لشـراء معدات عـالية التكنـولوجيـا من شركـات إسرائيلية . . »

[المصدر : ميدل إيست انترناشيونال، ٢٦ / ٥ / ١٩٩٥].

وكل الوسـائل بالنسبـة للوبى الصهيونى مـلائمة وجيـدة ، بدءًا من الضغط المالى وحتى الابتـزاز الأخلاقى مـرورا بمقاطعة وسـائل الإعلام والناشرين ، والتهديد بالقتل .

وفي ذلك يقول فندلى : « إن أى إنسان ينتقـد سياسة إسرائيل ، عليه أن يتوقع عمليـات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقـدان سبل معيشته بـواسطـة ضغـوط اللـوبى الإسـرائيلى . والـرئيس نفسـه يخـاف منـه . والكونجرس يخضع لكل مطالبه . وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجهـا ، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه » .

٢ ـ اللوبى في فرنسا :

« يوجد في فرنسا لوبى قوي مناصر لإسرائيل، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة.

وقد أثارت هذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الوقت وأثارت صخبًا شديدًا، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة

[المصدر : فيليب الكسندر، لمباريزيان ليبيريه، ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨].

ومنذ ذلك الحين ، لم يتخلف أى مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية، مهما كان انتماؤه الحزبى، من ميشيل روكار إلى جاك شيراك، مرورًا بميتران، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة و التغطية الإعلامية.

ولقد وصلت القوة الإعلامية للوبى، ومركزه اليوم الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية « ليكرا »، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتلاعب بالرأى العام على هواها وحسبما يتراءى لها ؛ ومع أن السكان اليهود في فرنسا لا يشكلون سوى نحو ٢٪ من الشعب الفرنسى، فإن الصهيونية تهيمن على غالبية متخذى القرار السياسيين في أجهزة الإعلام والتليفزيون والإذاعة، والصحافة المكتوبة، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها ـ وحتى دور النشر (وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم

فـرض الفيتـو)، فقـد أصبح كل ذلك في أيـديهم، وكـذلك قطـاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام.

ويمكننى أن أطـرح في هـذا الصـدد شهـادتى الخـاصـة: فحتى ١٩٨٢، كـانت أبـواب دور النشـر الكبرى مفتـوحـة على مصـراعيهـا أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى.

وعندما وقع الاعتداء على لبنـان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحريـر السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جـريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيـو، عن مغزى العدوان الإسرائيلى وأبرزنـا المذابح التى وقعت في لبنان، وأوضحنـا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلـى للصهيونية السياسية التى تقـوم عليها دولة إسرائيل.

وتلقيت سواء بخطـابات مغفلة من الإمضاءات أو بـالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل.

ورفعت علينـا « ليكرا » قضيـة بتهمة « العداء للسـامية والتحـريض على التمييز العنصرى ».

وقام دفاعنـا على ما جاء في النص نفسه الذى نشرنـاه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل

بدولة إسرائيل . وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم . وأن معـركتنا ضد الصهيونية السيـاسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية .

وقـام دفـاعى أمـام المحكمـة على مـا جـاء في دراستـى حـول «فلسطين ، أرض الـرسالات الإلهيـة » : إن الصهيـونيـة السياسيـة التى أسسهـا تيودور هـرتـزل (والتى أدانها كل حـاخـامات العـالـم في ذلك الحين بوصفهـا نوعـا من الخيانة للـديانة اليهـودية) ، تنبع من القـومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية .

وعندما سمعت محامى « ليكرا » وهـو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعـادى للساميـة ، عـادت بى الذاكـرة إلى القـدس وأنـا أمام حـائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى بـرزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمي في ذلك الوقت .

كمـا عـادت بى الـذاكـرة إلى أيـام كنت فى معسكـر الاعتقـال مع صـديقي برنـار لاكـاش ، مؤسـس « ليكا » (التى أصبحت « ليكـرا ») والـذى سـاعـدنى في إعـداد محـاضراتـى لأصدقـائنـا حـول « أنبيـاء إسرائيل» .

لقـد فرضت الهيمنـة شبه الكـاملـة على أجهزة الإعـلام في أمريكـا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط

والقلب للمعـانى ، فـالدفـاع عن الـوطن أصبح إرهـابـا ، أما إذا غـزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى « السلام في الخليل » ! .

وقد سبق للجنرال ديجول في عـام ١٩٦٩ أن ندد « بالنفوذ المفرط » للـــوبى الصهيـونـى في جميع أجهـــزة الإعـلام : من الصحـــافـــة إلى التليفزيون ، ومن السينما إلى صناعـة النشر . وقد نجح اليوم هذا النفوذ المفـرط في إجراء عكس تـام للمعـانى ، وأطلق عبارة « إرهـاب » على المقاومة الشعبية للضعفاء ، « والمعركـة ضد الإرهاب » بالعنف الأشد قتلا للأقوياء .

وقد ارتكبنا ، الأب لولون والقس مايتـو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلـط للمعانى . ولكن المحكمـة برأتنا فـي ٢٤ مارس ١٩٨٣ ، ورفضت القضية وحكمت على « ليكرا » بالمصاريف ، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة مـا والأيديولوجية التى تستلهمها ، ولا يتعلق بـالتحريض العنصـرى . . ولكن « ليكـرا » تمادت في غيهـا واستأنفت الحكم ، ولكن المحكمـة العليـا في بـاريس أيـدت الحكم السابق وألزمت « ليكرا » بالمصاريف . وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التى رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف .

واستمرت عملية الخنق خارج المحاكم . فاللوبى الصهيونى يمتلك الوسائل . وبدأت التحركات لكتم أنفاسي في وسائل الإعلام . فلم تقبل

مقالاتى وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحُرم عليَّ الظهور في التليفزيون! لقد حُكم عليّ بالإعدام الأدبى !

ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى «قانون جيسو» على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠ والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الإنسانية، بإضافة المادة ٢٤ مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١، جاء فيها: يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤، كل من ينكر. . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس ١٩٤٥».

وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ.

ومنذ ذلك التاريخ حُرّم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة.

وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير

(وهو نفسه الذى عرض خدماتـه على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الـدولى وقـرارات الأمم المتحـدة) : إن كل يهـودى فـرنسى هـو ممثل لإسرائيل ، وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه . . . رغم أن فكرة الولاء المزدوج ، لـم تدر في خاطرى . . . »

[المصدر: لموند ٩ يوليه ١٩٩٠] .

●●●

لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها . وثمة سوابق تـاريخية ينبغى أن نستقى منهـا العبـر والدروس ، فهنـاك جهود دؤوبـة ومنظمـة تبذل لتشكيل الـرأى العام وصبـه في قوالب ، بعـد أن يصبح مشبعًا « بالمعلومات » التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية .

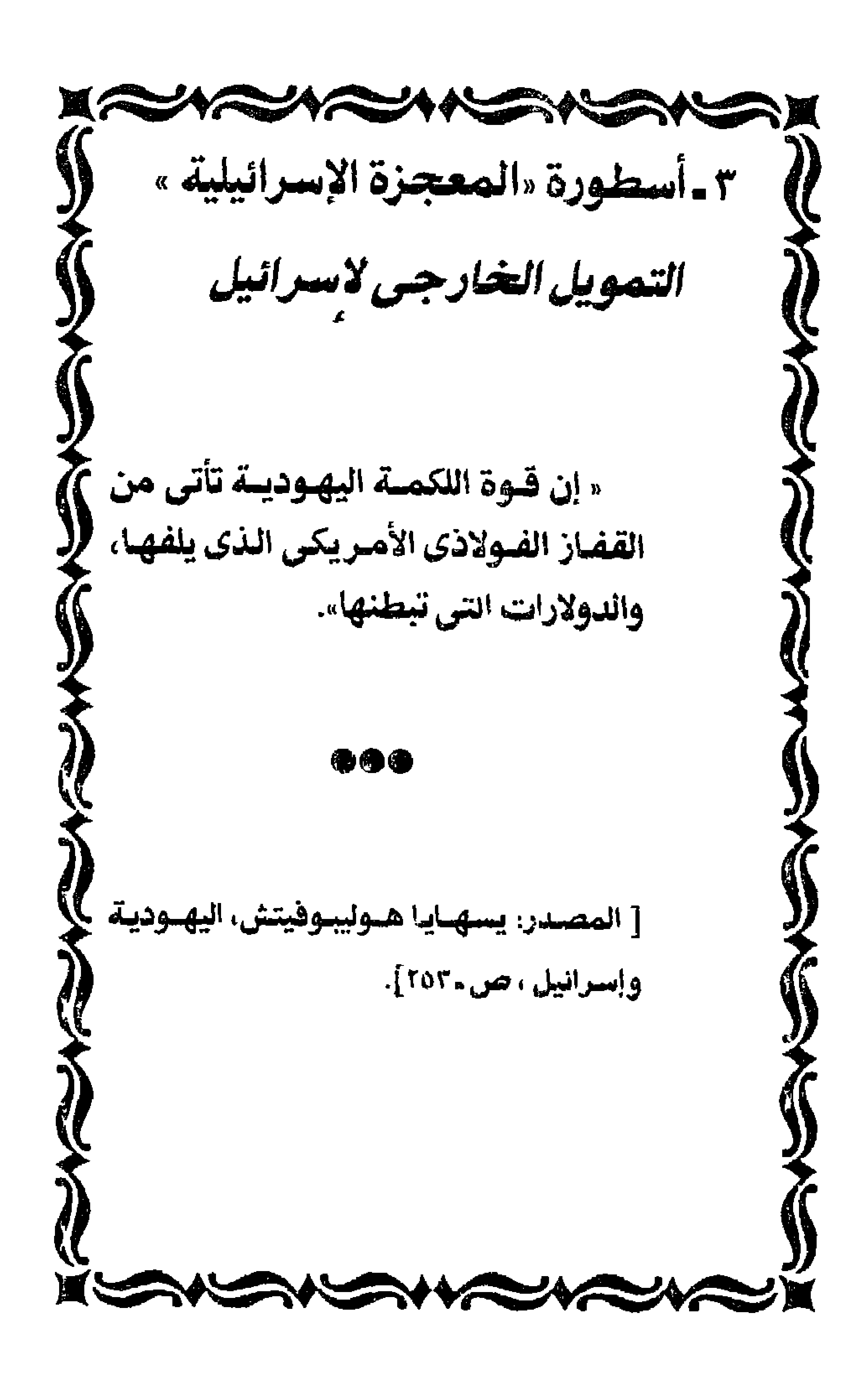
« في بـرلين ، أصبح المسـرح والصحــافـة . . إلخ شأنًـا يهـوديـا : فكبريات الصحف مملوكة لليهود . فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية ، فهذا عين الحقيقة » .

والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حـادث كربنترا الذى وقع في مايـو ١٩٩٠ داخل مقابـر اليهود في مدينـة كربنتـرا ، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت حُرمتها ، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى .

ولا تزال الحقيقة حول كـربنترا لـم تتضح بعد ، وفرض الصمت على

أكثر الشهـود أهمية . وكانت هـذه فرصة لشن هجـوم آخر على كل من تسول له نفســه التشكيك في العقائد التى تضع إسرائيل فـوق كل قانون دولى .

●●●



٣ ـ أسطورة «المعجزة الإسرائيلية»

التمويل الخارجى لإسرائيل

« إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها».

●●●

[المصدر: يسهايا هوليبوفيتش، اليهودية وإسرائيل ، ص ـ ٢٥٣].

وفيما يتعلق بـالمبالغ التى دفعتها ألمـانيا لدولـة إسرائيل ، سأعطى الكلمـة لمن كـان المفاوض الرئيـسى لقيمـة التعـويضات ، السـيد ناحـوم جـولدمـان الذى أورد تفـاصيل ذلك في « سيـرته الذاتيـة» التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبـريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهـمات التـى قمـت بها ، بناء على طلبـه ، وقبـل ذلك بسـنتين ، لـدى جمال عبد الناصر ، بعد حرب الأيام الستة .

« في أوائل عـام ١٩٥١ ، دخلت إسرائيل الحلبـة ولأول مرة بتـوجيه مـذكـرتين إلى الحلفـاء الأربعـة بخصـوص المطـالبـات اليهـوديـة بـالتعويضـات من ألمانيـا الجديـدة والتي بلغت مليار ونصف مليـار دولار ، نصفها من ألمـانيا الغربية والنصـف الآخر من ألمانيا الشـرقية . وقام هذا المبلغ على الأساس الآتى :

« استقبلت إسرائيل خمسمـائة ألف يهودى تقريبًـا ، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحـو ثـلاثــة آلاف دولار. ونظـرا لأن إسـرائيل هى التى أنقذت هـؤلاء الضحايـا من براثن النازيـة ، وتكبدت شخصيًّـا تكاليف مـالية بـاهظة ، فقـد رأت أنها فـي حِلّ من فرض هـذه الطلبات بـاسم الشعب اليهودى ، رغـم أن هـذا لا يقوم على أى أساس قـانونى ، وذلك لأن الدولـة اليهودية لم يكن لهـا وجود عند قيام النظـام النازى» (ص ـ ٢٦٢) .

« وفي ظل هذه الظروف ، توجه إليَّ الوزير الإسرائيلي للخارجية في صيف عام ١٩٥١ ، بوصفي رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين ، وطلب مني الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطاني وفرنسا ، لدعم المطالبات الإسرائيلية وإيجاد السبل لإقرارها . (ص ـ ٢٦٣) .

« وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة ، وافق المستشار الاتحادي كأساس للمناقشة مبلغ مليار دولار. وبعد مناقشات طويلة ، انتهى هذا الجزء من المباحثات بموافقة الوفد الألماني الذي تعهد بأن يوصي حكومته بالمطالبة الإسرائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أي بنسبة تقل ٢٥٪ عما طلبناه) » (ص ـ ٢٧٢) .

« وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يوليه وقدمت التنازل التالي : ١٠٪ من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها » (ص ـ ٢٨٢) .

« . . . وكانت المعاهدات ستوقع في ١٠ سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألماني بلاده ، ووزير الخارجية موشي شاريت ، إسرائيل ، وأنا عن مؤتمر المطالبات » .

« . . . وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الاقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام . وكنت لا أدري ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها ، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها .

فالسكك الحديـدية، والتليفونات ومنشـآت الموانى، ونظم الرى، وفروع بأكملهـا من الصناعـة والزراعـة، ما كانت ستصبح علـى ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألمـانية. وأخيرا، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبـالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بمـوجب قانون التعويضات. (ص ـ ٢٨٦).

« وفى صبيحة يوم وصولى إلى تـل أبيب، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسـرائيلى بن جـوريـون، الـذى استقبلنى وقـد ارتسمت على وجهـه عـلامات الجـدية: « لقـد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجـزتين: إنشـاء دولـة إسرائيـل، والتوقيع علـى الاتفاق مع ألمـانيـا. وكنت أنـا المسئـول عن المعجـزة الأولى، وأنت عن المعجـزة الثانيـة ». (ص ـ ٢٨٤).

[المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، باريس، ١٩٦٩].

وفي كتـاب آخر من كتبـه، التنـاقض اليهـودى، لا يحكى ناحـوم جـولدمـان مفاوضـاته مع ألمـانيا فحسب، بل والكيفيـة التى ابتز بهـا تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب. فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعـوا تعويضـات لليهود » » ويـرد عليه المستشـار: ـ ولكننـا كنا أنفسنا ضحايا الألمـان! » واستطرد جولدمان قائلاً: « فـي هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الـذى يصـور دخـول القـوات الألمانيـة وهتلـر فيينـا في مـارس ١٩٣٨».

وعنـدئذ قـال راب : « موافـق ستأخذون أمـوالكم ! » وكـانت هـذه الأمـوال في حـدود ٣٠ مليـون دولار. وفي وقت لاحق عـاد جولـدمـان وقال : « يجب دفع ٣٠ مليون أخرى ! » فقال راب : لقد اتفقنا على ٣٠ مليـون فقط » . فـرد عليه جـولـدمـان : الآن يجب أن تقدمـوا أكثـر! » وحصل عليها . ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ .

وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض « المعجزة الإسرائيلية » على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النـووى)، مما سـاعد على استحـداث أسطورة داود الصغيـر الذى نجح في أن يقضـى على عدوه العمـلاق جـالوت بنبلـة صغيرة وهى كناية عن دولة إسـرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العـرب مجتمعين. فبالإضـافـة إلى « التعـويضات »، تتمتع إسـرائيل بإمدادات لا حـدَّ لها تقريبا من الأسلحة والأمـوال التى تأتى أساسا من الـولايـات المتحدة حيث لعب اللـوبى دورا فعـالا في ذلك، وكـذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء « الشتات » .

وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر الملياردير‌ات اليهود (كـذا) الذي عقـد في القــدس عام ١٩٦٧ ، أن دولة إسرائيل قـد تلقت في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٦ ، ٧ مليارات دولار.

[المصدر : « الايكونوميست الإسرائيلى »، سبتمر ١٩٦٧].

وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط ،

مليار دولار إلى إسرائيل . (وكانت هذه المساهمات تعتبر « مساهمات خيرية » وتخصم من ضرائب المانح ، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب الأمريكيين !) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة ، والتى ارتفعت « معونتها » إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا) ، نصفها تقريبًا يتحول إلى منح وهبات لا ترد .

وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور.

ويكفى أن نذكر هنا أن معونة « مشروع مارشال » المقدمة إلى أوروبا الغربية فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٤ ، قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار، أى أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه . مائتى مليون أوروبى .

والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التى حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩ ، والذى لم يتجاوز ٣,٦٤ مليار دولار، في الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ١,٧ نسمة، على ٤٠٠ مليون .

وعلى سبيل المقارنة أيضا ، فإن المليارات السبعة التى حصلت

عليهـا إسرائيل في ثمـانيـة عشر عـامـا، كمنح ، تمثل مـا يزيـد على مجموع الدخل القـومى السنوى للعمل في كل البلاد العـربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) ، الذي بلغ في ١٩٦٥ ، ستة مليارات .

وإذا أخذنـا في الاعتبار المسـاهمة الأمريكيـة وحدهـا ، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلى ، و ٣٦ دولارا لكل عربى ! .

[المصدر: جورج قرم، « مالية إسرائيل »، ١٩٦٨] .

وهنـاك مصـدر مالـى آخر مكـون من سنـدات دولـة إسـرائيل وهى صكوك بالدولارات وتباع في الخارج ، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية .

وهذه السنـدات التى بيعت منها نسبـة ٩٩,٨٪ في ١٩٥١ ، داخل أمريكا ثم ٨٠٪ في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلى ما يزيد على ٥ مليارات من الدولارات .

[المصدر: « سندات دولـة إسرائيل » ، ١٩٧٢ ، ص ـ ٢٠٥ ؛ ١٩٨٠ ، ص ـ ١٥٣] .

وبين المنح والسنـدات تلقت دولة إسـرائيل من عـام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٢ ، أحد عشر مليار ونصف من الدولارات .

وممـا يدل على تـواطؤ الحكم مع عـالم المال ، حـدث في فرنسـا وحدها عام ١٩٨٢ ، ما يلى :

« تـولى جى دى روتشيلـد رئاسـة الصنـدوق الاجتمـاعى اليهـودى الموحد؟ وعين دافيد دي روتشيلد أمينا لصندوقه، والعضو الفرنسى في مجلس إدارة الوكالة اليهودية .

وكـان آلان دى روتشيلـد رئيسـا للمجلس التمثيلى للمـؤسسـات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزى .

وعين إيلى دى روتشيلد رئيسا للجنة التنفيذية .

وكـان إدمـونـد دى روتشيلـد رئيسًـا للمنظمـة الأوروبيـة لسنـدات إسرائيل .

وأخيرا كانت أليكس دى روتشيلد رئيسة عالمية لـ « عالية الشباب» .

ولكن كان الارتهـان بالحكـومة الأمـريكية أكبر بكثيـر وخاصـة منذ السبعينات .

فقد كـانت معونـة الحكومـة الأمريكيـة منذ ١٩٤٨ ، المقـدمة إلى إسرائيل قـد بلغت ١٨ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتهـا قد يصيب المـرء بالـدوار: وهى بـوجـه عام أقل من ١٠٠ مليـون دولار حتى عـام ١٩٧٥ ، و٢ مليار حتى عام ١٩٨١ . وفى يناير ١٩٨٥ ، ، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات .

أما بالنسبة للدين الخارجى ، فقد قفز من ٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١٠ مليارات في ١٩٧٦ ، وإلى ١٧ مليار في أول يناير ١٩٨١ ، أى إلى رقم قياسى قدره ٤٣٥٠ دولارا لكل نسمة ! .

وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران . كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الإسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية ، وبذلك دخلت نسبة ٩٦٪ من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) كلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب .

وباختصار ، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع « المعونة » الرسمية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١٠٠٠ دولار. للفرد ، أى كبقشيش يضاف إلى دخله القومى ، وهو يزيد ثلاث مرات على إجمالى الدخل القومى للفرد في مصر، وفي معظم البلدان الأفريقية .

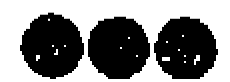
وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش ، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا : « إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه » وذلك لسببين اثنين هما :

١ ـ المصيبة كلها نشأت عن أن كل شيء قد ارتكز حول الوطن والدولة . فإذا كان الوطن والدولة هما الغاية في حد ذاتها ، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم .

« إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان » ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا ، ولكنها جيش يملك دولة » .

٢ ـ ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة .

« والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفـاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمـريكيين فى زى التساحل (الجيش الإسـرائيلى) . وإن قوة اللكمـة اليهوديـة تأتى من القفاز الفـولاذى الأمريكى الذى يلفهـا ، والدولارات *التى تبطنها* » .



خاتمة

أ ـ الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقي الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذى يسعى إلى تبرير ـ وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا ـ أصولها وتنظيمها الاجتماعي، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى.

وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبَّرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة فى مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص.

واكتفاءً منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن « رامايانة » الهند هى أروع صورة للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها « راما » وزوجته « سيتا »، وإحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل «راما»

من اسم الإلـه « رام ». وقـوة هذه الأسطـورة التى تفـوق مجرد السـرد، وصلت إلى حدٍّ جعلها مصـدرا استوحتـه الشعوب في حيـاتها لقـرون عـديدة، وذلك بتعظيمهـا لصورة الإنسـان وآفاق حيـاته. وقـد وضع « فالميكى » بعد ذلك النص الذى يجمع كتـابة أجمل التقاليد الشفهية؛ ثم أعـاد الشـاعـر « تـولسيداس » فـي القرن الخـامس عشـر، كتـابـة الـرامايـانة، وفقـا لرؤيـة صـوفية أعمق، وفى قصيـدة لم تستكمل عن الارتقـاء الإنسـانى. وإلى هـذا فإن اخـر كلمـة لفظ بها غـانـدى عنـد اغتياله، والتى بارك بها قاتله، هى « رام ».

ويصدق نفس الشـىء على المهابارا هـاتا، التى بلغت ذروتهـا في «بهـاجـا فادجيتـا »، حيث يطـرح الأميـر أُرجـونـا، وفي غمرة معـركـة كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته.

وفى حضـارة أخـرى، أى من مفهـوم آخر لعـلاقـات الإنسـان مع الطبيعة ومع غيره من النـاس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتى تنسب كل مأثـوراتهـا الشفهيـة والشعبيـة إلى المـؤلف الـذى أعطـاهـا شكلهـا المكتوب، هوميروس، تعـرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته.

وينطبق هذا أيضًا على « بروميثيوس » لاشيـل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير.

وهنـاك الملاحم الأفـريقية الكبـرى « كسيـدارا»، وكذلك ملحمـة

خروج قبائل الأزتيك ، أو « جوته » الذى جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبى وأطماعه ، أو دستيوفيسكى الذى كتب في قصته « المغفل » رواية جديدة عن حياة المسيح محطما كل أصنام الحياة الحديثة ، وهى شبيهة بتلك الحياة الأخرى للمسيح من خلال مغامرات دون كشوت ، الفارس النبى ، الذى اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التى شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة .

وتلك بعض الأمثلة على « أسطورة العصور » التى تدعو مرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان .

وهي في مجموعها تمثل « التاريخ المقدس » الحقيقى للبشرية ، أى تاريخ عظمة الإنسان ، الذى يحاول تثبيت أقدامه حتى من خلال محاولاته الفاشلة ، كيما يتفوق على عاداته وقدراته .

وهذا التاريخ هو التاريخ الذي كتبه المنتصرون وسادة الإمبراطوريات وقادة الجيوش . وهو تاريخ لا يتحرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء ، وربطها بعجلة انتصاراته .

●●●

ب ـ الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسي :

إن قراءة هذا الكتاب « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» ينبغي ألا تثير لبسا أو غموضا ، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية .

فنقد التفسير الصهيوني للتوراة و « الأسفار التاريخية » (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل ، وسفر الملوك) ، لا يمس بأى حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية . فتضحية سيدنا إبراهيم هى المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التى تماثلها وتضارعها . كما أن «الخروج » سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية ، وعلى نداء الرب الذى لا يقاوم نحو الحرية .

ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص ، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد الله مع الإنسان ، ومع كل الناس ، ووجوده في داخلنا جميعا ، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة « الشعب المختار » الذى اختاره رب متحيز وجزئى (ومن ثَم صنم) ، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح . كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم .

ولم يدر بخلدنـا أبدا وبما عرضناه في هـذا الكتاب الذى وثّقت كل حلقـة من حلقاتـه بمصـادرها ، فكـرة تدميـر دولـة إسرائيل ، بل أردنـا وببساطـة أن نبطل عنها صفة القداسـة ، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بـدلا مغتصبة ، كأرض فرنسا وألمانيـا والولايات المتحدة ، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن .

ولا يتعلق الأمر بإعادة التاريخ وإلى مـا لا نهاية بطلقات المدافع ، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولى لا يخلّد علاقات الغاب .

وفي الحالة الخاصة بالشـرق الأوسط ، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخـذتهـا الأمم المتحـدة غـداة الحـرب الأخيـرة والقـرار ٢٤٢ ، وهى القرارات التى تستنكـر وتمنع التوغل داخل حـدود البلدان المجاورة والاستيلاء على مياهها ؛ والتى تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضى المحتلة ولا شك أن الاستمـرار فى إقامة المستـوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية ، هو احتلال يجعل من المستحيل إحـلال سـلام حقيقى وتعـايش سلمى ودائم للشعبين المتسـاويين والمستقلين ، وهو السلام الذى يرمـز إلى الاحترام المتبادل ، دون ادعاء بملكية القدس ، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث .

●●●

وكذلـك فإن نقد أسطـورة الهولوكـوست ليست بـالعملية الحسـابية الجنائزية لعدد الضحايا ، ولكن الاستغلال السياسى من طرف دولة لم

يكن لهـا وجود عنـدما اقترفـت الجرائم ، والمبالغـة في الأرقـام بصورة تعسفيـة لمحاولـة إثبات أن معـانـاة البعض لا وجه لتشبيههـا بمعانـاة الآخـريـن وإضفـاء القـداسـة عليهـا (وبـالعبـارة الـدينيـة نفسهـا الهولوكوست) ، وهى محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة .

وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة ، الذين أظهروا أنفسهم بمثـابة الضحـايا دون سـواهم ، وأنشأوا على إثـر ذلك دولة إسـرائيل ، ووضعوها فوق كل قانون دولى .

ولا يتعلق الأمر كذلك بـالتشكيك في النوايا الطيبة لمـلايين الشرفاء الذين اعتقـدوا في هذه الأسـاطير الكـاذبة التى روَّجت لهـا كل وسائل الإعلام .

ولذا فإن هذا الكتـاب يهدف إلى إتاحة العنـاصر للجميع لكى تتاح لهم فرصة الحُكم على شرور الأساطير الصهيونية التى تساندها دون قيد أو شـرط ، الولايـات المتحـدة ، والتى تـولد عنهـا حتى الآن (خمسـة) حروب ، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبى على إحدى القوى الكبرى وهى أمريكا ، ومن ثم على الرأي العام العالمى ، تهديدًا مستمرا ودائما لوحدة العالم وسلامه .

●●●

جـ ـ المزيّفون والتاريخ الانتقادى :

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذرى عن كل أنواع التزوير التى ترمى إلى الحطّ من قدر أية ديانة أو طائفة ، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها . وخير مثال على هذا التزييف هو ما جاء في « بروتوكولات حكماء صهيون » وهو العمل الذى نددت به في كتابى : « فلسطين ، أرض الرسالات الإلهية » ، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التى تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتى استخدمت للأسف الشديد على نطاق واسع « ولا سيما في بعض البلدان العربية ، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللإسرائيليين لكى ينددوا ويشجبوا أى نقد لسياستهم في الشرق الأوسط . ولذلك ورغم الإثقال على القارئ الذى يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان ، فإننا لم نقدم أى أطروحة هنا إلا وهى معززة بالمصادر.

●●●

والعرض التاريخى الذى قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا . وهو ككل تاريخ انتقادى وككل علم من العلوم ، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة . فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التى تم الاستيلاء عليها ونقلت إلى الولايات المتحدة ، ولم

يتم جردها بعدُ بالكامل . وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين .

ومن ثَمَّ فما زال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية « إضفاء القداسة » على نصوص نورمبرج ، كانت هشة جدا .

والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم ، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها .

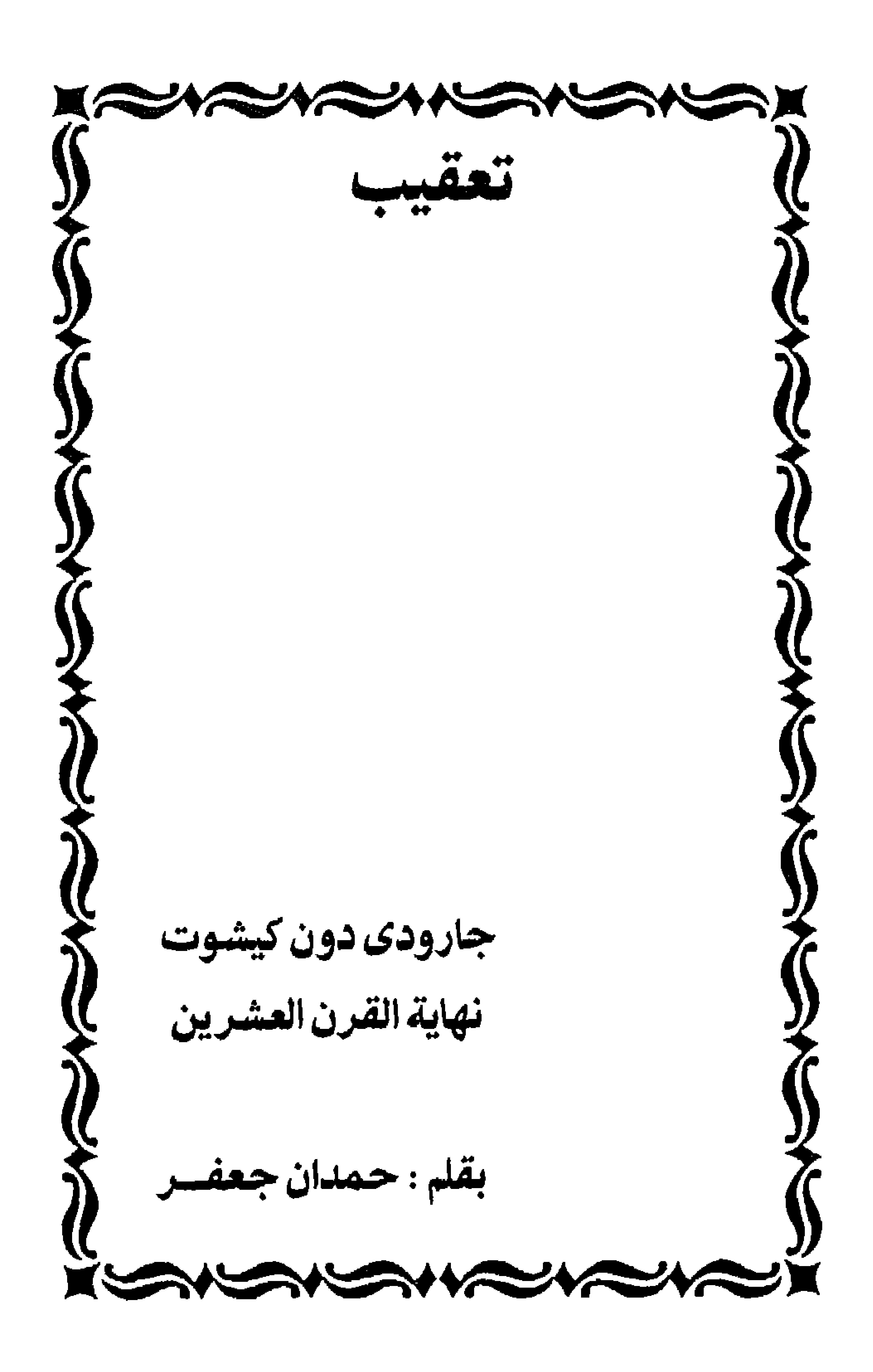
فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة ، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية ، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة . وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا ، ولكن لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالإكراه إلى تزييف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية .

فالأمر لم يقتصر على إغفال موت ١٧ مليون من المواطنين السوفييت ، و٩ ملاين من الألمان ، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقدَّس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست) ، مع إنكار إضفائه على الآخرين .

وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف ، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة و إحقاق الحق ، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية ، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه ، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب . ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية و إقامة البراهين على صحتها .

وهذا هو ما أردنا الإسهام به عند نشرنا لهذا الملف .

●●●



تعقيب

جارودى دون كيشوت
نهاية القرن العشرين

بقلم : حمدان جعفر

يذكـر المفكر الفـرنسى روجيه جـارودى (١٩١٣م) عام ١٩٦٦ فى كتابـه (ماركسية القـرن العشرين) أن الأساطير نـوعان: أساطيـر مغلقة وأخرى مفتوحـة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأسـاطير الحقيقية. . فهل كان جارودى يتنبأ بأنـه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأسـاطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعـرض اليهود لـلاضطهاد من قبل ألمـانيا النـازية؟ وهل كـان يتنبأ أن تجنى عليـه الأسطورة الإسـرائيلية المغلقـة وهـو يتناول هـذا الموضـوع الشائك فى كتابه الحالي «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»؟ .

يعرِّف جارودى الأسطـورة بمعناها الحقيقى بأنها دعـوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبـدو أنه عندما تناول أشـد الأساطير انغلاقا بـالنسبة للزعم القائل إن ألمانيا فى عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. ففى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قـانـون يعرف بـاسم قـانـون (جيسـو) صادر عـام ١٩٩٠ وهـو يقضى بالسجن على كل من يتشكك فى رقم الستـة ملايين يهودى الـذين يقال إن هتلر وأعوانه قد أبادهم .

لقد اتهمه اللـوبى اليهودى فى فرنسا بـأنه معاد للسامية وتطـرفوا فى هذا الصـدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتـابه إلا على نفقته الخـاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على نشر مؤلفاته. وجارودى فى كتـابه الحالى يعد التطـرف المرض الفتاك للإنسـانية فى نهاية القرن العشرين .

والنقطة الشائكة فى كتابه هى تشكيكــه فى أن هتلر أباد بالفعل ستة ملايين يهودى واللوبى الصهيونى يرفض التشكيك فى هذا حتى يضمن للصهيونيــة أن تدعــو لإنشاء دولــة إسرائيل وتحــل الأسطورة السيــاسية العرْقيــة محل الأسطورة الدينية . وهــو يرسم مقارنــة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم فى الحــرب العالمية الثانية وبين الإبــادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبــر عملية إبــادة جماعية فقــد نسى هؤلاء أن هنــاك ستين مليون هندى أمريكى تعــرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليوْن مــن السود الأفارقة تعــرضــوا للقتل من جــرَّاء تجــارة الــرق ، كمــا أن هنــاك ١٧ مليــون من السلاف قتلــوا فى الحرب العالمية الثــانية . وأوضح جارودى هــدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التى تم تخليقها للتمويه وأن اللوبى الصهيونى هــو الذى صنع هذه الأسطورة المزيفــة خاصة أن معسكــرات الاعتقال النــازيــة كــانت تضم بجــانب اليهود البــولنــديين والســوفييت وأن الوفيات التى حدثت فمن جراء سوء التغذية .

ويقول جارودى : إنه لا توجد وثــائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودى فى معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين فى ألمانيا .

والمؤلف يسأل الصهاينة فى كتابه هل تعلَّمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمــه؟ ويرد جارودى بقوله : «**إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ فى البلاد العربية**» .

ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر فى الأفران هم يهود فقط؟ أو هم من جميع الشعوب؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر فى المحرقة كانوا أحياء أو موتى؟

ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف. وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلاً قد ساعد عددًا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانسون من البرد فى المرافئ. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية.

بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية. ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال: **«لم يكن إنقاذ حياة يهود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة»** ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصرى النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم. وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل.

ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى: إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥١ فى حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ .

ويشكك جارودى فى معنى تعبير (الحل النهائى) لليهود فى ألمانيا فالمؤرخون المغرضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائى قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائى للمسألة اليهودية فى أى مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحًا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيونية الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين .

هذا هو جارودى: إنه دون كيشوت جديد فى القرن العشرين يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير العنصرية الضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربى فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم: إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية .

ومن هنا جاءت الحملة من اللوبى الصهيونى ضد جارودى لأنه تجرأ أو مد يده فى عش الزنابير. وقد تعرض للهجوم مع جارودى الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين .

فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولة إسرائيل وهى دولة يقول عنها جارودى إنها بعد أكثر من مرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محددة وهى تتأرجح فى تسمية نفسها ما بين دولة إسرائيل وكيان إسرائيل ودولة المعاد .

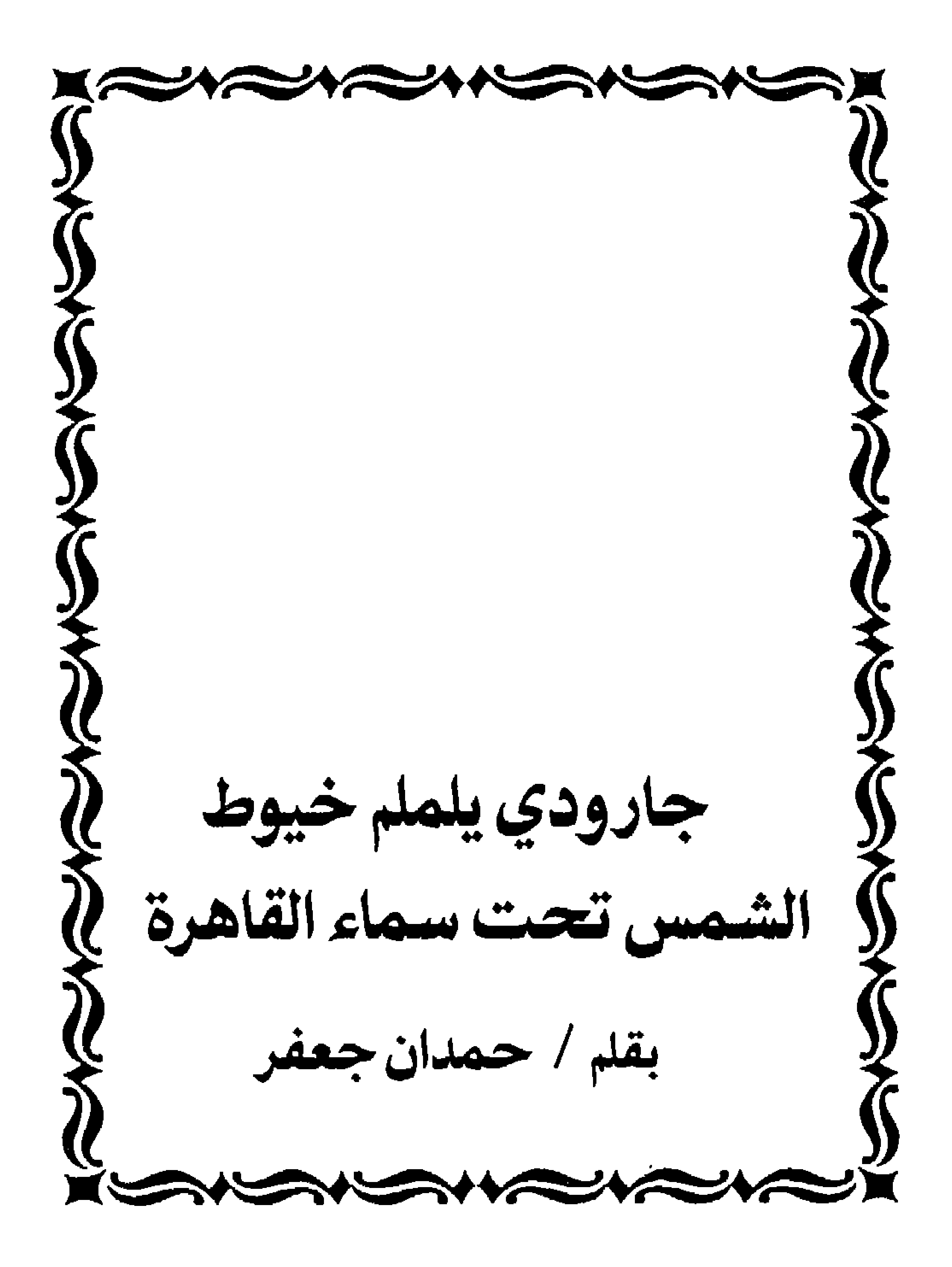
فهل الحملة على جارودى بهذه الضراوة لأنه فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية فقط ؟

أم ينضاف إلى هذا أنه مفكر أشهر إسلامه وجاء فضحه للوبى العنصرى دعامة للعرب؟ لقد جمع جارودى بين منظورين : المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينية الوثائق التاريخية حتى لا نحيا وسط أساطير هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى .

وجارودى الذى بدأ رحلته الفكرية فى صفوف الماركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان مُنَظِّرًا كبيرا للفكر الماركسى الفرنسى قد

اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته :

(النظرية المادية للمعرفة)؛ (فكر هيجل)؛ (أزمة فى الشيوعية: نقطة تحول الاشتراكية)؛ (منظورات الإنسان)؛ (ماركسية القرن العشرين)؛ (حوار الحضارات)؛ (واقعية بلا ضفاف)؛ (حفارو القبور)؛ (الأصوليات)؛ (مشروع الأمل)؛ (أسئلة موجهة إلى سارتر) .



جارودي يلملم خيوط الشمس تحت سماء القاهرة

بقلم / حمدان جعفر

جاء رجاء جارودى الفيلسوف والمفكر العالمى إلى القاهرة . . ودارت المحاورات، والمناقشات فأيقظت هذه المحاورات والمناقشات الثورة الثقافية من مرقدها كانت هذه الثورة موجودة فى النفوس منذ أن طرح «جمال عبد الناصر» مفجر ثورة ٢٣ يوليو مبادئها الأساسية وهى التحرر الوطنى الحقيقى . . وأن إسرائيل ما هى إلاَّ رأس حربة للاستعمار فى المنطقة، وأن أمريكا ما هى إلا ثور جامح يريد أن يسيطر على مقدرات العالم كانت هذه هى الحقيقة الواضحة فى ثورة «جمال عبد الناصر» لكن عندما أعلن أنور السادات أن حرب أكتوبر هى آخر الحروب وأن أمريكا تمسك بـ ٩٩٪ من أوراق اللعبة وأدار السادات ظهره نهائيًا إلى الأمة العربية وتطلعات شعوبها فى استخلاص الثروة العربية لأبنائها وأصبح الصديق «بيجين» أقرب من الشقيق العربى وأصبحت أمريكا هى النجم الساطع فى المنطقة .

لقد أطفأت سياسات السادات خيوط الشمس من سماء القاهرة لتنطلق بعض الأقلام المهزومة تبشر بأمريكا كأعظم قوة

فى العالم . . وأن اليهود أبناء عمومتنا ، وعلينا أن لا نعاديهم وأن نفتح لهم أبوابنا . . وأرضنا وسمائنا لهم . .

لكن سياسات إسرائيل وأمريكا أوضحت بجلاء مطامعهم فى ثروات العرب لا فرق فى إسرائيل بين نتنياهو أو شيمون بيريز . . فالأول يعلنها صريحة مدوية ، أما الثانى فيحاول أن يغلف المطامع بالسلوفان والمكر الصهيونى وما ذكرى مذبحة «قانا» ببعيدة عن الأذهان .

ولذا فإن رحلة رجاء جارودى إلى القاهرة لم تفجر ثورة ثقافية جديدة ولكن الحوارات والمناقشات أيقظت هذه الثورة من مرقدها . . أو بتعبير آخر يمكن القول بأن جارودى بمحاضراته ومناقشاته تحت سماء القاهرة قد لملم خيوط الشمس «شمس الثورة الثقافية» التى ترتكز على ثلاث منطلقات أساسية البعد المصرى مرتبطًا بالبعد القومى العربى مرتبطا بالبعد الأفريقى فى منظومة مع دول العالم الثالث المقهورة والمنهوبة ثرواتها من قبل أمريكا والاستعمار العالمى .

ولا بد أن نعيد التفكير فى الدوائر الثلاث «الدائرة العربية»

«والدائرة الأفريقية» و«الدائرة الإسلامية» . .

لقد أحدث كتاب جارودى «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» دويًا هائلاً فى العالم كله . . فقد كان أول مفكر عملاق يفند الادعاءات الصهيونية الكاذبة التى يثير بها الصهاينة العالم وبرهن على أنها خرافات ما أنزل الله بها من سلطان .

وبالرغم من امتلاك الصهاينة لأغلب وسائل الأعلام المسموعة والمرئية فى أوربا وأمريكا . . إلا أن هذه الوسائل رغم ضراوتها لم تستطع أن تطفىء الشمس ، أو تقهر هذا المفكر العملاق ، أو تقتل فكره ، فانتشر الكتاب فى شتى بقاع العالم ليوقظ النيام ولقد كانت **«دار الغد العربى»** أول دار على مستوى العالم تقوم بنقله إلى العربية ولقد طبع من هذا الكتاب ثمان طبعات وهذه هى الطبعة التاسعة وهى طبعة شعبية تحتوى على كتاب **«الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»** وحوارات جارودى بالقاهرة والتى أعطت للثقافة الثومية قوة ضخ جديدة تضع الصهيونية والنفوذ الأمريكى فى مأزق كبير .

أنهـا حقائق تكشـف الأكاذيب وتعـريهـا أمـام شباب الأمـة العربية ليعيدوا استيراد المستقبل بقوة وعزم وإصرار على تحقيق ما تصبو إليه أمتنا العربية من عزة وكرامة وتقدم .

●*●*●*●



رحلـــــة جارودى..
وماذا أنتجت (*)

بقلم / المستشار سعيد الجمل

(*) نشرت بجريدة الوفد بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٦ .

فى تقديرى أن رحلة جارودى وهذه الأيام القليلة التى مكثها بيننا كانت بمثابة ثورة ثقافية مصغرة أثارت التساؤلات وأجابت على كثير من الأسئلة فى الموضوعات التى تحفل بها حياتنا السياسية والثقافية خصوصا حول حقيقة إسرائيل وأطماعها فى المنطقة ، وحول حقيقة الإسلام ورسالته المنتظرة له فى القرن الحادى والعشرين إذ أوضح جارودى أنه أكثر فهما لهذه الرسالة ومغزاها الذى أراده الله لها من كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام .

أما الإشعاع الفكرى الذى أطلقه جارودى أثناء وجوده بالقاهرة خاص بحقيقة إسرائيل والصهيونية العالمية موضحا أنها رأس حربة للاستعمار الأمريكى فى المنطقة التى يدعمها حتى أسنانها اقتصاديا وعسكريا فقد أصاب هذا الإشعاع وكلاء إسرائيل عندنا بالذعر فانكمشوا مؤقتا ، هؤلاء الوكلاء الذين لا تعنيهم هوية هذه المنطقة أو ثقافتها الوطنية التى أصبحت معرضة للضمور كلما تمكنت إسرائيل سياسيا واقتصاديا وفرضت وجودها على الجميع قسرا . فالأمر الذى يعنى هؤلاء الوكلاء هو عقد الصفقات مع إسرائيل وتحقيق بعض المنافع

المادية ولو كان ذلك على حساب مستقبل التنمية الاقتصادية الحقيقية ومستقبل الأجيال القادمة . هؤلاء كما ذكرنا قد انكمشوا أثناء وجود جارودى ولم يستطيعوا الرد على تحليلات جارودى حول حقيقة الصهيونية باعتبارها كيانا استعماريا عنصريا استيطانيا يقضى على الوجود العربى فى المنطقة وهى التحليلات التى جردت إسرائيل من كافة أكاذيبه وجعلتها عارية تماما .

كان جارودى حاسما وواضحا فكريا حين أكد طبيعة الوجود الإسرائيلى باعتباره رأس حربة مغروسة فى المنطقة من أجل التغلغل الاستعمارى وأنها الآن بمثابة عميل لأمريكا بعد أن تحول ميزان القوة الاستعمارية لها ، وأوضح جارودى الخطأ الفادح لكل من يتصور أن إسرائيل تبغى السلام أو الوئام كما أن مفاوضاتها الحالية لا يمكن أن تعيد للفلسطينيين حقوقهم الوطنية التي نصت عليها المواثيق والقرارات الدولية وأولها قرار التقسيم فى سنة ١٩٤٨ فإن وجود مائتى مستوطنة يقوم شارون بتدعيم البنية التحتية لها و إنشاء الطريق التى تربط بينها فى قلب

الضفة الغربية وغـزة لـم تدع للفلسطينيين من أرض الضفة سوى ٦٪ من مساحتها والباقى لإسرائيل والذى أنشأ المستوطنات وقام بتدعيمها أصلا حزب العمل ولذلك فلا فارق بين بيريز ونتنياهو إلا فى الكـلام فقط وما يـريد الأول تحقيقـه بخبث شديـد يريـد الثاني تحقيقه بصلف شديد .

لقـد شـرح جارودى طـريق الخـلاص وهـو عنده مقـاطعـة الاقتصاد الأمريكي والبضـائع الأمريكية كما فعل غانـدى سابقا مع إنجلترا فى معركة استقلال الهند . فهذا وحده ـ إن أراد العرب ـ هو أول الطريق لمقاومة استعمار أمريكا وهذا وحده هو الطريق لتجفيف الـدعم والتفـوق المـالى والـدبلـومـاسى والعسكـرى لإسرائيل .

ويبدو أن السؤال الذى لم يطرحه جارودى صراحة هو ما إذا كان العـرب يملكون إرادة الاستقـلال فيقومـون بتنمية اقتصـادية داخل بـلادهم بإحيـاء مشـاريعهم المـوجـودة منـذ زمن بإدراج الجامعة العـربية والاستغناء عن السيد الأمـريكى ويبدو أيضا أن الإجابـة على هـذا السـؤال الـذى لم يطـرح هـو أن الاستقـلال

الحقيقى يكمن أساسا فى بعث الروح العربية والهوية العربية والحد من حمى الاستهلاك وتبنى قضايا الشعوب أساسا فهذه الشروط الأساسية هى التى تسبق كل استقلال اقتصادى وسياسى .

أما الموضوع الثانى الذى أثارته رحلة جارودى وحواره معنا فهو اعترافه بأثر الدين فى مستقبل الإنسان وحياته عموما وانتصاره لفكرة الإيمان بالله ـ فهو يؤمن بوحدة الدين منذ إبراهيم عليه السلام وحتى محمد ﷺ .

لقد أحدث حوار جارودى حول رسالة الدين وضرورته زلزالا شديدا فى دوائر الإلحاد ليس فى مصر وحدها بل فى المنطقة العربية كلها ، لقد كان مبهرا حقا حين حصر غاية الحياة فى الإيمان بالله ، وبقدر زلزال الإحاد الذى يعتنقه بعض شراذم الماركسيين فإن زلزالا آخر أصاب أهل الجمود والتعصب والذين لم يرتاحوا لتفسيرات جارودى وتحليله لأصول الدين والذى عرضه بمحاضراته وندواته وكتبه التى تملأ الأسواق الآن .

يشير جارودى فى الفصل الثالث من كتابه « الإسلام » إلى

الانحسارات والازدهارات التى وسمت تاريخ الإسلام منذ الأمويين فيقول إن الانحسار الأخير الذى خيم على الإسلام مع سيطرة الاستعمار الغربى وتعاون النخبة المحلية المؤمنة بالتغريب وليس التحديث مع هذا الاستعمار قد كان سببه الميل للتقليد ومحاكاة الماضى الحرفية فقد كان هذا هو الأسلوب الذى عبر به الإسلام عن نفسه فى هذه الحقبة إلى أن قام بعض الرجال يقترحون نهضة دينية جديدة. وكانت مهمة هؤلاء المصلحين صعبة إذ كان عليهم أن يكافحوا فى وقت واحد أواسط القرن التاسع عشر قمع الاستعمار الروحى والمادى وتفكك الامبراطورية العثمانية اللذين ساهم كلاهما فى تصلب الإسلام.

يقول جارودى إن فكرة هؤلاء المصلحين تكمن فى أن يقظة الإسلام ليست ممكنة إلا بقراءة جديدة للقرآن.. قراءة حية كان قد منعها « العلماء » « دكاترة القانون » منذ قرون وضرب مثلا على ذلك بالمنهاج الرسمى لجامعة الزيتونة بتونس إحدى جامعات الإسلام الأكثر شهرة إذ لم يكن يتضمن من تفسيرات

القرآن سوى تفسير « البيضاوى » وتفسير « الجلالين » وهما من مفسرى القرن الحادى عشر والسادس عشر الميلادى على التوالى .

ولم تبدأ اليقظة فى نظر جارودى إلا فى القرن التاسع عشر على يد جمال الدين ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا الذين أرادوا أن يعيدوا إلى الإسلام قوته المبدعة التى كانت له فى القرون الأولى . لقد طرح هؤلاء المصلحون المشكل الأساسى الواجب حله فى رأى جارودى وهو ماذا ينبغى أن تكون عليه يقظة الإسلام حتى يجيب على مشكلات زماننا دون أن يكف عن أن يكون هو ذاته؟

أليس فى استطالة عملهم على نحو مبدع إنما تقترب به ساعة اليقظة التى لا يناط بها مستقبل المسلمين فحسب بل مستقبل العالم كله؟؟

يحدد جارودى المسئولية عن التخلف الذى قاد إلى التبعية فى ثلاث جهات سلطة الثروة وسلطة السياسة وسلطة الدين .

ويتناول سلطة الدين قائلا إن أسياد السلطة الدينية مازالوا يشنون المعارك الفلسفية الخاصة بالقرن الثانى عشر والمشاكل

التى كانت تطـرح فى الإسلام الحى لا يخشى شيئا فى مـواجهة العلوم أو فلسفات الآخرين شريطة معرفتها جيدا ومقارنتها بثقة ، إذ علينا ألا ننسى أبـدا الأهمية الكبرى التى يوليها القـرآن الكريـم فى النظر لاكتشاف قـوانين الطبيعة وهو ما عبر عنـه « بالتفكر » والسيـادة التقنيـة على الطبيعـة وهو مـا عبـر عنـه القـرآن بلفظ «التسخير » .

فالإسـلام الحى . . ينبغى له أن يعتنـى بالتفكير النقـدى فى نمو العلوم لدى العظماء غربيين كما أن له أن يعتنى بأفكار كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلـهية .



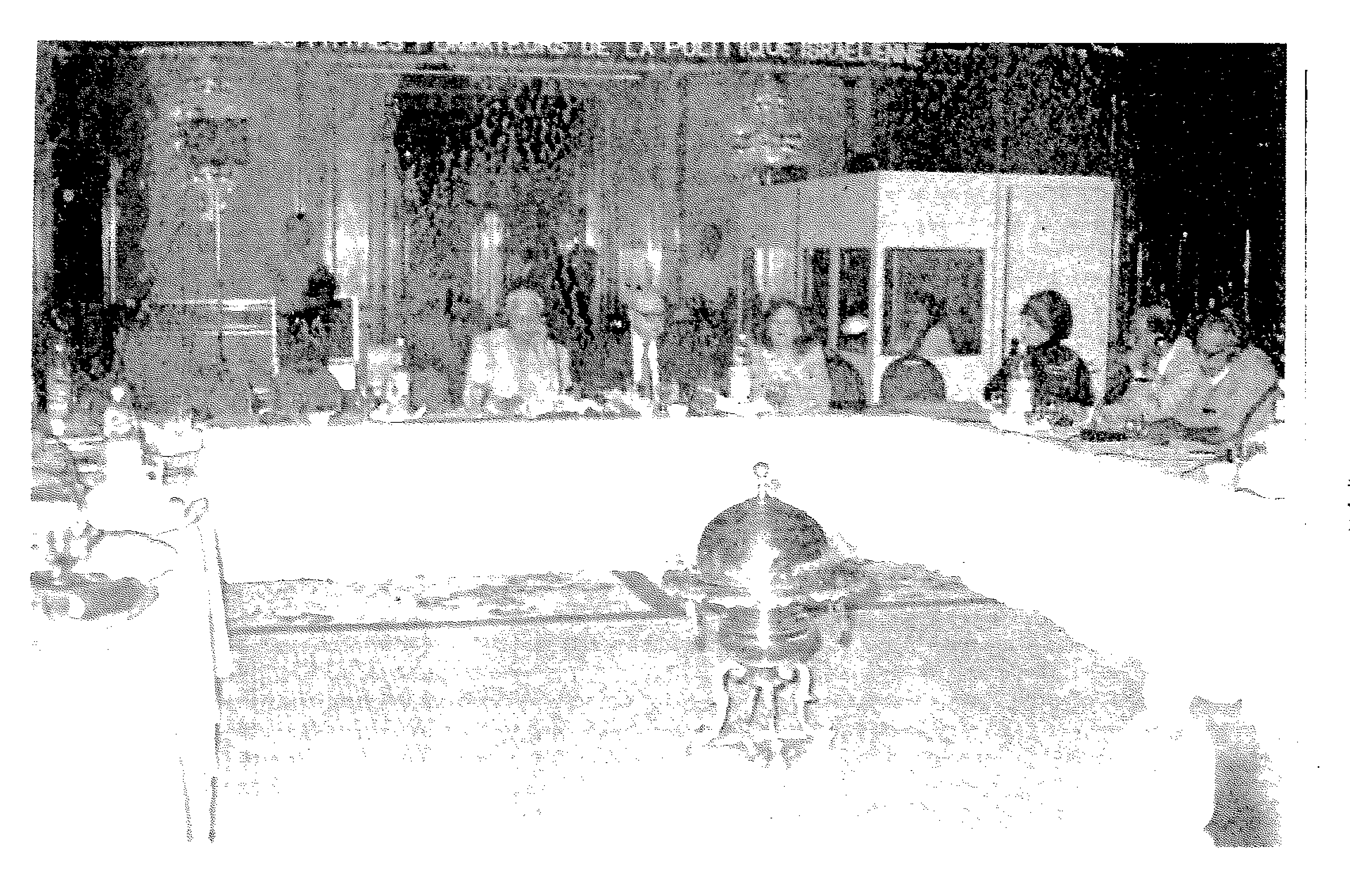
رجاء جارودي فى حواراته



رجاء جارودي في ندوة نقابة الصحفيين فى مصر



رجاء جارودي في طريقه لإلقاء محاضراته



رجاء جارودي في مكتبة جامعة القاهرة

رجاء جارودي مع الرموز الفكرية المصرية



رئيس جامعة عين شمس يصافح المفكر الفرنسي رجاء جارودي في جامعة عين شمس

المفكر الكبير رجاء جارودي مع الأستاذ الكبير سعد الدين وهبة رئيس اتحاد الفنانيين



محاضرات جارودى ومحاوراته فى القاهرة

أعدها / مصطفى عبد الرازق

على مـدى أربعـة أيـام فى الفتـرة من ١٣ إلى ١٦ أكتـوبـر الماضى عاشت القاهرة حدثًا ثقافيًا فريدًا حيث استقبلت الفكر الفـرنسي المسلم روجيـه جارودى بـدعـوة من اتحـاد المثقفين العرب. وقد قام جارودى خلال الزيارة بنشاط مكثف غير عادى حيث ألقى محاضرتين وعقد ٧ ندوات وحضر محاضراته الأولى فى فنـدق المـاريوت نحـو ١٢٠٠ شخص من مختلف الأعمـار والمستويات والثقافات والمهن. كما التقى بأساتذة جامعة عين شمس ومجموعـة من المفكرين بفندق ماريـوت، و عقد لقاءا آخـرا مع المثقفين بمكتبة القـاهـرة الكبـرى كما التقى بأعضـاء اتحاد الكتاب ومؤسسة الأهرام. وتحـدث جارودى خلال زيارته نحو ١٥ ساعة متصلة وأجرى عشرة أحاديث صحفية منفردة و٥ أحـاديث تليفزيـونيـة و٣ أحاديث إذاعيـة والتقى بحـوالى ألفى مثقف وأستاذ وكاتب وصحفى.

وقد تطرقت لقـاءات جارودى إلى قضايا متنـوعة ومختلفة لـم تقتصـر على مـوضوع كتـابـه «الأساطيـر المـؤسسـة للسياسيـة الإسرائيلية» وبشكل عام يمكن القول إن اللقاءات تركزت على :

١ ــ موقف جارودى من إسرائيل والصهيونية ومستقبل الاتفاقات العربية معها .

٢ ـ موقفه من دور الولايات المتحدة فى النظام الدولى .

٣ ـ موقفه من الحضارة العربية بشكل عام مفهوم الحداثة بشكل خاص .

٤ ـ مراحل تطويره الفكرى .

٥ ـ تصوره للإسلام ودوره فى مستقبل العالم .

لقد راح جارودى فى محاضراته ولقاءاته يكشف النقاب عن القوة المتعاظمة للصهيونية فى العالم والتى تعود إلى تأييد الولايات المتحدة المطلق لها ، مؤكدا استمراره فى كشف الصهيونية العالمية مشيرا إلى أنه سيتفرغ خلال السنوات القادمة لإعداد دراسات جديدة حول دور أمريكا فى تدهور العالم وانحلاله . وأشار جارودى خلال محاضراته إلى أن الولايات المتحدة وإسرائيل تشنان حملة ضارية ضد الإسلام والعالم الإسلامى ، مفسرا ذلك باتفاق مصالحهما حيث تستفيد إسرائيل بدعم أمريكا لقوتها العسكرية والنووية وتستفيد أمريكا

بالسيطـرة على حقول البترول . وأكد جـارودى على أن يفرق بين الصهيونية واليهودية مشيـرًا إلى أن اليهود المـؤمنين يعتقـدون أن الصهيونية نوع من الجناية للديانة الأصلية .

وعن رؤيته للحضـارة العربية أشـار جارودى إلى أنهـا جرت العالم إلى حـافة الهـاوية مشيـرًا إلى أن هناك ٤٥ مليون نسمة يموتون سنويًّا فى العالم من بينهم ١٥ مليون طفل بسبب سيطرة العالم الغـربى على ثروات العالـم الثـالث . وأعلن جارودى عن رفضه للحـدثة مشيرًا إلى أنها نظـام توصلت إليه الـدول للهيمة وكـان نتيجة تـزايد كبيـر للعنف البشرى وتلـوث الطبيعة وتلفهـا وتحول العلاقات بين الأفراد والأمم لغاية تتناحر فيها الطموحات لتحقيق السلطة والمتعة .

وذكـر جارودى أنـه يمكن إيجـاد نهضـة إسلاميـة رائعـة فى الوقت الحاضر إذا كان بوسع مسلمى اليوم الحفاظ على المبادئ التى جعلت للإسلام شأنًا فى الماضى وكذا إذا نجحوا فى التفرقة بين التشريع والفقـه موضحًا أن التشريع حكـم الله أمـا الفقه فقد تشكل عبر القـرون الماضية ، من خلال اجتهـادات العلماء و إذا

لم ينجح فى التفريق بين حكم الله وحكم البشر فإن ذلك سيؤدى إلى عزل الإسلام تاركين ملايين المسلمين فريسة لليأس . وحول تنقلاتـه الفكرية أشار إلى أنهـا تعبر عن نوع من الاستمـرارية ، قـائلا لقـد دخلت الإسـلام والكتـاب المقـدس تحت إبطى والماركسية تحت الإبط الآخر.

ولا يكتفى جارودى بإطاره الفكرى وإنما يسعى إلى تحويله إلى واقع عملى . . ومن هنـا كـان تـركيـزه خلال لقـاءاتـه دعوة الشعـوب الإسلاميـة والناميـة إلى المقاطعـة الكاملـة للولايـات المتحـدة مشيرًا إلى أن تلك المقـاطعـة لو نجحت ستـؤدى إلى الانهيار السريع لأمريكا ، بل ونـاشد دول العالـم المدينـة عدم سداد ديونها لصندوق النقد الدولى ، مشيرًا إلى أن الدول الفقيرة المدينة دفعت للصندوق أضعاف ديـونا ، وضرب مثالاً بالجزائر حيث ذكر أن مـديونيـة الجزائر ٢٥ مليـار دولار بينما تـدفع منذ سنوات ٥ مليـارات دولار كفوائد على ديـونها التى لـم تنتـه حتى اليوم .

وقد ألح جارودى فى دعـوته على مقاطعة الـولايات المتحدة

خلال لقائه بالصحفيين فى مؤسسة الأهرام نقابة الصحفيين فكرر دعوته إلى مقاطعة اقتصادية عربية للولايات المتحدة حتى تتوقف واشنطن عن التؤاطو السافر مع إسرائيل وأكد جارودى فى لقائه بالصحفيين أن الاقتصاد الأمريكى لن يصمد أمام مقاطعة ٢٠٠ مليون عربى وسحب الأموال العربية من المشروعات والاستثمارات الأمريكية مشيرًا إلى إفلاس حوالى ١٠٠ بنك أمريكى سنويا .

وفى ندوة نقابة الصحفيين أعاد جارودى التأكيد على أنه ليس من حق الغرب أن يعطى الدول العربية والإسلامية دروسًا يومية عن حقوق الإنسان، مشيرًا إلى أن هناك ٣٥٠ شخصا فى العالم يستحوذون على ثروة مليار شخص وهو ما يوجب علينا إلا نتقبل تعريفاتهم الخاطئة والزائفة عن الديمقراطية . وقال إن الصهيونية هدمت من خلال سيطرتها على وسائل الإعلام التأثير على الرأى العام الغربى وممارسة نوع من الإرهاب الفكرى فى هذه الوسائل لكل من ينتقد سياسات وممارسات إسرائيل وساعدها فى ذلك تأييد الولايات المتحدة المطلق لها .

وفيما يلى النص الكامل لأبرز محاضرات جارودى ولقاءاته الفكرية خلال زيارته للقاهرة :

أولا محاضرة جارودى حول كتاب الأساطير بفندق ماريوت .



ثانيا : محاضرة جارودى مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس

في لقائه مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس فتح جارودى النار على الحضارة الغربية مبشرًا بانهيارها مشيرًا إلى أن الحساب الختامى لها ثقيل جدًّا فوفقا له فإن خمس سكان العالم يسيطر على ويستهلك ٨٠٪ من موارد العالم وأوضح أن أداة الكوكب الأرض فإن لا يمكن تصور ما هو أسوأ منها. وساق جارودى أرقامًا خطيرة لحالات الانتحار وعدد الجرائم والتى بلغت خمسة أمثال ما كانت عليه عام ٦٥ وأوضح أن الإسلام يضمن بقواعده حياة كريمة للناس وتطرق بالتفصيل إلى أسس الحضارة الغربية منتقدًا ما وصلت إليه قائلاً:

ويمكن تلخيص الافتراضات الأولية للحضارة الأوروبية وأذكر هنا أن هذا يعنى تعريفا لعلاقاتها بالطبيعة وبباقى الأفراد وبالله (أو مسألة النهايات الأخيرة للحياة) فى ثلاثة افتراضات أولية.

١ ـ الافتراض الأولى لديكارت والقائل «يتعين علنا أن نصبح سادة ومالكين للطبيعة».

٢ ـ الافتراض الأولى لآدم سميث القائل: إذا سعى كل منا

إلى تحقيق مصلحته الشخصية فإن ذلك سيؤدى في نهاية المطاف إلى تحقيق المصلحة العامة إذ إن هناك يدًا خفية تحقق هذا التناغم .

٣ ـ الافتراض الأولى لمارلووى الذى تضمنه كتابه «فاوست» وهو: يصبح الإنسان قديرا تمام القدرة بدلا من الله حتى يتمكن من تسيير العالم .

وبعد خمس سنوات من الهيمنة دون منازع توصلت هذه الثقافة إلى نتائج تتناقض والتى كانت قد حددتها لها هذه الافتراضات الأولية فقد انتهت إلى :ـ

ا ـ تلوث الطبيعة وتلفها والإمكانية التقنية لتدميرها .

ب ـ تزايد كبير للعنف البشرى فقد بات واضحا من منافسات إنما هو منطق حرب يخلق نوعا من عدم التوازن المتزايد بين الشمال والجنوب كما يخلق تباينات متزايدة في داخل الشعب الواحد بسبب تراكم الثروات لدى أحد قطبى المجتمع وتراكم الفقر لدى القطب آخر.

جـ ـ إن ادعاء تسيير العالم بدلا من الله واستبعاد الإيمان

بالقيم المطلقة وجعل الفرد والأمة مركزا ومقياسا لكل شيء خلق نوعا من الغـاب تتناحر فيه الطموحـات لتحقيق السلطة والمتعة وتنمية الأفـراد والجماعـات ينتج عنها فوضـى العنف فى المدن واختلال التوازن الناتج عن الرعب فى العالم .

يمصون دم الفقراء

وبعـد مضى قـرنين من تطبيق هـذه المبادئ التى نـادى بهـا ميلتون فـريدمـان وآل فون هـايك وأتباعهـم من الأمـريكيين مثل ريجـان ومن الإنجليـز مثل تـاتشـر أو من الـوزراء الفـرنسيين اليسـاريين واليمينيين ظهرت عيـوبها جليـا إذ تؤدى إلى تـراكم متزايـد للثروات والسلطـة فى أحد قطبى المجتمع وإلـى التبعية والبطالة والاستعباد فى القطب الآخر.

وينطبق هـذا الوضع على المستـوى العالمى : فبعـد خمسة قـرون من الاستعمار الـذى قضى على الـزراعـات الغذائيـة فى البلاد للزراعة محصول واحـد ومنتج واحد يمثل ملحقا لاقتصاد الدول المستعمـرة القديمة ممـا سمح بالإبقـاء على التبعية حتى

بعـد الاستقــلال السيـاسى الشكلى وذلك عن طــريق القنـاع المزدوج للمسـاعدة التـى يقدمهـا المستعمرون القـدماء وإدارة الديون التى يقوم بها صندوق النقد الدولى .

والنتيجـة التى استتبعت ذلك هى أنـه فى الفتـرة بين عـامى ١٩٦٠ و ١٩٨٩ زاد نصيب الـ ٢٠٪ الأكثـر ثراء فى العـالم من ٧٠٪ إلى ٨٣٪ من الدخل العـالمى أما العشرون بالمـائة الأكثر فقرا فقد انخفض نصيبهم إلى أقل من ٥و١ .

ولا يفتا هذا الاستقطـاب أن يزداد أيضًا فى الـدول الأكثر ثراء ففى الولايات المتحدة يسيطر ١٪ مـن الأكثر ثراء ففى الولايات المتحــدة يسيطـر ١٪ من الأكثــر ثـراء على ٤٠٪ من الثــروة القومية .

إن الحساب الختامـى لانهيار الحضارة الغربية ثقيـل للغاية ويمكن تلخيصه فى بضع كلمات :

هنـاك أقليـة غنية لا تتعـدى خمس سكـان العـالم تسيطـر وتستهلك ٨٠٪ من الموارد الطبيعية فى هـذا العالـم و «النموذج الغربى» للتنمية يكلف العلم الثالث (بسبب الفقر وسوء التغذية

والجـوع والأمراض البسيطـة والعـلاج) حياة ٤٥ مليـون شخص سنـويا من بنيهم ١٥ مليـون طفل دون السنوات الخمس أى مـا يعادل عدد قتلى هيروشيما مرة كل يومين.

ولا يمكن تصور إدارة أسوأ من ذلك لكوكبنا من جانب الذين يدعـون تلقين دروس فى الـديمقراطية وفـى الحرية وفـى حقوق الإنسان.

فجرائمهم تحجب عنهم أهلية تلقين تلك الدروس.

«ووحدانية السوق» التى سميت «الحداثة» تأخذ شكل انهيار للعلاقـة الاجتماعيـة لصالح منظـور داروني اجتماعى كمـا كان يتصورها سبنسر وتتلخص فيها الحرية الممنوحة للأقوى لالتهام الأضعف.

وقـد أعلن من قبل الأب لاكـورديـر عن هذه البـديهـة والتى يمكن التحقق منهـا اليـوم أكثـر مـن أى وقت مضى وهى أن فى العلاقة بين القوى والضعيف تجد الحرية مجالا واسعا لممارسة الظلم.

وتجـربة السـوق الحرة بين الـولايـات المتحدة وكنـدا حيث

يتعدى أجر العامل ٢٠ دولارا يوميا والمكسيك حيث يقل عن ثلاثة دولارات قد أعطت مجالا لنقل مراكز الشركات مما أدى إلى تفشى البطالة بين العمال الأمريكيين واستمارية وضع العبودية المجحف الذى يعانى منه العمال المكسيكيون وقد أظهرت هذه التجرية حقيقة هامة وهى أن القلاقل التى قام بها الشياباسى إنما هى تعبير عن رفضهم للتضليل الآثم الذى يتسم به ما يعرف باسم «التجارة الحرة».

والأمر يتعلق بمسألة متداخلة الجوانب سواء ما كان منها اقتصادى أو سياسى أو دينى.

فالطابع الدينى إنما يتجلى فى الغايات الأخيرة للإنسان والتى تتمثل فى معرفة ما إذا كان تنمية العلوم والتقنية تؤدى بالضرورة إلى تحطيم الإنسان أو ازدهار.

والحق أننا نرى بصورة واضحة وجلية آثار «وحدانية السوق» التى تعتبر النتيجة العليا «الحداثة» الغربية.

ثم يحتكم جارودى إلى الأرقام ليثبت حقيقة ما يقول فيقول هناك تدهور فى العلاقة الاجتماعية فى نظام قال عنه هوبز عند

نشأته ـ إن الفردية والمنافسة يجعلان فيه إنسان وحشا لأخيه الإنسان .

ويمكن ترجمة ذلك فى أرقام :

ففى فرنسا تم تسجيل ١١٥٠٠ حالة انتحار عام ١٩٩١ مقابل ١١٦٠٠ عام ١٩٩٢ و١٢٠٠٠ عام ١٩٩٣ وبالنسبة للسكان زاد عدد الجرائم حتى بلغ خمسة أمثال ما كان عليه أى من ٨٣٧٠٠٠ جريمة وجنحة فى عام ١٩٦٥ ليصل إلى ٣٨٠٠٠٠٠ فى عام ١٩٩٠ و٦٦٠٠٠ جريمة مخدرات فى ١٩٩٢ مقابل ١٠١٠٠٠ عام ١٩٨٥ .

ويتجاوز اليوم عدد الذي يعانون من البطالة فى فرنسا ثلاثة ملايين فرد، وفى الوقت الذى يسيطر فيه ١٠٪ من الفرنسيين على ٥٥٪ من الثروة القومية يعيش ٥ ملايين شخص على دخل يقل عن ٢٣٠٠ فرنك شهريا بينما يبلغ دخل السيد ميشيل أينيار رئيس مجلس إدارة شركة والت ديزنى ٢٠٣ ملايين دولار سنويا .

وتتكرر نفس هذه الصورة فى كل البلاد التى تسود فيها «الحداثة» و «وحدانية السوق» ففى الاتحاد السوفيتى منذ إقامة

النظام الـرأسمالى عـن طريق الـدعارة السيـاسية التى يمـارسها يلتسين ازداد استهــلاك المخــدرات حتـى بلغ نفس مستــوى الاستهـلاك فى الـولايـات المتحـــدة . ففي أوزبـاكستـان زادت مساحة الأرض المنزرعة بنبات الخشخاش بمقدار ستة أمثال أى من ١٥٠ هيكتـــارًا فى ١٩٩٢ لتصـل إلى ١٠٠٠ هيكتـــار فى ١٩٩٥ .

وفى الولايـات المتحدة التى تعتبـر رائدة فى مجال التـدهور بلغ رقم الأعمـال فى مجـال المخـدرات نفس قـدره فى مجـال صناعة السيارات والصلب .

ويشهد الانتحـار والمخدرات على الرغبـة فى الانطلاق من عالم فى طريقه لأن يصبح غير صالح للحياة .

بيد أنه توجد علامات أخرى للتدهور غير التباين فى الثروات أو الانطـلاق . ولن أذكر هنـا سـوى نموذج واحـد وهو الفسـاد فاقتصـاد السوق يحمل فى طيـاته الفسـاد كما تحمل السحب الـرعـد . ففى نظـام يباع ويشتـرى فيـه كل شىء حتى السلطـة والضمـائر يعلن الفليسـوف المعـروف بتحفظه الشـديـد «إلان كوتاه» فى كتابه «الرأسمالية فى كل الدول» أن الزيادة فى الفساد

إنما ترتبط ارتباطا وثيقا بزيـادة الأنشطة المالية والإعلامية فعندما يسمح الإعـلام بمناسبـة إجراء عمليـات ماليـة مختلفة النـوعية ولاسيمـا عمليات الانـدمـاج والاكتساب ببنـاء فى بضع دقـائق ثروات ضخمة لا يمكن تحققها حتى من خلال العمل المضنى طـوال العمر فإن إغـراء البيع والشـراء يصبح صعب المقاومـة . ومما يهيىء تنميـة اقتصاد السـوق تطويـر هذه الأسـوق الأصلية ويختتم عالـم الاقتصـاد بقوله : يلعب الفساد دورا قـريب الشبه من التخطيط .

إن الدور الأساسى للبنوك إنمـا يتلخص فى جمع المدخرات واستثمارهـا فى مجال الإنتـاج إلا إنه قد تغيـر بصورة ملحـوظة حتى أن رؤوس الأمـوال أصبحت تستخـدم فـى المـراهنـة على ارتفـاع وانخفـاض رؤوس أمـوال أخـرى دون خـدمـة اقتصـاد حقيقى ... فتحـولت البنـوك إلـى صـالات قمـار وأصبحت كالطفيليـات الضارة بالشـركات الماليـة التى يلعب فيها بالـولد الذهبى وعلى تذبذت الأسعار.

تلك هى الحداثة التى ترفضها والتى تطيح بأى معنى للحياة

فالنطق بكلمة الله يعنى الاعتراف بأن للحياة معنى وأننى مسئول عن اكتشافه وتحقيقه .

ولا تقولوا لنا أننا نحكم على الحداثة الغربية من منطلق انحرافاتها وانحلالاتها : فالنهاية التى آلت إليها تلك الحداثة والتى تعرض بقاء كوكبنا للخطر هى على العكس من ذلك . نهاية منطقية بحتة فرضياتها الأولى التى تم تعريفها منذ عصر النهضة وقد تنبأ شكسبير فى «دفة أثينا» وسرفانت فى دون كشوت بما سوف تؤول إله الحضارة القائمة على هيمنة المال وهما لم يشهدا إلا بداياتها أما اليوم فنحن شهود على نهايتهاوفاعلون لا إراديون لها وأعنى بتلك النهاية فقدان الحياة والعالم لكل معنى .

وقد أثبتت كل الفرضيات الأولى لتلك الحداثة المزعومة كذبها وافتراءها .

ويأتى فى المقام الأول الفرضيات الأولى الخاصة بالديمقراطية وبالدفاع عن حقوق الإنسان . فدوما كانت الديمقراطية تعتيما لأقلية يمتد نطاقها من ملاك العبيد إلى ملاك

الثـروات فالـديمقراطيـة التى يطلق عليها اسم ديمقـراطية أثينـا وعــرف بهــا عهــد يــريكليس والتى تعتبــر نمــوذجًــا «لأم الديمقراطيات» لم تكن إلا حكـم ٢٠ ألفًا من المواطنين الأحرار لمائة ألف عبد محرومين من كافة الحقوق .

ينـادى إعـلان استقـلال الولايـات المتحـدة بـالمسـاواة فى الحقوق لكل البشر وعلى الرغم من صدور هذا الإعلان الرسمى ظلت العبودية قائمة بعده لما يزيد على قرن .

يؤكـد إعلان حقوق الإنسان والمـواطن الذى أصدرتـه الثورة الفـرنسية على مـايلى : «يولـد كل البشـر أحرارا ومتسـاوين فى الحقـوق ، إلا أن الدستـور الخـاص بـاقتراع دافعى الضـرائب ـ والذى جاء هذا الإعلان فى ديباجته ـ يحرم ثلاثة أرباع الفرنسيين من ممــارسـة حقهم فى التصــويت لأن فقــرهم يجعل منهم مواطنين سلبيين .

بوسع كل فـرد أن يستند إلى حقوق الإنسان فـالمساواة تكون كاملة أمام القانـون فلكل من العاطل والملياردير نفس الحق فى تأسيس جريدة أو فى إنشاء قناة تليفـزيونية . وهذه المساواة أمام

القانون تكون تامة بدرجة لا تعرف معها الاستثناءات. فمحظور على هذا الملياردير كما هو على هذا العاطل سرقة رغيف خبز وإذا ما حدث ذلك فسوف يحكم عليها بنفس العقوبا.

هذه الأمور كلها منصوص عليها في إعلان حقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ وفي قوانين الدول التي يقال عنها «ديمقراطية» كما تتحدث تلك القوانين عن حق العمل، لملايين العاطلين علاوة على حق التصويب. ولكن هناك قوانين أخرى أكثر إلزاما تسود في الواقع: فلقد حلت الورقة النقدية ومحل البطاقة الانتخابية.

ليس فقط لأنه في الولايات المتحدة ـ على سبيل المثال ـ يحتاج الشخص ٥٠٠ مليون للقيام بحملة انتخابية ليصبح عضوا في مجلس الشيوخ أو النواب ولكن لأن الثروات في كل تلك الدول تسمح بشراء الأداتين الرئيستين للحكم ألا وهما: وسائل الإعلام من أجل التأثير على الرأى العام وصناعة التسليح لاقناعهم في نهاية الأمر.

وهذا لا يمثل انتهاكا لمبادئ الديمقراطية الليبرالية

البـورجـوازيـة ولكن تطبيقـا حـرفيـا لهـا : فلقـد كتب بـوضـوح الفيلسوف الإنجليزى ج لـوك الذى كان يعرف عن تجـربة أسس أول «ديمقراطية» أوروبية وهى الديمقراطية الإنجليزية وممارستها فى كتابه «دراسة ثانية عن الحكومة المدنية» : إن الهدف الأكبر الـذى يسعى كل البشـر إلى تحقيقـه هـو الإبقـاء على الملكيـة ويستنتج من ذلـك وفى منطقيـة كـاملـة أن من لا يمتلكـون يستبعدون من الديمقراطية .

وقد أكـد الكاتب العظيم ديـدرو عشية الثـورة الفرنسيـة ـ فى إحدى مقـالات موسـوعته التى حملـت عنوان «النائب» ــ على الأفكار السياسية للملوك حيث قـال فى لهجة حازمة : «المالك وحده هو المواطن» .

وعلى الرغم من المظاهر الشكليـة فإن النفس هذا المبدأ ما زال سائدا اليوم فى «ديمقـراطياتنا» الليبراليـة محققا حكم روسو فى «العقد الاجتماعى» حين قال أبـدا لم يحدث أن كانت هناك ديمقراطية وذلك لسببين :

١ ــ إنعـدام الإيمـان العـام فى المـوت والحسـاب والحيـاة

الأخرى .

٢ ـ تفاوت الثروات .

ويحول هذان السببان دون تكون تلك «الإرادة العامة» التى تمثل حجر الزاوية لمفهومه عن الديمقراطية الحقيقية .

وقد برهن قرنان من التجربة على صدق نبوءة روسو التى أقامها على تجارب الماضى .

ويبدو اليوم واضحا للعيان كذب التماثل القائم بين الديمقراطية وحرية السوق هذا المبدأ المخادع لسياسة الأمريكية .

وتكمن وراء ذلك أسباب رئيسية ذكرها روسو وهى : لا يمكن التوصل لإرادة عامة إلا إذا كان للمجتمع بأسره أهداف مشتركة إلا أن السوق لا يعرف إلا إرادات فردية لأفراد وجماعات يتصادمون ويتنافسون فيما بينهم كما فى الغاب فوحدانية السوق هى ـ من حيث المبدأ نفسه ـ نقيض الديمقراطية .

ومفهوم روسو هذا شديد الشبه بمفهوم القرآن الخاص بتفاوت الثروات ﴿**وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا**

فيها فحق عليها القول فدمـرناها تدميرا﴾[سورة الإسراء : ١٦] أو مفهومه الخاص بالشورى حين جعلها ضرورية لرجال الدين من أجل اتخاذ القرارات المصيريـة . وتجدر الإشارة إلى أن الشهادة التى يطالب بها روسو لا تتخذ من أى ديـانة يطالب بها روسو لا تتخـذ من أى ديانـة أخرى مـرجعية لهـا وهذا هـو الحال أيضـا بالنسبة للقرآن الذى لا يزعم أنه يحمل للناس دينا جديدا ولكنه يدعوهم إلى تلبية نداء الإيمان الموجود فى قلوبهم .

بعـد أن نفخ الله فى الإنسـان من روحـه ، كمـا أكـد القـرآن الكـريم مرارا وتكـرارا أنه «لا إكـراه فى الدين » إذن ينبغى علينـا التفكـر ـ حيـن اعتبارنـا للمـاضى فى الظـروف المهيئة لنهضـة إسلامية حقيقية تكون باعثا لحداثة جديدة .

ويجيب جـارودى على ذكر أسبـاب نجاح الإسـلام وأسباب انتشاره قائلا : إن التوسع الكبير للإسلام فى القرن الأول الهجرى لم يكن أبـدا غزوا عسكريـا فسكان شبـه الجزيـرة العربيـة كان عددهم ضئيلا إذا مـا قيس بهذا التوسع الهائل كمـا أنه لا سبيل للمقـارنـة بين تقنيـاتهم العسكـريـة وتقنيات الامبـراطـوريـات

العظمى مثل بيزنطا وفاس .

فللنجاح أسباب ثلاثة وهى :

١ ـ تجديد دينى

٢ ـ ثورة اجتماعية .

٣ ـ طفرة ثقافية .

١ ـ تجديد دينى :

الإسلام ليس دينا جديدا ولد مع دعوة النبى محمد .

ـ الله ليس إله خالصا بالمسلمين فكلمة الله «بمعنى» «الإله» هى ترجمة حرفية للكلمة التى تعنى الله الواحد . فالمسيحى ـ الذى يتحدث العربية ـ بذكر كلمة «الله» حين يدعو الله فى صلواته وطقوسه .

ـ الإسلام يعينى الخضوع اللاإرادى والحر لله الواحد . وهذا هو القاسم المشترك الأعظم فى كل الديانات السماوية : اليهودية والمسيحية والإسلام منذ أن نفخ الله فى الإنسان من روحه حيث يقول الله فى كتابه العزيز ﴿**ونفخت فيه من روحى**﴾

[سوة الحج : ٢٩] أى منذ بدء الخليقة .

ــ وهكذا يعـرف القـرآن الإسـلام بصورة واضحـة ويأمـر الله محمـدا بأن يقـول : ﴿قل مـا كنت بـدعـا من الـرسل﴾ [سورة الأحقاف : ٩] .

ـ وهـو يذكـره كثيرا لأنـه ليس النبى الأول : ﴿لقد أرسلنـا من قبلك فى شيع الأولين﴾ [الحجر : ١٠] .

ويقول القـرآن ﴿ومـا محمـد إلا رسـول قـد خلت من قبلـه الرسل﴾ [سـورة آل عمـران : ١٤٤] جميعهم كـانوا رسـلا لإلـه واحد .

ويـؤكد الله فى حـديثـه إلى نبيه على استمـراريـة الرسـالات النبويـة (ما يسميه القـرآن سنة أو حديثا شـريفا) وكثيرا مـا يأمره قائلا :

﴿سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ [سورة الزخرف : ٤٥] [سورة يونس : ٩٤] ، [سورة النحل : ٤٣] [سورة الأنبياء : ٧] .

وفى القرآن . يأمر الله المسلمين بتكريم أنبياء اليهود ومسيح النصارى [سورة النساء : ١٥١] ، [سورة الحديد : ١٨] .

ويذكر الرسول محمد البشر أجمعين بالديانة الأولى : ﴿**فأقم وجهك للـدين حنيفا فطـرة الله التى فطر النـاس عليها لا تبـديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثـر الناس لا يعلمون**﴾[سوة الروم : ٣٠] .

وهذا النداء موجه لكل الشعـوب يقول القرآن أن الله قد أرسل رسلــه لكل الشعــوب وجعلهم يتحــدثـون لغتهــم حتى تفهم رسـالتهم وذلك يشمل من لم يتحـدث عنهم القرآن مثل الهنـد والصين .

٢ ـ ثوة اجتماعية :

تحدد الرسالة الاجتماعيـة لمجتمع المدينة الشروط الواجب توافرها فى كل مجتمع إنسانى وهذه الـرسالة هى رسالة الشريعة الرئيسية : الله وحده المالك ، الله وحده الأمر والله وحده العالـم .

ـ الله وحـده المالك ﴿**لـه ما فى السمـوات والأرض**﴾ [سورة البقـرة : ١١٦ ، ٢٨٤] ،[سـورة آل عمــران : ١٠٩] الإنســان ـ خليفة فى الأرض ـ مكلف بإرادة هذا المـلك فى سبيل الله .

ـ وهذا المفهوم يتعارض مع مفهـوم الحق فى قانون جوستان

الذى يعرف الملكية بالحق فى الاستخدام وإساءة الاستخدام وعلى العكس من ذلك، فإن الواجبات ـ بالنسبة للمسلم ـ تأتى قبل الحقوق.

ولا يمكن للإنسان المسئول عن أداة ملك الله أن يتصرف فيها كما يشاء ـ فلا يمكن له أن يدمره وفقا لنزواته أو أن يبدده أو أن أترك الأرض بلا زراعة دون أن يجعلها تثمر بالعمل ولا يمكن له أيضا أن يجمع المال ويكنزه: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾ [سورة التوبة: ٣٤] واللعنة الكبرى فى القرآن موجهة ضد الثرى أبو لهب الذى تدينه ثرواته: ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارًا ذات لهب**﴾[سورة المسد: ١ـ٣].

وكل تعاليم القرآن تنادى بالزكاة والتى تتمثل فى انتقال اجتماعى للثروات كأحد متطلبات الدين وتحظر الربا أى كل زيادة فى الثروات بلا عمل فى خدمة الله. وهى تعاليم تهدف إلى الحيلولة دون تكديس الثروات فى أحد قطبى المجتمع

وتفشى البؤس والفقر فى القطب الآخر.

٣ ـ طفرة ثقافية فهذا هو البعد الثالث وهو بعد ذو طابع نقدى تنفع مسئوليته على ضروة الوقوف بالفكر الدينى المستنير ضد الفقهاء القادمين من الخارج والذين يعتبرون أنفسهم عمالاً وحراسًا للمطلق دون أى علم .

وعلى علماء الدين البحث فيما يحدث ويتعرض له الدين الإسلامى اليوم وذلك يتحقق بعدم الانطلاق على معضلة خاطئة أو الوقوع فى محل اختيار محاكاة الغرب أو العودة للماضى وفى ذلك إنقاص لشأن الإسلام العظيم .



لقاء جارودى
مع المثقفين والمفكرين

فى لقاءاتهم بالثـراء والتنوع فى الأسئلة المطروحـة والإجابات التقى جـارودى بالكتـاب والمفكـرين المصريين حيث أجـاب على كافة الأسئلة التى وجهوها له وفيما يلى جانب من اللقاء :

● د. صلاح فضل : رحلة خصبة ومسيرة روحية عميقة تحول فيهـا جـارودى من المسيحيـة إلى المـاركسيـة إلى الإسـلام ثم جمعهمـا معًـا فى مـزيج بـديـع أصبح الإسـلام فيـه هـو القـوة الحاكمة . . ماذا عن تحولات الرحلة الفكرية والروحية؟!

■ جـارودى : نشأت فى أسـرة ملحـدة لكنها محـافظـة فى السياسـة وأثناء الأزمة الاقتصـادية العـالمية وانتشار الفـاشية فى إيطاليا والنازية فى ألمانيـا بدأت أشعر أن الحياة عبثية ولا معنى لها، وقـرأت فى هذه السن المبكرة كتـابًا لكيركجـارد عن واقعة فداء سيدنا إبراهيم بابنـه إسماعيل وتأثرت من تأملات كيركجارد فى إذعان إبراهيم وطاعته لربـه وقبوله لكلام الله بلا قيد أو شرط وقررت فى سن الرابعـة عشرة اعتناق البروتستانتيـة . وفى الثانية والعشرين قررت الانضمـام للحزب الشيوعى لكننى لم أكن فى يوم مـن الأيام ملحـدًا وعندما كنـت عضوًا فى اللجنـة المركـزية

للحزب الشيوعى الفرنسى كنت فى الوقت ذاته رئيسا للطلاب المسيحيين البروتستانت ودخلت الحزب الشيوعى كمسيحى وكنت فى هذه الأثناء طالب فلسفة. وكنت أبحث عن منهج فوجدته فى الماركسية، والماركسية لا علاقة لها بالأديان ومن وجهة نظرى فالدين يضع الغاية القصوى للحياة ويجسد القيمة المطلقة ويجعل للوجود معنى. وعندما كنت معتقلاً فى أحد سجون الجزائر نظمنا إضرابًا عام ١٩٤١ وطلب قائد المعتقل فلك الإضراب فرفضنا وعندما تأكد أننا مصرون على الرفض طلب من الجنود أن يطلقوا الرصاص فلم ينفذوا الأمر وعلمت بعد ذلك أن هؤلاء الجنود جزائريون مسلمون وأن الدين الإسلامى يمنع المسلم من إطلاق الرصاص على أعزل، وبدأت دراسة الإسلام وبخاصة الإسلام الذى كان سائدًا فى الأندلس وقرأت القرطبى وابن حزم وابن ماجه وابن طفيل وابن رشد وابن عربى. ووجدت أن الإسلام ليس دينا خاصًّا ولكنه الدين الذى آمنت له كل الرسل، والإسلام يعنى الخضوع اللاإرادى والحر لله الواحد وهذا هو القاسم المشترك الأعظم فى كل الديانات السماوية. ويعرف القرآن الإسلام بصورة واضحة

ويأمــر الله محمــدًا بأن يقــول ﴿قل مــا كنت بــدعًــا من الرسل﴾ويـذكـره كثيًـرا بأنـه ليس النبى الأول ﴿ولقد أرسلنـا من قبلك فى شيع الأولين﴾ ويقول القرآن ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبلـه الرسل﴾ ويـؤكـد الله فى حـديثـه إلى نبيـه على استمراريـة الرسالات النبـوية ﴿سل مـن أرسلنــا من قبلـك من رسلنا﴾ وفى القـرآن يأمـر الله المسلميـن بتكـريم أنبيـاء اليهـود ومسيح النصـارى [سـورة النسـاء : ١٥١ ، سوة الحـديـد : ١٨] ويذكـر الرسـول محمد البشر أجمعين بـالديـانة الأولى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطـر الناس عليها * لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ هكذا فهمت الإسلام بأن نـداءه موجـه لكل الشعوب ويقـول القرآن إن الله قد أرسل رسله لكل الشعـوب وجعلهم يتحدثون لغتهم حتى تفهم رسـالتهم وذلك يشمل مـن لم يتحـدث عنهم القـرآن مثل الهند والصين ... فالإسلام هو الدين المجدد. وبالنسبة لى فقد تأثرت بنموذج الإسلام الذى كـان سائدًا فى الأندلس كان هناك منـاخ رحيب للحـريـة فإلى جوار المسـاجد تـوجـد الكنـائس والمعابـد وإلى جوار الفـلاسفة المسلمين تواجـد فلاسفـة يهود

مثل ابن ميمون وساهموا فى الحضـارة الإسلامية، أما عن مسار حياتى الفكرية فيقوم علـى الاتصال لا الانفصال وعندما ذهبت إلى السعودية لاستـلام جائزة الملك فيصل سألنى صحفى عن علاقتى الآن بالمسيحية والماركسية فقلت له إننى أدخل الإسلام وتحت إبطى دعوة يسوع المسيح وتحت الآخر كتاب رأس المال لكـارل ماركس وعنـدما أردت أن ألقى محـاضرة هنـاك عن ابن عربى اعتبروه شيطانًا .

الإسلام بلا كهنوت

● أحمد عبد المعطى حجازى : أنت صاحب كتاب «وعود الإسلام» وفهمت منـه أن وعود الإسـلام مقدمـة للبشريـة كلها . والآن معظم من يتحدثون باسم الإسلام يقـدمونه فى صورة سلبية جدًّا ويبررون الإرهـاب باسمه ونحن نريد مسلمًـا يجدد الإسلام فما هى وعودك للإسلام؟

□ جارودى : اعتنقت الإسلام واكتشفـت من خلال جلال الـدين الـرومى وابن راشـد وابن عـربى والحلاج وفـريـد الـدين العطار وغيـرهم أنه دين يتميـز بعدة خصائص أولا إنـه دين عام

وشامل لا يحتكر فيه أحد الحقيقة غير الله وحده هو الذى يعلم وهو الذى يعرف ومعـرفة الله هى المعرفة المطلقة الثـابتة ومعرفة البشـر نسبية ومتغيـرة والله لم يخلق العـالم مرة واحـدة إنما هـو مستمر فى الخلق. والفقة هو معرفة الفقهاء عن الإسلام وبالتالى فهـو معرفـة بشـريـة متغيرة الـزمـان والمكـان والظروف ، ففقـه الشافعى غير فقه أبى حنيفة هناك فقه قديم وفقه جديد نطالب به والإخلاص للقـدماء لا يعنى الحفـاظ على رماد القبـور، وإنما يعنى الحفـاظ على شرارة الخلق والإبـداع وبما أن الإسـلام دين شامـل فإنه يحتـاج منا الفهم والحـوار المستمر بيننا. فكـل منا يتعلم من الآخـر وموقفهـم ضد حـريـة المرأة وحقهـا فى العمل والتعليم والرسول عليـه الصلاة والسلام قال خذوا نصف دينكم عن عائشة» والإسلام ضد وحشية الطاليبان مثلاً.

ثانيًـا فى الإسلام الله وحده هـو المالك﴿له ما فى السموات والأرض﴾ والإنسـان خليفـة الله فـى الأرض مكلف بإرادة هـذا الملك فى سبيل الله ولا يجوز لـلإنسان المسئول عن إرادة ملك الله أن يتصرف فيه كما يشاء. فلا يمكن لـه أن يدمره وفقا لنزواته

أو أن يبـدده أو أن يتـرك الأرض بلا زراعـة دون أن جعلهـا تثمـر بالعمل ، ولا يمكن له أيضـا أن يجمع المال ويكنزه : ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهـم بعذاب أليم**﴾واللعنـة الكبرى فى القـرآن موجهـة ضـد الثرى أبـو لهب الذى تدينه ثرواته ﴿**تبت يدا أبى لهب وتب* ما أغنى عنـه ماله وما كسب * سيصلـى نارا ذات لهب**﴾ وكل تعالم القرآن تنادى بالزكاة والتى تتمثل فى انتقال اجتماعى للثروات كأحد متطلبات الدين . وتحظر الربا ، أى كل زيادة فى الثروات بلا عمل فى خـدمـة الله ، وهى تعـاليم تهـدف إلى الحيلـولـة دون تكـديس الثـروات فى أحـــد قطبى المجتمع وتفشى البـؤس والفقـر فى القطب الآخر .

ثالثا العلاقة بين الإنسان وربه فـى الإسلام علاقة مباشرة فلا توجد واسطـة بينهما ولا يوجد كهنوت ولا سلطـة رجال دين فلا كنيسة ولا قساوسة .

رابعا : عندما قرأت صدر الدين الشيرازى تعلمت أن المحبة الإلهية فى الإسلام تكتسب بالمحبة الإنسانية .

●محمد سيد أحمد يسأل : لمـاذا أضفتم فى كتابكم الأخير ملحقا عن الفلاسفة الجدد فى إسرائيل وكيف نفرق بين اليهودية والصهيونية فى هذا الإطار؟

□ جارودى : أعتقـد أنه من المـوضوعـات الهامة فـى كتابى التفرقة بين اليهودية كديانـة والصهيونية كسياسة الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصبة لليهوديـة ومن حسن الحظر أن كثيرا من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندمـا أراد تيودور هرتـزل أن يؤسس إسرائيل عـارضه معظم الحـاخامـات فـالصهيـونية مـا هى إلا هـذه البـدعة المتشـددة العظمى التى غيـرت الـرسالـة الإلهيـة بإعطـائهـا هذا التبـريـر الأيديولوجى لقومية عدوانية وتم تبديل إله إسرائيل بدولة إسرائيل هذه البدعة التى أطلقها هـرتزل إن المطلب الوارد فى التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هـو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أى قراءة تحريفية تحول الأقوال العظيمة التى قالها

الآباء الكهنة والرسل لتجعل منها تـاريخا قوميا وحتى قبليًا . إن هذا المطلب هو بـدعة تدعم السياسة الصهيـونية . وهى تؤدى إلى المفارقة التالية فحسب إحصاءات الحكومة الإسرائيلية فإن ١٥٪ فقط من الإسـرائيليون متـدينـون وبالـرغم من ذلك فإنهـا تحـاول أن تجعل الغالبيـة العظمى من الشعب يـؤمن بأن هـذه الأرض ملك له لأن الله قد وعده بها . هـذا الإله الذى لا يؤمن به الشعب إن بن جـوريـون الكافـر هـو الذى أطلـق هذا الشعـار المذكور فى إسرائيل يقدمون لهم التوراة عن مملكة داود الثالثة . وعندمـا يستدعـون الشباب للجنـدية فى إسـرائيل يقدمـون لهم التوراة وفيها خريطة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ، ويقولون إن تفكك المستوطنات خيانة كبرى لليهودية .

إسرائيل ملحدة

○محمـد عودة : عنـدما نـدرس إسرائيل نـدرسها كمشـروع استعمارى استيطانى لا عـلاقة له بالروحانيـات ولا باليهودية ... فكيف يرى جارودى الدور التاريخى لإسرائيل؟

□ جـارودى : أتفق معك فإسـرائيل هى اختـراع اليهـوديـة

الأوروبيــة وهرتـزل مؤسس إســرائيل والأب الـروحى لها ملحـد غنوص وقد رسم لها مهمة رئيسيـة قبل أن تنشأ . وقام بالمساعى العديدة لدى دول الغرب التى كـانت استعمارية فى ذلك الوقت وهى إنجلترا والمانيا و إيطاليا وروسيا وكانت حجته الرئيسية التى استند إليها أنــه إذا قامت إحدى هــذه الدول بحماية هــذه الدولة الوليدة فستتمتع بميزة على كافة خصومها لأن هذه الدولة ستكون بمثابــة رأس حـربـة مغــروسـة فى المنطقــة من أجل تغلغل استعمارى يقوم بالضرب . وستكون بـالنسبة لأوروبا متراسا ضد آسيا . وعنـدما تحول ميزان القـوة الاستعمارية لأمريكـا تحولت إســرائيل إلى عميـل لهـا بحيث تلعب إسـرائيل إلـى عميل لهـا بحيث تلعب دور الإدارة لحماية مصالحها فى المنطقة .

● د . مصطفى محمـود : أحب أن أنقل إليك شعور كـاتب إسـلامى يمثل كل الإسـلاميين فى مصـر . والسؤال يـدور حـول شعورنا أن المسـرح يعد فى منطقتنا لمواجهة عسكريـة قريبة وأن إسرائيل ومن ورائها أمريكا سـوف تحسم أطماعها عسكريًّا فهل يشعـر جارودى معى أن هـذا الاحتمال وارد أم أنهـا هموم مبـالغ

فيها؟

□ جارودى : أعتقد أن إسرائيل ستكون مفجرًا لحرب عالمية جـديـدة ولن يكـون لهـذه الحرب سمـات الحـروب العـالميـة السابقـة . فالحـروب السابقة وقعت بين الـدول الغربيـة وكانت بمثابة حروب أهلية فى إطار النظام الرأسمالى . الحرب الجديدة ستكون حـرب حضارات بين الشمال الرأسمـالى وبين الجنوب وسوف تلعب إسرائيل فى هذه الحرب دورًا حاسمًا وبعد سقوط الاتحاد السوفييتى فإن الولايات المتحدة تبحث عن شيطان آخر تبرر بـه هيمنتها وتـدخلها واستعمارهـا . فتحت شعار محـاربة الشيوعيـة كانت الولايـات المتحدة تتدخل فى الـدول التى تبعد على الأقل عشـرة آلاف كيلـو متـر عن حـدودهـا . الشيطـان الجـديد الـذى عثـرت عليه أمـريكا هـو الإسـلام الذى تسميـه الإرهاب . وبخـاصة فى الـدول الإسلاميـة البتروليـة التى لا تقع تحت سيطرتها . مثل إيران وليبيـا ، وأعتقد أن أول حرب ستكون ضد إيـران . وعندما اجتمع قـادة الإرهاب فى شـرم الشيخ حدد شيمون بيريز الهدف الجديد مدعيًا أن إيران هى مصدر الإرهاب

بكافة أشكاله فى العالم دون أن يقدم دليل على ذلك .

نعم للكفاح المسلح

● **هل تعتقد أن اتفاقيات السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين يمكن أن تعيد للفلسطينيين حقوقهم؟ وهل هناك اختلاف بين سياسة بيريز وسياسة نتنياهو؟**

□ جارودى : بالتاكيد لا: لأنه لا توجد مفاوضات حقيقية إلا حينما يوافق جميع الأطراف على طاعة القانون الدولى ، ولكن دعنا نتساءل ما الذى تعطيه هذه الاتفاقات للفلسطينيين؟ ٦ ٪ فقط من الأراضى المحتلة والباقى لإسرائيل وهذا معناه أن هذه الاتفاقات غير معنية إلا بـ ٦ ٪ من القضية الفلسطينية . . والأرض التى يأخذها الفلسطينيون عبارة عن مقاطعات مجزأة تحيط بها المستوطنات (٢٠٠ـ مستوطنة) فى حماية الجيش الإسرائيلى . والطريق المؤدى إلى القدس والذى تلتقى عنده جميع الطرق ممنوع اجتيازه بتاتًا إلا لليهود ، ومنذ التفرقة العنصرية التى كانت قائمة فى جنوب أفريقيا لم نعرف أبدًا نوعًا من التفرقة المكشوفة بهذا الشكل ، فهذه ليست مفاوضات سلام

ولكنها نوع مـن إملاء الإرادة. هذه مهزلة سـافرة. وعن نفسى، فأنا لن أزور فلسطين المحتلة باتفاقات أوسلو، وأعتزم بالمقابل تكرار زياراتى لقرية قانا فى لبنان ولا يوجد فرق بين حزب العمل والليكود إلا فى الكلام فقط. وما كان يـريد بيريز تحقيقه بخبث شديد، يريد نتنياهو تحقيقه بصلف شديد.

● **جلال أمين: مـاذا عن الحل. وعن إمكانيـة تحقيق دعوة جارودى إلى مقاطعـة الجنوب لأمريكا والدول الغربيـة اقتصاديًّا فى الظروف الدولية الراهنة. ؟**

□ جارودى: أعتقد بصراحـة أن حل القضية الفلسطينية يبدأ من أمريكـا وطالما أن إسـرائيل تمتلك كل هذا السـلاح والمال والتفوق الدبلوماسى والدعم الأمريكى وحق الفيتو الأمريكى فإن مقاطعـة إسرائيل فقـط غير كاف. الحـل أن نضرب أمريكـا فى نقاط ضعفهـا، فى الاقتصاد فأمـريكا هى أكبـر دولة مـدينة فى العـالم والبنـوك الأمـريكيـة مجـرد أوكـازيـونـات تعتمـد على المضـاربـات أكثـر من اعتمادهـا على العمـلات واقتصـادهـا اقتصاد هش يمكن ضـربه بسهـولة وأقوى سـلاح فى أيدينـا هو

المقاطعـة . ففى كل مرة نشترى فيها زجـاجة كوكاكـولا أو سيارة أمريكية فإنـك تدعم الاقتصاد الأمريكى الذى يـدعم إسرائيل ، وفى القرن الماضى عندما قاطع الهنود مصانع النسيج البريطانية أفلست وتخلخلت قبضـة الاستعمـار الإنجليـزى على الهنـد ، الحل مقاطعـة الاقتصاد الأمريكى والغـربى و إقامة نظام جـديد للتعـاون الاقتصادى بين الجنـوب ، ولقد شـاهدت فى أوروبـا أحـدث الجـرارات التى تعمل فـى الحقـول لكنهـا لن تعمل إذا منعت عنهـا البتـرول . نستطيع دول العـالم الثـالث أن تحقق الاكتفـاء الـذاتى وتحل مشكـلات البـاطلـة والتضخم والجـوع والهجرة . وأعتقـد أن هذا هو الحل لسحب مقـدرات الأمور من يـد الـولايـات المتحـدة . فأمـريكـا لن تضحى بأمـوال العـرب المكدسة فى بنوكها بسهولة فهدفنا هو مقاومة استعمارية أمريكا من خلال تكامل وحوار جاد بين دول الجنوب وهذا هو الطريق لتخفيف الـدعم والتفـوق المـالـى والـدبلـومـاسى والعسكـرى لإسرائيل .

● **هل هـذا معنـاه إنـك ضـد حق الشعـب الفلسطينى فى**

الكفاح المسلح؟

□ جارودى : العملية ليست عنفًا أو غير عنف . لكنى أعتقد أن الشعب الفلسطينى يمكن أن يعبر عن وجوده بالكفاح المسلح . والمعركة الأساسية من وجهة نظرى اقتصادية ، تتطلب اتحاد الدول العربية كلها . والاقتصاد الأمريكى لن يصمد أمام ضياع الأموال العربية . وإذا كانت أمريكا سترفع دعمها عن إسرائيل فلن تستمر إسرائيل أكثر من ستة أشهر. لذلك فإننى أركز على الحرب الاقتصادية .

● **بهاء : ما رأيك فى الأصولية وبخاصة الأصولية الإسلامية؟**

□ جارودى : أود أن أقول إننى حاربت الأصولية الفكرية منذ عام ٤٨ أما الأصولية الدينية فهى أن يعتقد الإنسان أنه يملك الحقيقة النهائية وبالتالى يتعين فرضها على الآخرين وهذه جريمة . ومن هذا التعريف كتبت ٤ كتب عن الأصولية وقلت إن الحقيقة يجب ألا تفرض على الآخرين فهذا نوع من الاستعمار. هذا التعريف للأصولية كتبته عن الكنيسة الكاثوليكية ثم تكلمت عن الأصولية الإسلامية وقلت إنها ستؤدى إلى التدهور

الإسلامى. ثم هاجمت الأصولية الصهيونية عندما كتبت عن إسرائيل فاستدعوا لى البوليس، ومهمتنا كمسلمين ألا نخلط بين الفقه والتشريع فالتشريع شامل خالد لجميع العصور. أما الفقه فهو متغير بتغير العصور. المواريث مثلا أقرب للفقه منها للشريعة، وحد السرقة يوقف تطبيقه فى حالة عدم توفر مجتمع الكفاية.

● الدكتور يحيى الجمل ألاحظ أن الأستاذ جارودى يستخدم مفهوم الأصولية كما هو متداول فى الإعلام الغربى ألاحظ أنه يخلط بينه وبين مفهوم السلفية. فالأصولية تعنى العودة إلى الينابيع الأصيلة ولا تعنى الجمود أو فرض الفكر بتعسف على الآخرين. وأريد أن أسال عن رأى جارودى فى مستقبل الإنسانية بصفة عامة؟

□ جارودى: عندما أقول الله يصبح للعالم معنى الوحدانية فالعقيدة شىء ضرورى ولا يكون للحياة معنى بدونها. والطابع الدينى إنما يتجلى فى الغايات الأخيرة للإنسان والتى تتمثل فى معرفة ما إذا كانت تنمية العلوم والتقنية تؤدى بالضرورة إلى

تحطيم الإنسان أو ازدهاره .

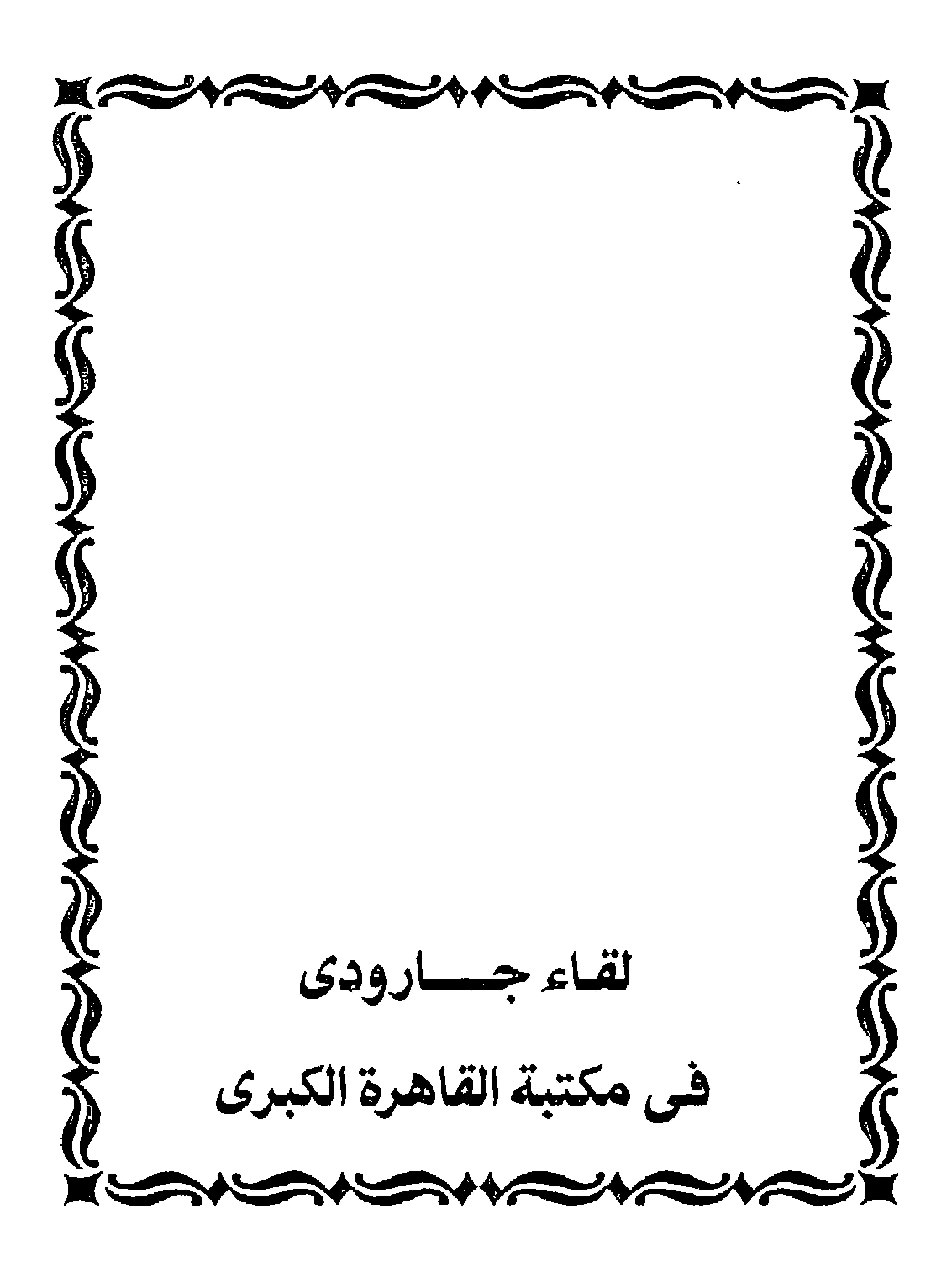
● كيف تنظر إلى مستقبل الحضارة الغربية؟

□ إن الحساب الختامى لانهيار الحضارة الغربية ثقيل للغاية ويمكن تلخيصه فى بضع كلمات هناك أقلية غنية لا تتعدى خمس سكان العالم تسيطر وتستهلك ٨٠ ٪ من الموارد الطبيعية فى هذا العالم، والنموذج الغربى للتنمية يكلف العالم الثالث (بسبب الفقر وسوء التغذية والجوع والأمراض) حياة ٤٥ مليون شخص سنويًا من بينهم ١٥ مليون طفل دون الخمس سنوات، ولا يمكن تصور إدارة أسوا من ذلك لكوكبنا من جانب الذين يدعون تلقين دروس فى الديمقراطية وفى الحرية وحقوق الإنسان وفى العالم الآن ٣٥٠ شخصًا يستحوذون على قسط من الثروة التى يستحوذ عليها ٢ مليار من البشر. أما الديمقراطية فهى فى الواقع العملى للأغنياء وليست للفقراء وعلى سبيل المثال يحتاج الشخص إلى ٥٠٠ مليون دولار فى أمريكا للقيام بحملة انتخابية ليصبح عضوًا فى مجلس الشيوخ أو النواب .

● وماذا عن تفاصيل الحملة الصهيونية عليك فى فرنسا بعد

صدور كتابك « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية »؟

□ رفضت كافة الصحف التى تشن حملة تشهير واسعة النطاق على مجرد نشر رد مع أن هذا حقى القانونى. وقد هوجم موزع كتبى من العصابات الصهيونية الفرنسية وتم تشويه وجهه وأحرقت واجهات المكتبات التى تعرض كتبى فضلاً عن الملاحقة فى كل مكان والتهديد بالقتل. وأنتظر محاكمة أمام محكمة فرنسية فى ١٣ نوفمبر القادم. هذه الحالة ليست حالتى فقط ففى السبعينيات تم فصل البروفيسور « روبيرفوريسون » من جامعة ليدن وتم اغتياله معنويًا لأنه قدم بحثًا علميًّا يقول إن عملية حرق اليهود فى غرف الغاز فى ألمانيا هى أكذوبة صهيونية وفى الثمانينيات عندما حصل الباحث « هنرى روكبه » على درجة الدكتوراه فى جامعة « نانت » فى موضوع غرف الغاز وشكك فيها سحبت منه درجة الدكتوراه لأول مرة فى تاريخ فرنسا وفصل الأستاذ الذى أشرف عليه بقرار من وزير التعليم، وسبق لى أن قدِّمت للمحاكمة ثلاث مرات أوائل الثمانينيات بسبب مقال فى « اللوموند» يدين الغزو الإسرائيلى للبنان.



لقاء جـــارودى

فى مكتبة القاهرة الكبرى

● واستمرارًا فـى برنامـج لقاءاته فـى القاهرة التقـى جارودى بالمثقفين من كتاب ومفكرين وأساتـذة جامعة فى مكتبة القاهرة الكبرى ليـواصل أحاديثه حول القضـايا التى طرحها فى لقـاءاته السابقة . وبداية أبدى جارودى اتفاقه مع الرأى الذى يذهب إلى أن الدولة اليهودية لـم تكن منـذ ولادتها حلا للمشكلة اليهودية أو تمثل قضية روحيـه لتحديد مصير الشعب اليهـودى ولكنها ومنذ البداية مشروع سياسى استعمارى استعملتـه الامبريالية الألمانية فى الحـرب العالميـة الأولى واشترتـه الامبـرياليـة الألـمانيـة فى الحـرب العـالميـة الأولى ثـم ارتمـت على أعتـاب الامبـريـاليـة الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية ولهذا يتم دراستها كمشروع استعمارى استيطانى لا صلة له بالـدين موضحا أن إسرائيل تعد اختـراع الوطنيـة والعنصريـة الأوروبية ولاشأن لهـا بالـدين على الإطلاق فمؤسسها الروحى « هرتـزل » قال ما هو نص فى كتابه « الـدولة اليهـودية » أنـه استعمل الدين فقط من أجل العـودة إلى أرض الميعـاد كمـا أضـاف أنـه أراد أن ينشىء درعـا للحضـارة الغربية ضد البربرية الشرقية لتصبح الغاية فيما بعد وأثناء الحرب العـالميـة الأولى هى السيطـرة على منـابع النهـر ولكن بعـد أن

استطاعت الـولايات المتحدة الأمـريكية أن تحصل على نصف ثروة العـالم تقريبـا أصبحوا عمـلاء أمريكا فـى الشرق واتسعت الغـاية لتشمل تفتيت كل الـدول العـربية المـوجودة فى منطقـة الشرق الأوسط والسيطرة عليها .

الإسلام الحق

ويحاول جارودى أن يشرح اللبس الذى أصاب البعض ممن حضروا نـدوته السـابقة فى جـامعة عين شمـس وغيرها والـذين تصوروا أنه يرى فى إيران والسودان النموذجين المثاليين للإسلام الصحيح !!

قائلا : إن القضيـة منذ البـداية ليست دينيـة وإنما سيـاسية محضة فالعدو الرئيسى للإسلام هو الولايات المتحدة الأمريكية فقبل انهيار الاتحاد السـوفييتى كانت أمريكا تعتبـر أن الشيوعية هى العدو الـرئيسى لها لكى تبرر التسليح فى المنطقـة وتجميد العالم ضد عـدوها السوفييتى ولكن وبعد انتهـاء الحرب الباردة وسقوط العملاق السـوفييتى حاولت أمريكا أن يجـد البديل فى الإسلام الـذى تراه نـوعين أولهما إسـلام طيب لا خطـر منه ولا

ضرر وهو إسلام صندوق النقد الدولى وتكبيل الدول الإسلامية بالديون والفوائد وبالتالى عرقلة المسيرة والتنمية الاقتصادية فى هذه الدول لتصبح خاضعة باستمرار للهيمنة الأمريكية .

أما النوع الثاني من الإسلام فهو كل من يعارض مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى المنطقة ومن هنا يتضح أن المسألة ليست دينية مطلقا وإلا كيف تفسر وجود ٤٠٠٠٠٠ جندى أمريكى يرابضون فى منطقة الخليج العربى ليس لمحاربة الأصولية الدينية أو التيارات المتشددة وإنما دفاعا عن مصالح أمريكا فى المنطقة وفى مقدمتها البترول الموجود فى إيران والعراق وليبيا والسودان فهناك مخطط أمريكى لتوحيد السوق العالمى تتزعمه وتدافع عنه ليصبح كل شىء قابلا لبيع والشراء حتى القيم الإنسانية .

لذلك أطالب بتكاتف الجميع ضد العدو المشترك ـ أعنى به أمريكا ـ بصرف النظر عن الاختيار السياسى أو المعتقد الدينى وهنا استشهد بما حدث لفرنسا خلال الاحتلال النازى وبين ما يحدث فى العالم العربى الآن فالكل فى فرنسا فى ذلك الوقت

كان ضـد النازية سـواء كان ينتمي للتيـار اليمينى أو اليسارى أو الاشتراكى فالعدو واحد والمواجهة لابد أن تكون جماعية .

اســتمرارية

وينكر المفكر الفرنسى روجيه جارودى على نفسه التنقلات الفكريـة الحادة فى حياتـه بل يقول : أننى أسأل وبـاستمرار بأن هناك مـراحل فى حياتى من الكاثـوليكية إلى الماركسية ونهـاية بالإسلام وهو أمر غير صحيح فهناك تواصل فى حياتى ففى عام ١٩٣٣ عندما كـان عمرى عشرين عامـا وصل هتلر إلى السلطة فى ألمـانيا وبـدأت الأزمـة الاقتصاديـة الطـاحنـة فى الولايـات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٩ وانعكـاساتها السلبية على أوروبا وتساءلت فى ذلك الـوقت وكنت طالبا للفلسفة : مـا سبب هذه الأزمـة التى تحدث فى الغـرب؟! فـوجدتنى أكتشف أن الأفـراد والأمم فى الغرب كـانوا مغرقين فى ذواتهم وهو مـا جعل الحرب دمارا على الكل ضد الكل كما لاحظت أن الغرب يعانى من أزمة روحية فبدأت أقرأ عن سيدنا إبراهيم وأضحيته لله سبحانه وتعالى فشعرت أن هناك قيما مطلقة والتزام غير مشروط يجب أن أعلمها

فاتجهت إلى المسيحية و إن كنت مازلت أفتقد المنهج وابحث عن الوسيلة لارتقاء هذه القيم المطلقة وهو ما وجدته في الماركسية وكان أمامى فى ذلك الوقت اختياران أولهما « لآدم سميث» المدافع عن الرأسمالية والذى يرى أن نشأة الغنى والثروة يتم عن طريق تحقيق المصلحة الشخصية والتى يتبعها بالضرورة تحقيق المصلحة العامة وهذه الدعوة من آدم سميث لم تتحقق حتى الآن .

أما الاختيار الثانى فوجدته فى كارل ماركس الذى من خلاله عرفت أن تركيز الثروة فى أيدى الأقلية ينتج أيضا الفقر فى أيدى الأغلبية فهناك فقط ٣٥٠ فردا فى العالم مليون ٥ , ٢ مليار فى ثروة العالم .

ويضيف جارودى قائلا : كنت حتى ذلك الحين لا أرى تناقضا فى مسارى الروحى بل تكاملا فالدين عندى هو الغاية القصوى والنهاية أما الماركسية فتقدم لى المنهج والوسيلة حتى **عرفت الإسلام فوجدت فى القرآن الكريم دينا شاملا وعادلا فهو دين يؤمن بكل الأنبياء ففى النهاية الإيمان بالله هو الذى يعطى**

للحيـاة معنى وقيمة لـذلك أنا ضـد توحيـد السوق البشـرى وأن الإنسان ليس إلاسلعة تباع وتشترى والحياة مجرد زيادة كمية لفئة تنتج وأخرى تستهلك .

ثـــلاث خصـــائص

● ويرى جارودى أنه ليس صاحـب دعوة خاصة فى الإسلام وأنه غير منوط بهذه المهمة ولكنه عليه فقط أن يشرح تجربته مع الإسلام ليأخذ بها الآخرون إن أرادوا قـائلا : فى فرنسا المسلمون الفرنسيون قليلون جدا وهم مثقفون فى النهاية على الرغم من أن الإسلام هـو الدين الثانى فى فـرنسا بعد المسيحية ولكنـه إسلام المهاجرين والأخـوة العرب خاصة من شمـال إفريقيا ومعظمهم من العمال ومن ثم أن الذى أثر فى كثيـرا هو «رينيه جينو» الذى اعتنق الإسلام أيضـا وفسر الإسـلام بطريقة صـوفية فمن خـلاله اكتشف الرومى فريد الدين العطار وابن عربي والحلاج وهذا هو الإسلام عندى فى البداية قبل أن أتحول إلى مفهومى عن الإسلام الآن والذى يتميز بثلاث خصائص هامة أولها :

أنه إسلام عـام وشامل لا يحتكر أحدا فيـه الحقيقة أو يدعى

النهاية الكاملة وإنما هو الإسـلام والقرآنى العادل . أما الخاصية الثانية هى إيمـانى بأن الإسلام دين متجدد يؤمن بقانـون الحركة فى العالم وهو ما قاله أيضا الشاعر الكبير محمد إقبال فى كتابه عن «تجديد الفكر الدينى فى الإسلام» مطـالبا بالاجتهاد كقانون للحركة فى الإسلام .

وأخيرًا الخاصية الثالثـة وهى أن الإسلام دين شامل يحتاج فيه بعضنا البعض لتبادل الفهم والحوار فالله وحده هو الذى يعلم أما نحن البشر فمعـرفتنا محدودة ونسبية فـالتغيير ليس قانـونا للعلم فقط و إنما للدين أيضا فلا أحد يستحق أن يوصف بأنه مؤمن إلا إذا اكتشف إيمانه كـل يوم وأخيرا يبقى للإسلام أنـه دين الاجتهاد وروح النقد فلا يوجد به هيئـة دينية تقف كواسطة بين العبد وربه بل كل فرد مسئـول عن أفعاله وأعمالـه وبالتالى فالـدين دين عام فالله موجـود ويمثل وحدة كل المؤمنين وليس وحـدة السوق كما تريدها الولايات المتحدة الأمريكية .



محاضرة المفكر الفرنسى الكبير روجيه جارودى حول الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

● لماذا أصـدرت هذا الكتاب الآن بينما كنت قـد أصدرت كتابا آخر فى عـام ١٩٨٢ تحت عنوان فلسطين أرض الرسالات السماوية .

● عندما أصدرت هـذا لكتاب عن فلسطين كان ذلك عقب غزو لبنان وجرائم الحروب التى ارتكبها ريل شارون المسئول عن موت ٢٠٠٠٠ ألف قتيل لبنـانى وكذلك مـذابح صبرا وشـاتيلا وكان الغرض منهـا إظهار أن هذا العدوان الدانىء ضـد المقارنة الفلسطينية لاحتـلال بلدهم وضـد شعب لبنان والـذى كان من منطق السياسة الصهيونية كما قلنا فى ذلك الوقت مع الأب .

وقولنا فى مقـال نشر فى جريدة «لومونـد» هذا المقال الذى أدى إلى رفع ثلاث قضايا ضد مدير الجريدة Jacques Fauver

وأنـا شخصيـا وقـد كسبناهـا جميعـا وتم إدانـة LICR قادة الصهيـونيـة الفـرنسيـة وحكمت المحكمـة بأن النقـد الـواضح لسياسة دولة الأيـديولوجية التى تلهمها (وهنـا يقصد الصهيونية) ليس له أى علاقة بالعنصرية.مناهضة السامية .

واليوم بعد انهيار الاتحاد السـوفيتى الذى بدأ يدخل فى عهد

الرأسماليـة وبعد الرغبة الأمـريكية فى تدمير العـراق فإن الخطر الصهيونـى يأخذ أبعـادا أخرى على مستـوى العالم والعـلامات الدالة على ذلك عديدة .

ومنذ أن بـدأت الحملة الضخمـة للوسـائل العسكريـة ضد العراق عندما لم يتحرك أحد بعد أن احتلت إسرائيل حدود كافة الدول المجاورة لها وقامت بضم مـدينة القدس قال أحد الوزراء السابقين لجنرالM .ALAIN PEYREFITE فى جـريدة لوفيجـاور ان هناك اثنان من اللـوبى دفعت بالولايـات المتحدة بالدخول فى الحرب :

١ ـ اللوبى الصهيونى للقضاء على العراق .

٢ ـ لوبى رجال الأعمال لتنشيط الاقتصاد الأمريكى .

إن التواطؤ الأمريكى الصهيونى للإعداد لحرب جديدة ظهر مرة أخـرى (وهذا أدى إلى بداية ظهـور أفكارى ـ عن الأسـاطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية عنـدما حدد شيمون بيريز فى شرم الشيخ مشيرا إلى أن إيـران هى هدف جديـد وهى تلهم الإرهاب العالمى الأمـر الذى كان سيبرر عـدوانا جديدا على لبنـان وتوج

بمذابـح قانا وكـانت الفكرة التـى دارت حولها آرائى عـن الدور الجديد للسيـاسة الإسرائيلية المتعلقـة ليس فقط بالشرق الأدنى ولكن أيضا بسياسة السيطرة العـالمية للولايات المتحدة، تستند على «الخطبة حول تاريخ العـالم» والواردة فى المقال المتضمن برنامج صمـويل هنتجتو SAMUEL HUNTINGTON عن «صـــدام الحضـارات» (الـــذى نشـر فى مجلـــة -commen taneالعدد رقم ٦٦ الصادر فى ربيع عام ١٩٩٤).

كان البنتاجون حتى ذلك الوقت قد أعرب عن الفكرة الخرافية المتفائلـة لحلم السيطـرة العالمية والـذى ظهر فـى كتاب -FU RUYAMAعن «نهاية التاريـخ» الذى كان يفترض أن يخضع العـالم بأكملـه لأسوأ نظـريـة تحريـريـة للسيطـرة وهو مـذهب وحدانية السوق، إن أطروحة صمويل هنتجتون أكثر دهاءا فهى تظهـــر العقبـات التى تعتـــرض تحقق«هـــذا النظـام العـــالمى الجديد»».

منذ نهـاية الحرب العالميـة الثانية أى على مـدى نصف قرن تقريبا استندت سياســة زيادة التسليح الأمريكية على حجة وهى

التهديد السوفيتى .

كان ــ باسم الأمن الأمريكى ـ بـرير العدوان فى كافـة أنحاء العالم من فيتنـام إلى كوريا ومسـاندة كافـة النظم الديكتاتـورية العسكرة فى أمـريكا اللاتينية وفى الفلبين تحت حكم مـاركوس وحماية الأبارتيد فى جنوب إفريقيا السابقة .

بعد انهيار الاتحـاد السوفيتى كان لابد من إيجـاد بديل ليقوم بدور «الشـرير» « وامبـراطورية الشـر» المطلوب محـاربتها على مستوى القارات الثلاثة ، وكان ذلك هو الإسلام الذى كان يعتبر تهديدا عـالميا فى شكل «الإرهاب» وكان مبـررا لاستمرار سباق التسلح وتدعيمه وأعطى فرصـة للتدخل الاقتصادى والعسكرى فى كـافـة أنحـاء العـالـم . إن نظـريـات هنتجتن عن «صـدام الحضارات» شكلت الأساس النظرى لهـذا الاتجاه الاستراتيجى الجديد .

وكانت النتائج التى توصل إليها واضحة :

(إن صدام الحضارات سيسيطر على سيـاسة الظلم وخطوط الانكسـار بين الحضـارات ستكـون خطـوط المـواجهـة مع

المستقبل..).

• كانت الحروب السابقة تقع فى معظمها تدور فى داخل الحضارة الغربية أنها كانت «حروب أهلية غربية» على حد قول وليام لند WILIM LIND وقد انطبق ذلك على الحرب الباردة والحربين العالميتن والحروب التى وقعت فى الماضى فى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر وبانتهاء الحرب الباردة خرجت السياسة الغربية من مرحلة الغرب لتصبح مركز التفاعل بين الحضارة الغربية.

وأظهر بوضوح أن استنتاجات الآثار المترتبة على تحليل وجهة نظره للسياسة الدولية. هذه الآثار يمكن أن تنقسم إلى مزايا قصيرة المدى وأخرى على المدى البعيد فعلى المدى القصير يبدو أن الغرب من مصلحته أن يطور التعاون والوحدة داخل الحضارة التى يمثلها وبصفة خاصة بين مكوناتها الأوروبية وتلك الموجودة فى شمال أمريكا وهى أن تضم إلى الغرب مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية التى لها ثقافات قريبة من ثقافة الغرب ومن هذه الآثار أيضا الحد من زيادة القوة

العسكريـة للدول ذات النظام الكـوفيشيوسى والإسـلامى وعدم القضـاء على القـدرات العسكـريـة الغربيـة والاحتفـاظ بتفـوق عسكرى فـى الشرق الأقصى وفى جنـوب غرب آسيـا واستغلال الخـلافات والمنـازعات بين الـدول الكوفيشيـوسى والإسلاميـة ومسانـدت الحضارات غيـر الغربية للجمـاعات المـوالية لقيم ومصـالح الغرب ودعم المـؤسسات الـدولية التى تعكس وتبـرر المصالح والقيم الغربية وتشجيع مشاركـة الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات .

وعلى المدى البعيد هناك إجـراءات أخرى يمكن أن تتخذ، فعلى الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصـادية والعسكرية التى تعتبر ضروريـة لحماية مصـالحه فى عـلاقاته مع هـذه الحضارات، وكل ذلك يظهر بوضوح نوايا الغرب .

ولكن ما هو دور إسـرائيل فى الجغرافية السياسية المـرسومة بهـذا الشكل؟ إن إسرائيـل تتمتع بوضع استـراتيجى حـاسم فى هذه «المواجهـة بين العالمين» إن الأب الروحى لدولـة إسرائيل قد رسم لها مهمة رئيسية حتى قبل أن تنشأ فمن أجل «خلق دولة

يهوديـة» قام بمسـاعى عديـدة لدى القـوى الغربية التـى كانت استعمارية فى ذلك الوقت وهى إنجلترا وألمانيا و إيطاليا وروسيا كانت حجته الـرئيسة التى استند عليها أنه إذا قـامت إحدى هذه الدول بحمـاية هذه «الدولـة اليهودية» فستتمتع بميزة على كـافة خصومها لأن هذه الـدولة ستعتبر بمثابة رأس حربـة مغروسة فى المنطقة من أجل تغلغل استعمارى يقول بالضرب . وكتب يقول فى عام ١٩٨٥ فى كتـابه «الدولة اليهـودية» إننا سنكون بـالنسبة لأوروبـا متـراس ضـد آسيا وستكـون بمثـابـة الحصن المتقـدم للحضارة ضد البرية (الدولة اليهودية) باريس ١٩٢٦ ص٩٥

"L'Etat saif" Lipschutz,paris 1926 p.95)

وكـــان أيــزنهاور يعتـــبر الشـــرق الأوســط فـــى ذلك الــوقت «أهــم مكـــان استراتيــجى فـــى الـــعالم .

(cite' par STEVEN SPIEGEL: " THe other arar " Arab - Israele Conflct")

(Universite' de Chicogo 1985 p.51) .

إن إسرائيل تتمتع بثلاث زايا رئيسية :

١ ـ موقعها الاستراتيجى على مفترق أوروبا وآسيا وإفريقيا .

٢ ـ موقعها الاستراتيجى فى قلب هذا الجزء من العالم الذى يحتوى على نصف بترول العلم عصب التنمية (بالمعنى الغربى للكلمة) .

٣ ـ الأسطورة اللاهوتية عن«شعب الله المختار» (والتى تستخدم لتغطية أطماع الغرب عن الموقع الاستراتيجى والموقع الاقتصادى لإسرائيل وتضع تجاوزاتها بكافة أشكالها فوق أى قانون وأى عقوبة بشرية وبصفة خاصة فوق كافة قرارات الجماعة الدولية (على سبيل المثال الـ ١٩٢ إدانة التى اتخذتها الأمم المتحدة ضد سرائيل والتى أوقفها الفيتو الأمريكى لحماية إسرائيل) .

١ ـ الموقع الاستراتيجى

إن فلسطين التى تريد إسرائيل ضمها بالكامل كمرحلة أولى للفتح أسماه هتلر (المجال الحيوى) "espace irta-lary"Lebnsrau" ويعنى به الشرق الأدنى والأوسط من

النيل للفرات بتفتت كافة الدول المجاورة لها وهى لبنان وسوريا والعراق والأردن ومصر ، فلسطين هذه تقع على مفترق الطرق الجغرافية والاستراتيجية لثلاث قارات وهى أوروبا ـ الجبهة المتقدمة لها ـ وآسيا وأفريقيا .

وأراد القادة الإسرائيليون أن يأخذوا زمام السبق لحسابهم على الأغراض الأمريكية وذلك بالاستيلاء على فناة السويس بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا ، وكانت الذريعة التى استندوا عليها هى تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس .

إن التنسيق العسكرى للعملية تم فى باريس بين موشى ديان وشيمون بيريز من جانب ومن الجانب الفرنسى الجنرال شال (وهو أحد رؤساء مؤامرة الجنرالات فى الجزائر (Lan Laire"Moshe Dayan."P156)

وهنا تدخل الأمريكيون والسوفييت الذين أرادوا عدم ترك هذه الفرصة تفوتهم وأوقفوا فى اللحظة الأخيرة الغزو الإسرائيلى لقناة السويس .

ولم يكن ذلك بالنسبة لإسرائيل إلا تأجيلا للعملية .

لقد كانت القناة هي الممر الإجباري الذي يربط بين المحيط الهندي وجنوب غرب آسيا ومن ثم فقد كانت مرمى لأطماع إسرائيل وأولها أن تتمركز في خليج العقبة الذي ينفتح على البحر الأحمر بشرط أن يظل مضيق تيران في أيديها .

هنا كان يمكن بدء مرحلة جديدة لتوسع إسرائيلي بمشاركة الولايات المتحدة الأمريكية وكان الترابط المالي والسياسي بين إسرائيل والولايات المتحدة قد بدأ في عام ١٩٤٨ في عهد الرئيس ترومان تحت اسم النقطة الرابعة لبرنامج المعونة فقد حصلت إسرائيل وحدها في ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٢ على نفس ما حصلت عليه خمس دول من بلدان المشرق العربي وهي مصر ولبنان و الأردن وسوريا والعراق التي يتعدى عدد سكانها ٢٠ ضعف عدد سكان إسرائيل .

أما فيما يتعلق بالتعاون العسكري الذي بدأ في عام ١٩٦١ فقد اتسع بشكل ضخم بعد كامب ديفيد فقد نص بروتوكول التفاهم الاستراتيجي الذي وقع في واشنطن في ٣٠ نوفمبر ١٩٨١ على أن يقوم ريجان بتوريد أسلحة لإسرائيل بكميات

أكبر من المنصوص عليها فى الاتفاقيات السابقة وبصفة خاصة ٧٥ طائرة جديدة إف ١٦ وذلك قبل غزو لبنان ببضعة أيام حيث إنه بعد الجلاء عن صحراء سيناء بستة أسابيع كان غزو لبنان قد بدأ وهكذا بدأ مشروع إسرائيل الكبرى يتحقق وإنشاء امبراطورية حقيقية فى الشرق الأوسط التى نادى بها آريل شارون فى ديسمبر ١٩٨١ إذ قال : ((خلال السنوات القادمة سوف تتسع دائرة المصالح الاستراتيجية لإسرائيل لتشمل ليس فقط البلاد العربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ولكن الشرق الأدنى بأكمله ولابد أن تمتد حتى إيران وباكستان والخليج وإفريقيا وتركيا)) .

ومثلما فعلت الولايات المتحدة الأمريكية عندما طردت الهنود دون أن تضع حدودا لتوسعها هكذا فعل موشى ديان فى عام ١٩٨٢ عندما قال (فالنأخذ مثلا إعلان الاستقلال الأمريكى أنه لا يشتمل على أى إشارة للحدود الإقليمية ، إننا لسنا ملزمين بوضع حدود للدولة) (صحيفة جيروزاليم بوست الصادرة فى ١٠ أغسطس ٦٧ الصادرة فى : ١٠ أغسطس ٦٧ .

بقى بعـــد ذلـك ذبح الفلسطينين المـــوجـــودين فى المعسكرات .

وقد تم ذلك فى مـذابح صبرا وشاتيـلا المحاصرة بـالجيوش الإسرائيلية حتى يتمكن القتلة الفاشيون التابعون HOBEIKA من إنجاز مهمتهم وقد حـاول تقرير لجنة كـاهان» أن يطمس معالم السياسـة الإسرائيليـة بدعوى أن الفصل مـن الخطأ فى المنطقة الواقعة وزعـم التقرير أن التصفية الجسديـة للفلسطينين حدثت (بالخطأ) فى حين أنها كانت مبرمجة منذ سنوات من قبل القادة الإسرائيليين ومعـاونيهم الفـاشيين فقـد استطـا ع بفضل هـذه العملية مجرمو الحرب ومرتكبو الجرائم ضد الإنسانية مثل أربيل شـارون ورفـائيل إيتـان من الاستمرار فـى مراكـزهـم السيـاسيـة المتألقة ، إيتان بصفته حامل لـواء نتنياهو فى عام ١٩٩٦ وإريا شارون فى منصب كبير الوزراء فى حكومته يجرى كل هذا تحت الحمـايـة غير المشـروطـة للـولايـات المتحدة الأمـريكيـة التى تستخدم حق الفيتو فى مواجهة أى قرار عقوبة يصدر ضدها بل وتمدها باسلحة ارتكاب الجريمة فمن بين الـ ٥٦٧ طائرة التى

كانت تملكها إسرائيل عشيـة غزو لبنان كانت ٤٥٧ منها، واردة من الـولايـات المتحـدة الأمـريكية مـدعمـة بـالمنح والقـروض الرأسماليـة من واشنطن . إن سياسة التسليح الزائدة هـذه متوجة بترسانـة نووية تجعل إسرائيل تضع نفسها فوق كل شـريعة دولية وفى ٢٩ يـونيـة ١٩٧٥ كتبت صحيفـة «هـارتـز» HAARETZ الإسرائيلية مقالا بقلم SHLOMO AHARONSON جاء فيه : ـ

إن السلاح النـووى هو أحد الـوسائل التى تستطيع أن تقضى على الآمـال العـربيـة فى تحقيق نصـرا نهـائا على إسـرائيل ... فيكفى عدد من القنابل النووية لتسبب خسائر ضخمة فى جميع العواصم العربيـة وتؤدى إلى انهيار سد أسوان وأن كميـة إضافية منها ستمكننا من الوصول إلـى المدن المتوسطة و إلى المنشآت البتروليـة ... ويوجد فى العـالم العربى مئـات من الأهداف التى سيؤدى تـدميرهـا إلى حرمـان العرب من المـزيا التى اكتسبـوها خلال حرب عيد الغفران ... إن شركـات جنوب إفريقيا تستخدم إسرائيل لإفشال العقوبات الاقتصادية المفروضة من جانب بقية العـالم ، كمـا أن الاتفـاق بين إسـرائيل والجمـاعـة الأوروبيـة

المشتركة سمح لها بإدخال منتجاتها فى بلدان السوق المشتركة ولكن بالإضافة إلى كافة العلاقات الأخرى فإن التفاهم الرئيسى الموجود بين البلدين قائم على المستوى العسكرى .

(٣٠ أبريل ١٩٧٧ "SULZBERGER" New - yore Times"

وقد أرسل رئيس الكونجرس اليهودى الأمريكى رسالة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة فى عام ١٩٧٦ قال فيها إنه «لاحظ بأسف شديد إن إسرائيل مذكورة ضمن الدول التى تورد أسلحة لجنوب إفريقيا (١٤/ ١١/ ١٩٧٩ . . Haaretz)

إن عملية التبادل الرئيسية بالنسبة لجنوب إفريقيا هى اليورانيوم الموجودة لديها والذى تطمع فيه إسرائيل بصفة خاصة والتى كانت تمتلك منذ ١٩٧٦ ترسانة بها ما بين ثلاثة عشر وعشرين قنبلة من طراز قنابل هيروشيما .

عدد نوفمبر BRIAN BECKEJT" Middie East International"

وهكذا نستطيع أن نفهم كيف أمكن لدولة إسرائيل الصهيونية

أن تأخذ مثل هـذه الأهمية فى الاستـراتيجية العلميـة بحيث إنها أصبحت تهدد اليوم السلام العالمى .

إن دولة إسـرائيل ليست فقط مسئولـة عن حمايـة الاستعمار الجمـاعى للغـرب تحت الهيمنة الأمـريكيـة فحسب بل و إنهـا أصبحت بالنسبـة للولايـات المتحدة الأمـريكية جـزءا رئيسا فى علاقات القوى على الساحة الكونيـة متعدية بذلك نطاق الشرق الأوسط .

إن دور إســرائيل فى تقـــديم الأسلحـــة والمتشـــاورين للدكتاتوريات العسكرية فـى أمريكا اللاتينية يعتبر دورا ذا اهمية قصوى بـالنسبة للـولايات المتحدة الأمـريكية وسـردت صحيفة هاولام هـاز الإسرائيليـة فى عـدد ٢٢ ديسمبر١٩٨٢ أثنـاء زيارة وزيــر الخـارجيـــة الإســرائيلى لـزعمـــاء الارنجنتين لمـــدهم بـالمستشـــارين العسكـرييـن وتجـار الأسلحـة وخبـــراء فنيين لمساعـدتهم فى مكافحة حـرب العصابـات وحـــدث نفـــس الشـــىء فـــى جـواتيمالا والسلفادور حيث تم قتل خمسة آلاف هندى فى عـام ١٩٨٢ (صحيفة «الإيكـونومست») ١٣ نـوفمبر

١٩ ١٩٨٢ فبراير.

جندى حماية البترول فى الشرق الاوسط

تلعب إسرائيل فى هذه السياسة العالمية دورا مميزا كجندى لحماية حقول البترول فى الشرق الأوسط .

إن إسرائيل مكلفة بهذه المهمة وذلك بعد سقوط شاه إيران الذى كان يعمل لحساب الولايات المتحدة الأمريكية ويقوم بمراقبة الخليج الفارسى وبصفة خاصة مضيق هرمز الذى يمر من خلاله نصف بترول العالم .

لذلك فى إطار حلمها فى التوسع لتحقيق إسرائيل الكبرى «الذى يتوافق مع أغراض الولايات المتحدة فى المنطقة الأمريكية فى المنطقة فإن دور إسرائيل يتركز فى التمهيد للعدوان على دولة إيران الجديدة بتكليفها بالمهمة الشيطانية ووصفها بأنها المحرك السري الرئيسى «للإرهاب العالمى »ويتم ذلك بفضل سيطرتها على وسائل الإعلام العالمية .

عندما اجتمع قادة الإرهاب الدولى العالمى فى شرم الشيخ فى الآونة الأخيرة حدد شيمون بيريز الذى كان رئيسا لوزراء

إسرائيل فى ذلك الوقت الهدف الجديد وهو أن إيران هى مصدر الإرهاب بكافة أشكاله فى العالم بدون أن يقدم أى دليل على ذلك .

فى الواقع ومنذ عهد هتلر فإن كل مقاومة لأى احتلال أجنبى تعتبر إرهابا فعندما يقوم أحد المقاومون اللبنانيون وسواء كان من تلاميذ الخومينى أم لا بإطلاق الرصاص على جندى إسرائيلى من جيش الاحتلال يعتبر ذلك إرهابا يتم عن قصد ضرب المدنيين اللاجئين فى أحد معسكرات الأمم المتحدة القنابل الإسرائيلية اعتبر ذلك كفاح ضد الإرهاب هذا هو منطق إرهاب الدولة مثلما فعل هتلر عندما قتل أربعين من رجال المقاومة فى شاتوبريلون Chatoubrilonلمعاقبة الإرهابى الذى قتل قائد ألمانى فى قطار مترو باريس Barbes أو عندما اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية أن أمنها مهددا على بعد عشرة آلاف كيلو متر من حدودها وضربت بالقنابل مئات الألوف من الأرواح البشرية التى تفحمت فى الأحراش أو بين المزارع التى احترقت .

إن إسرائيل تدافع بهذا الشكل عن «أمن» حدودها وذلك

باحتلال حدود جيرانها جميعا من فلسطين إلى لبنان ومن الجولان إلى القدس .

ومن المؤسف أن تسمع القادة الإسرائيليين يرددون باستمرار عبارة أمن بلادهم فى الوقت الذى يتعدون فيه على أمن جيرانهم ليس باحتلال حدودهم فحسب ولكن لجعل إرهاب الدولة يختم عليها .

«حسب إحصائيات وزير الداخلية الإسرائيلى يوسف بورج فقد قتل عشرة من اليهود فى عام ١٩٨٠ على أيدى إرهابيين و٨ فى عام ١٩٨١ فى حين أننا قتلنا فى عام ١٩٨٢ مئات السكان فى الدول «العدوه» وهكذا فأمام مقتل ١٨ يهوديا انتقمنا بقتل آلاف من غير اليهود وبذلك حققنا نتيجة باهرة تدلل على انتصارات الصهيونية وأستطيع أن أقول إنها نتيجة مذهلة (صحيفة إسرائيلية Migvam عدد نوفمبر ١٩٨٢) .

إن أمن إسرائيل ومحاربة الإرهاب يقتضيان وكذلك السيطرة على البترول . إن التحكم فى ملكية البترول يشغل بال الغرب بصفة مستمرة فمنذ عام ١٩٥٨ أى قبل التأميم الذى قام به

القائد عبد الكريم قاسم حصل الغرب على امتيازات بترولية تلك الامتيــازات التى غطت ٩٤٪ من أراضى الــدولـة كتب وزيــر الخارجيــة البريطـانى سلفين لـويد لرئيـس وزرائه قائلا إنـه يرى احتمالين بـالنسبة للكويت حيث ظهر البتـرول فى عام ١٩٤٦ : «أما احتـلال بريطانى قـوى» أو إقامــة «دولة كويتيـة على غرار سويسرا».

وأضاف أن المصـالح الرئيسية للإنجليـز والغرب فى الخليج الفارسى هى :

ا ـ ضمان الوصول إلى البترول الذى تنتجه الدول الواقعة على ضفاف الخليج الفارسى بواسطة إنجلترا والدول الغربية الأخرى؟

ب ـ ضمان توافر هذا البترول طبقًا لاتفاقيات مناسبة(بالجنية الاسترلينى) والحفـاظ على الترتيبات المقبولـة لاستثمار. فائض العائد الذى يتوافر فى الكويت.

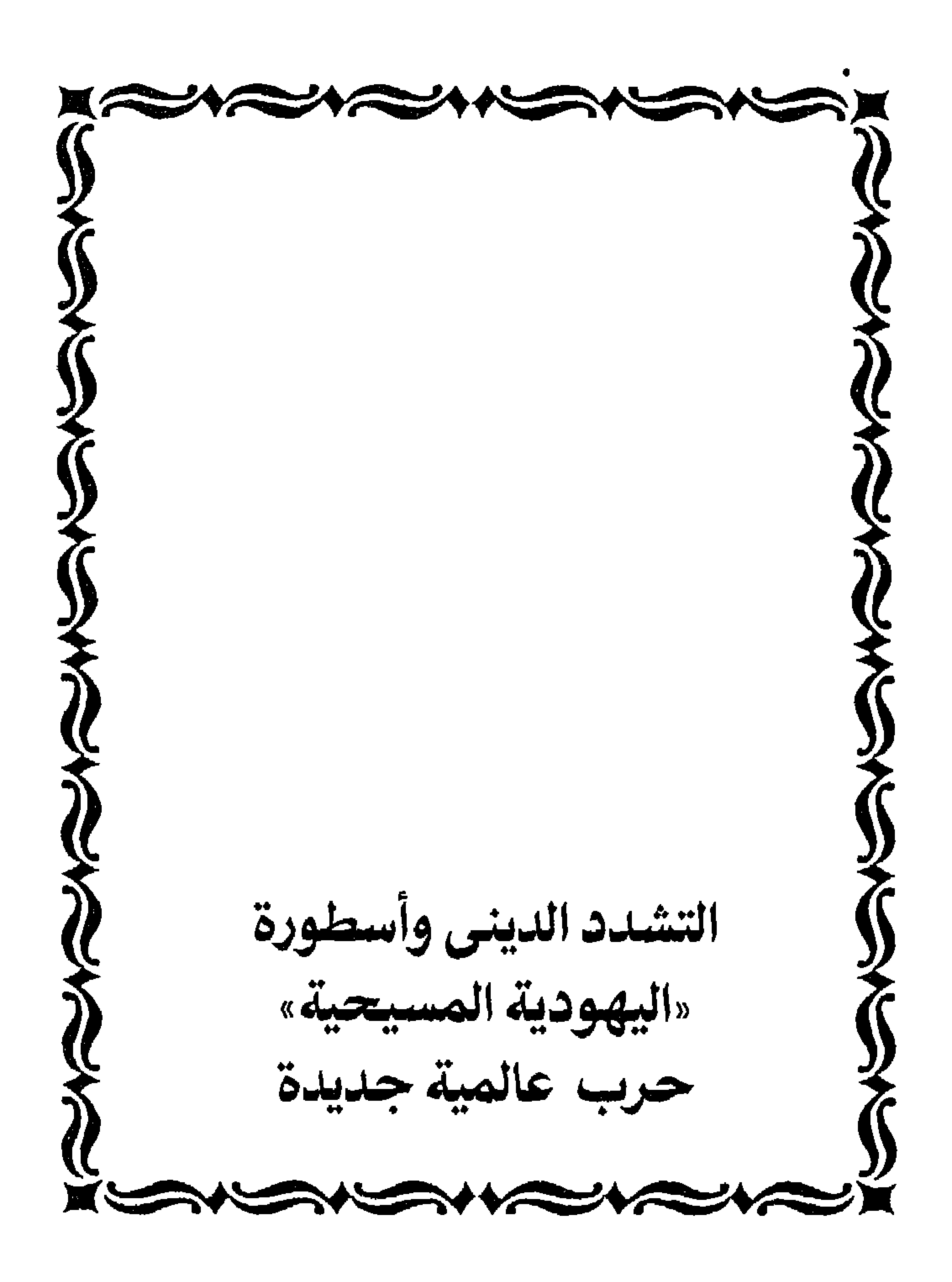
هذه المتطلبـات البريطانيـة وضرورة وجود مصـدر مضمون للبترول يضمن بقـاء اقتصاد أوربا الغـربية يعطى بـرهانا إضـافيا للولايات المتحدة الأمريكية لتسـاند الإنجليز باستعمال القوة إذا

لـــزم الأمـر حتى تحتفـظ بسيطـرتهـا على الكـويت والخليج الفارسى .

عنـدمـا أرسلت الـولايـات المتحدة الأمـريكيـة قـوتهـا إلى السعـودية فى أغسطـس ١٩٩٠ قالت «صحيفـة Wall Street Jouenal فى عددها الصادر فى ٣١ أغسطس ١٩٨٩» .

إن الولايـات المتحدة الأمـريكية لا تـرسل قواتهـا إلى منطقة الخليج لمسـاعدة السعـودية على مـواجهة العـدوان فقط ولكن أيضا لتسـاند دول الأوبك التى تستطيع خدمـة مصالح واشنطن بصورة أفضل .

لقد أردت الولايات المتحدة بذلك أن تقوم «نموذجا» ليعرف العالم الثالث بأكمله لتثبت لـه أنه ليس مسموحا لأى شعب أن يرتفـع إلى أعلى مستوى فنى وإلا وقع فـريسة للتـدمير كمـا أنه ليس مسموحا له باستغلال ثرواته الوطنية «فى هذه الحالة البترول بدون الخضوع لمـراقبة الأسعار لمعرفة القوة الكبـرى كما أنها لا تستطيع أن تبتعد عن الدين الذى الغذاء والعناية الصحية السيئة ذلك ما جاء فى تقرير الصليب الأحمر.



التشدد الدينى وأسطورة «اليهودية المسيحية» حرب عالمية جديدة

إن المنطقة المذكورة فى التوراة عن إسرائيل الكبرى بمساندة واشنطن المطلقة قد تكون مفجرا لحرب عالمية ثالثة أو على حد تعتبر Huntington أول حرب حضارية سوف نكتفى بذكر مجموعتين من الملاحظات :ـ

١ ــ إن المطلب الوارد فى التوراة عن إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات هو أساس قائم على قراءة متطرفة للتوراة أى قراءة حرفية تحول الأقوال والأمثال العظيمة التى قالها الإباء الكهنة والرسل لتجعل منها تاريخ قومى بل وحتى قبلى إن هذا المطلب هو يدعه تدعم السياسة الصهيونية وهى تؤدى إلى المفارقة التالية : حسب تقديرات إحصائيات الحكومة الإسرائيلية١٥٪ فقط من الإسرائيليين متدينين وبالرغم من ذلك فإنها تحاول أن تجعل الغالبية العظمى من الشعب يؤمن بأن هذه الأرض ملكا له لأن الله قد وعده بها ... هذا الإله لا يومن به العرب إن بن جوريون الكافر هو الذى أطلق الشعار المذكور فى التوراة بقيان«مملكة داود الثالثة» .

أعلن موشى ديان عام ١٩٨٢ قائلا إذا كنا نملك التوراة و إذا

كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فلا بد أن نمتلك أيضا الأراضى المذكورة فى التوراة ، أرض القضاة والإباء الكهنة صحيفة .

" Jerusalem - Post" الصادرة فى ١٠ أغسطس ١٩٦٧ .

فى عام ١٩٧٤ ، أشاد مناحم باراشن فى صحيفة "Yediot Ahronot" بتعاليم الحاخام موشى ديان الذى استعان بالنصوص الواردة فى التوراة لتبرير الموقف الإسرائيلى تجاه الفلسطينيين قائلا عنه «هذا الطاعون الذى أدانته التوراة ... والذى جاء ليأخذ منا أرض الميعاد الذى وعد بها الله إبراهيم ... علينا أن نحذر حد يشوع للاستيلاء على أرض إسرائيل لنستقر فيها كما أمرتنا التوراة ... لا مكان على هذه الأرض لشعوب أخرى خلاف شعب إسرائيل وهذا يعنى أنه يتحتم علينا أن نطرد الذين يعيشون عليها ... إنها حرب مقدسة فرضتها التوراة »

وكتب الحاخام رابين اليعازر فالدمان من جوسن أمو ينم

Rabbin Elazar Valdman du "Giush Emounim"

بعد ذلك بشهرين فى صحيفة "Nekurah" يقول عن مستعمرات الضفة الغربية .

الواجب علينا بالطبع أن نعيد النظام فى الشرق الأوسط أو فى العالم إذا لم نتحمل هذه المسئولية فسنكون مخطئين ليس فقط أمام أنفسنا ولكن أمام العالم إن جميع القادة الغربيون هم شخصيات ضعيفة (عن صحيفة Davar فى ٨ أكتوبر ١٩٨٢) ندد يهود ماير Yehuda Ben Meir أحد مؤسس الحركة بنتائج تلك السياسة قائلا: «حسب جوشن أمونيم

Gush Emounim علينا أن نستولى ليس فقط على سوريا وتركيا ولكن يجب أن يصبح دم أبنائنا حاميا للعالم بأكمله».

فى عام ١٩٩٥ صرح الحاخامle Rabbin Aviner «أحد العناصر المؤثرة فى R.O) قائلا: ان اى جنحة ترتكب ضد اى جندى يهودى أخطر بكثير من ارتكاب نفس الجنحة ضد شخص غير يهودى هذه هى تعاليم التوراة ... وفى وقت الحرب يوصى بقتل جميع من هم غير يهود الموجودين فى معسكر الأعداء بما فى ذلك النساء والأطفال هذا هو مبدأ الحرب الشاملة ... فإذا ما شعر أحد اليهود بالرأفة تجاه عدوه فيدفع بقية اليهود ثمن ذلك بحياتهم«هاارتز ٢٤ مارس ١٩٩٥» .

وذكـر نفس المقال أنـه أثناء مـراسم دفن Hoss (مساعـد الحاخام الشهر Levinger الـذى كان من الخليل والـذى قتل على أيـدى الفلسطينيين) تم وضع التابـوت بجانب قبـر جولـد ستين Goldstein السفاح الـذى قام بقتل العـرب وهم يؤدون الصلاة) قبل ترتيل المزمور١٩٩٤ (الرب آلة الانتقام) وسأل أحد الصحفيين من صحيفــة جيـروزاليم بــوست - Jerusalem Postالحاخام جنسورجGinsburg عن سبب هذه الحركة أجابه قائلا: «ربما يوقظ ذلك روح الانتقام لدى اليهود».

إن الاستخدام الدمـوى هذا النصوص التوراة لتبريـر السياسة الأثيمة على أساس دينى ولكن على قراءة متطرفة التى أصبحت احتيال عنصرى دموى.

إن التـوراة الكتاب المقـدَّس أروع تـذكـار بواسطـة الأمثـال لتدخل الله ففى حياة البشر مصـدره مثل جميع الملاحم العظام منقول عن التقـاليد الشفوية الشعبية، وتحـولت لتصبح ملحمة واحـدة دونها كتـاب مجهولـون أو نسبت إلى شـاعر أسطـورى (هورمبروسى وفالميكى إلخ ...).

مثل الإلياذا اليونانية والـراماياـانيا التى .Homer, Valmiki etc
كتبها الهندوسى .

عندما كان المحررون يقومون بـوضع الصياغة النهائية للتوراة بعد العـودة من المنفى فى القرن الخـامس تقريبـا أرادوا أن يروا فى إقامـة مملكة داود تحقيقا للوعـود الإلهية إذ إن كل شىء يتم تغطيتـه استنـادا على النبـوءات العظيمـة التى سجلت مـراحل تجسد ابن الإنسان فى التضحية العظمى لها قيم رفيعة مطلقة لا تقاس بالأفكـار المنطقية الصغيرة والعبر الأخـلاقية التى صنعت تاريخنـا هذه القيم متمثلـة فى الـوعد «بالخـلاص على الأرض الأرض الخصبة ، حسب الـوعد) وخلاص الـروح (هو المتمثل فى التحريـر من كافـة أشكال العبـودية التى عانـى منها الشعب اليهودى أثنـاء «الهجرة الجماعية» عنـد هروبه من بطن الفـراعنة المـذكـورين فى كتب التـاريخ والـوعـد الإلهى بتحقيق النصـر للذين يحملون الرسالـة الإلهية كل ذلك وارد على لسان القبائل البدائية الذين تحدثوا بلغتهم البربرية عن الفتح الأسطورى لبلاد كنعان على يد يشوع وأخيرا الـوعد بملكوت المسيح حيث يكون

الله هو الكل فى الكل .

هـذا هـو المعنى الإلهى للمغامـرة الإنسـانيـة . عندمـا يقـر بواسطة أشخاص يدركون أن الله تعالى لا يقارن بهم لا يكلمهم سوى بامثـال كما أنهم لا يستطيعون أن يذكروه إلا كنـاية وعمله هو لغة الملاحم .

غيـر أن التشدد هـو على عكس ذلك قـراءة حـرفيـة للرمـوز ليجعل من الأسطورة أداة لتبرير التـاريخ الذى ليس هو خطوات عظمة الإنسان و إدراكه للمعنى السـامى لله والحياة ولكنه تكرار للعديد من المعارك الدامية المتكـررة ضد أناس آخرين يعبر من خـلالها الشـاعر الملحمـى القبلى عن الانتصارات الإلهيـة فى قلب الإنسان .

إن الحفريات تظهر لنـا الطابع الأسطورى البحث للبطولات المنسوبـة ليشوع : إن أسـوار أريحا لـم تكن مـوجودة منـذ بعيد عندمـا زعـم أنها انهـارت على أصوات البـوق إن مدينـة لم تكن موجودة عندما زعم أنه استولى عليها (Voir Pere de Vaux "HISTOIRE ANCIENNE D'EGYPTE T.I.P.366).

وعين عبور البحـر الأحمر الذى ورد فى سفر الخـروج عندما قـال إن مئات آلالاف من المهـاجرين عبـروا سيرا على الأقـدام البحـــر الجـاف فى حين دفن فيـــه جيش المصـــريين الضخم بعربـاتهم وفراعنتهم ، هـذه القصة ليس لهـا أى ذكر فى أرشيف المصريين .

(VOIRE PERE DES VAUX HISTOIRE ANCIENNE D'EGYPTE T.I.P.366).

فى حين أن مؤرخيهم تركوا تقارير عن حراسة الحدود ذكرت مرور أى متسول .

من الغـريب ، منطقيـا أن يتقبل المسيحـون هـذه القـراءت المتشددة التلمودية والصهيونية للتـوراة كما أنه خطر من الناحية السياسية فالصهيونيـة ما هى إلا البدعة المتشددة العظمى التى عبرت الـرسالة الإلهـة بإعطائها هـذا التبرر الأيـديولوجى لقـومية عدوانية وبدل إله إسرائيل هذه البدعة التى أطلقها هرتزل .

نددها الحـاخامات اليهود المخلصين لإيمـان أنبيائهم ومن بين أمثلـة أخرى عـديدة الحـاخام مـوشى مانـوحين Moshe

Menufim)والد الموسيقى الشهير Yehudi Menuhim كتابا أسماه: انهيار اليهود The Decance of Judsm أظهر فيه أن هذ الانهيار نفسه القومية الهيونية وكان العنوان الأصلى لكتابه هذا القومية اليهودية: جريمة ولعنة تاريخية مهولة.

"Le Nationalisme Jisme Juif: un crime et une malediction historique monstrueus"

وأكد أنه على عكس شمولية الأنبياء اليهود فإن التفسير القبلى والقومى لتحالف واسم الشعب المختار الذى وضعه أولئك الذين أسماهم بالبريد القبليين مثل بن جوريون وموشى ديان وشيمون بيريز : والعصابة العسكرية بأكملها التى أحتاجت إسرائيل والذين جعلوا من للوكالة اليهودية والمنظمات الصيهونية فى العالم أجمع أجهزة تابعة لحكومة إسرائيل ص٢٥٠ و ٤٢٩ و ٤٥٧ لها نفس الأيديولوجية العنصرية الموجودة لدى المناهضين للسامية (ص٢٠٨).

وأضاف قائلا: اليوم تشعر الشعوب بالاشمئزاز من عبارات الجنس المتفوق والشعوب المختارة وعبء الرجل الأبيض

والأحلاف مع الله وأرض الموعد كل تلك الادعاءات أصبحت اليوم مستهلكة بسبب ما ترتكبه ضد الشعوب الأضعف (ص٢٤٤) لم يعد لهم سوى إله واحد وهو مجال الحيوى(Lebensraum) والوطنية المتطرفة (ص٤٩٦) إن هذه الفكرة المحددة لدى الصهيونية هى أسوأ عدو لإسرائيل فسوف تقودها إلى الهزيمة مثل كافة الامبراطوريات التى أسست على هذه الأيديولوجية من نابليون حتى هتلر.

ليس هناك مستقبل إلا لإسرائيل مجردة من الصهيونية.

نفس الشيء ينطبق على استغلال المفاهيم «التاريخة فقد كتب البروفيسور ليبوفيتسLeidowitz Leibowitz الذى كان أحد قادة (الانسيلكوبيديا اليهودية) في كتابه إسرائيل واليهودية» ونشر اللغة الفرنسية عام ١٩٩٣ قبل وفاته بقليل ص١١٨).

عندما ترفع الأمة (الجنس بلغة النازية) ونفوذ الدولة إلى القيم لن يبقى هنا أى رادع يقف أمام الأعمال التى يرتكبها البشر لقد انتشرت هذه الفعلية وصلت إلى بلادنا فإننا نسلك الآن ــ فى الأراضى المحتلة الواقعة على الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع

غزة، ولبنـان ـ مثلما كـان يسلك النازيـون فى الأراضى المحتلة من قبل تشيكوسلوفاكيا والغرب (ص١٢٠).

وقـدم الأسبـاب التاليـة أن أمـريكـا تضع فى جيبها نظـامنـا الفاسد... إن الانهيار يمكن أن يحـدث فى ليلة واحدة : نتيجة للغباء المـذنب الذى جعل بقائنـا بأكمله متوقف على المعـونة الاقتصادية الأمريكية... إن كل اهتمام الأمريكيين منصب على فكرة واحدة وهى أن يحتفظوا بجيش من المرتزقة الأمريكيين فى هـذه البقعة يـرتـدون زى Tsahal بحيث يستطيعون استخـدامه حسب رغبتهم عنـدمـا تحين السـاعـة فى أى ظـروف الأمـر لم يتضح بعد ولكن قد يكون ذلك ضـد السعودية إذا ما نشبت ثورة هناك أو ضد سوريا.

لقـد وصلنا إلى درجـة لا مثيل لهـا فى الواقع السيـاسى فى العـالم الغربى الـذى ننتمى له(ص٢٥٤) واليـوم تطبق حكومـة نتنياهـو بقسوة أرشـد نفسى السياسـة التى كان يطبقهـا شيمون بيريـز بحب أكبر قال جـون جاك روسو فى كتـابه عن Profes-sion de foi du Vicaire savoyard عن اليهود المتعصبين إن

إلاهكم ليس هو إلاهنا إن الإله الذى يختار لنفسه شعبا واحدا وأنكر بقية الجنس البشرى ليس هو الأب المشترك لجميع الناس.

وبما أن أخطار الحرب معروفة فما هى الخطوط العريقة لسياسة الدفاع عن السلام؟ إن العدو الرئيسى هو الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل ـ وعند هذه النقطة الحساسة للمواجهة لابد منة بذل جهود متضافرة من قبل شعوب العالم الثالث وأوروبا التى كانت مستعمرة فى الماضى ولكنها اليوم مهددة بأنها ستصبح بدورها تابعة ومستعمرة بسبب اتفاقيات ما سترنجت وضغوط حلف الأطلنطى ومنظمه التجارة العالمية (ألجات سابقا) وهى السلطة المدنية للدين الذى ينادى بوحدانية السوق أى عبودية المال.

بالنسبة للعالم الثالث وبالنسبة لأوروبا الحل هو القطيعة مع (السوق العالمى الذى يضمن تحقيق الهيمنة الأمريكية.



برنامج عملى
١ ـ بالنسبة للعالم الثالث
باندونج جـــديد

● هناك بديل محتمل نود أن نقترحه للقرن الواحد والعشرين : إن هذا القرن يسجل نهاية عصر ما قبل التاريخ الحيوانى للإنسان حيث كان ثراء أقلية ضئيلة فى علم ضعيف يؤدى إلى بقية تبعية واستغلال وموت الغالبية العظمى للجنس البشرى .

١ ــ إن نهضة الوحدة البشرية لا يمكن أن يتحقق وقوة السلاح ولكن بتضافر القوى البشرية الحقيقية الاقتصاد والثقافة والإيمان .

٢ ـ إن ضعف الشعوب المقهورة فى الوقت الحاضر على استمرارها فالمهمة الأولى إذن هى وضع حد لكافة الصراعات التى يعنيها الطغاه وذلك بالمفاوضات السليمة .

٣ ـ إننا نرفض بصورة جماعية ، تسديد الديون المزعومة لصندوق النقد الدولى .

ـ إننا نرفض إذن أن نكون فريسة للابتزاز وأن نسدد لصندوق النقد الدولى هذه الديون الخاطئة والفوائد الربوية المرتبطة بهـــا .

ـ ونرفض أيضا المساعـدات الزهيدة التى تهدف إلى تغطية هذا الظلم الذى رجع إلى مئات السنين .

ـ عندمـا نقوم بإلغاء الدين وفوائده سنكـون صندوق تضامن بحيث يعـوض بنسبـة كبيـرة المسـاعـدة المـزعـومـة التى كـان مستغلينا يقدمونها لنا .

٤ ـ إننـا نعارض كافـة أشكال «الخطـر» الذى يفرضـه أسياد العـالـم «المـوقتين بصـورة تعسفيـة على الـدول التى تـرفض سيطرتهم .

لن نعـد بعـد ذلك تولـى أى اعتبار لهم وسـوف نبـدأ العمل بحرية مع أشقائنا الذين يلاقون نفس ألوان المعاناة .

٥ ــ بصفـة عـامـة ، نقرر إنشـاء «سـوق مشترك لشعـوبنـا ونضاعف التبادل بين الجنوب وبين بلادنا التى تمتلك ٨٠٪ من الثروات الطبيعية الموجودة فى العالم .

ــ سوف نقـوم بهذا التبـادل على أسـاس المقايضـة حتى لا نضطر إلى المـرور عن طريق العمـلات الاجنبية لـدول الشمال وبصفـة خاصـة الـدولار ونحـرص على القضاء تـدريجيـا على

المضـاربة بحيث تختفى تمـاما مـن بلادنـا لحين إيجاد عملـة موحدة لنا .

٦ ـ نـريد القضـاء على أشكال الهيمنـة الاقتصاديـة وكذلك على عدوانهم الثقافى .

ـ سوف نحارب أيضا الثقافية المعادية القادمة إلينا من هوليود وسنحارب أسلحتهم وكـافة المظاهـر المعنويـة والمادية الـدالة على انحطاطهم .

٧ ــ وهذ يقتضى ــ على المستوى السيـاسى ـ الانسحـاب الجماعى لكافة المؤسسات التى تدعى العالمية والتى أصبحت أدوات لسيطـرة فرد واحـد وتستخـدم لتغطيـة عمليات العـدوان العسكرية والاقتصـادية والثقافية مـــن هـــذه المـــؤسسات : الأمم المتحـدة وصندوق النقد الـدولى والبنك الدولـى ومنظمة التجارة العـالمية(ألجات سـابقا) وجميع تـوابعها التى أصبحت مثلها شريكة فى مؤامرة فرض سيطرة استعمارية على العالـم وفى مفهـوم يقلل من شأن الإنســان الـذى يعتبـر كمستهلك ومنتج فحسب تحركـه مصلحته الفرديـة ويرفض إعطاء أى اتجـاه آخر

لحياته خلاف العمل كعبد ليستهلك أكثر عندما لا يكون عاطل و مستعمر أو مطرود .

٨ ــ إن أنواع التهديد أو العدوان التى قد ترتكب ضد أى واحد منا سوف تحارب بكافة الوسائل من قبل جماعتنا العالمية بأكملها .

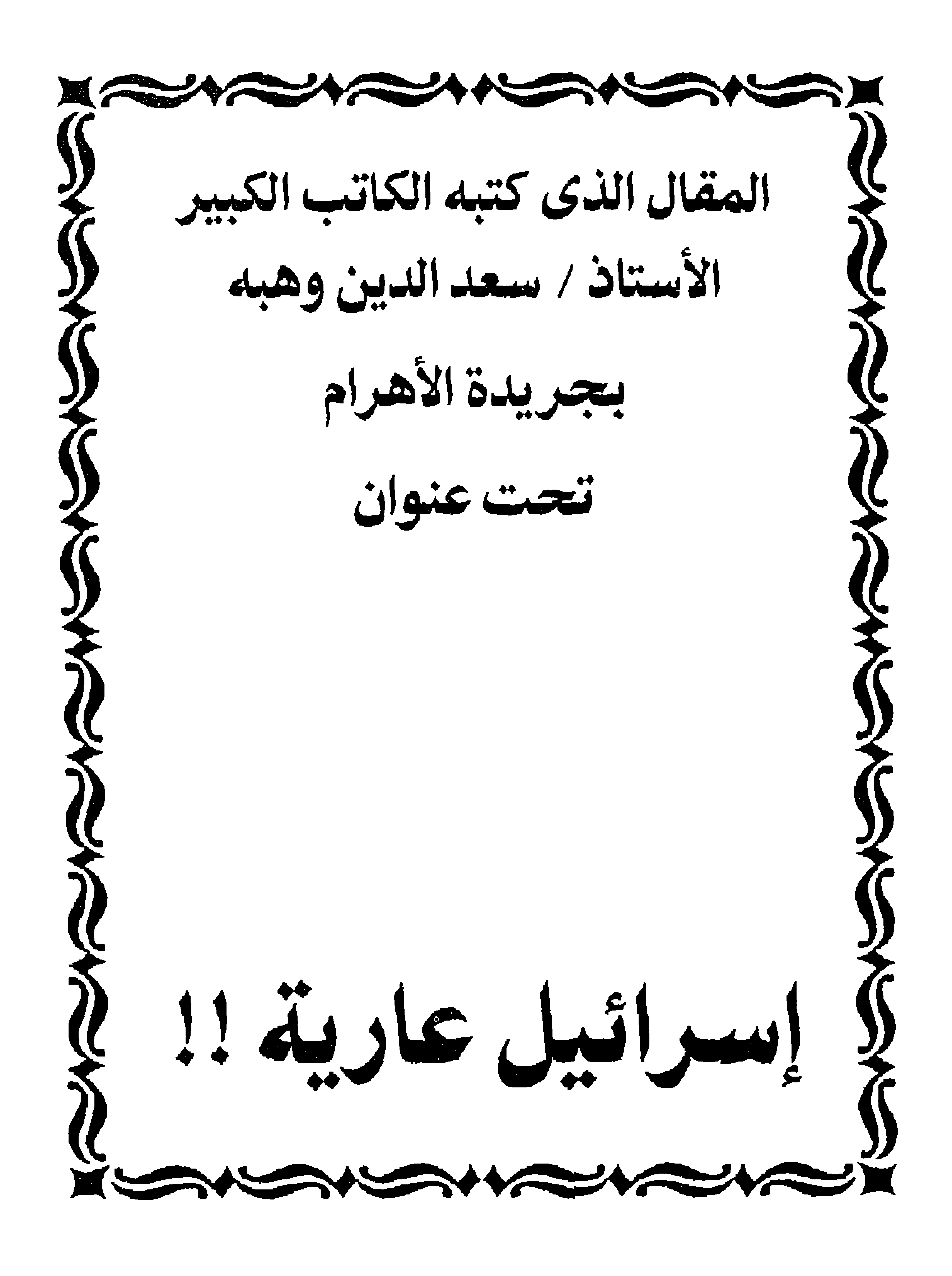
٩ ـ إن هذه الجماعة العالمية التى تهدف إلى خلق عالم يكون له وجه إنسانى لن يشتمل على أى طرد سوءا كانت دينية أو سياسية لأن هدفها هو خلق وحدة سيمفونية وليست امبراطورية للبشرية حيث يقدم لها كل شعب وكل جماعة الثروات المأخوذة من أرضه ومن ثقافته ومن إيمانه .

وتكون هذه الجماعة مفتوحة أمام الدول الرسمية التى تشاركها مثلنا العليا وكذلك أمام الأقليات المقهورة بشرط أن تحقق هذه الأقليات داخل كل بلد وحدتها على أساس مبادئنا المشتركة .

كان هدف قمة باندونج الأولى هو رفض الانحياز وراء أى كتلة من الكتلتين فى عالم ثنائى الأقطاب ـ وذلك للحفاظ على

استقلالها ومثلنـا الأعلى ما زال كما هو إلا أن الظـروف التاريخية قد تغييرت فنحن نعيش فى عالم لـه قطب واحد وعلينا أن نداقع عن هويتنـا لأولئك الذين يـزعمون فـرض السيطرة العـالمة عن طريق لعبة وحـدانية السوق التى تعنى إعطاء «حـرية» للذين هـم أقـوى حتى يفتـرسـوا الأضعف وذلك يجعل السـوق أى مـال المنظمة الوحيد للعلاقات الاجتماعية .

إننا نرفض هذه الرؤيا لعـالم ليس له إنسان وحياة بدون هدف إنسانى أو أى معنى بل إننـا نتحد لبناء عـالم «واحد ثرى بتنـوعه وواثق فى مستقبله بفضـل تضافر الشعـوب والثقافـات فى أمان مشترك تغذيـه التجربة النابعة من ثقافـة كل فرد وبدافع من دفع مشترك وهـو إعطاء كل طفل وكل امرأة وكل رجل أيًّا كـان أصله وتقاليـده الوسائل التى تمكنه مـن بذل كل الإمكانيات البشـرية التى يحملها فى داخله .



المقال الذى كتبه الكاتب الكبير

الأستاذ / سعد الدين وهبه

بجريدة الأهرام

تحت عنوان

إسرائيل عارية !!

جاء روجيه جارودى إلى القاهرة والتقى بالمثقفين والمفكرين وفتح عقله وقلبه وبصدق واضح ، وحرارة تبعث الدفء فى القلوب . وبمنطق لا يخطىء وبحضور طاغ تحدث فى أمور كثيرة ، لقد تقابلت وتحدثت فى حياتى إلى أساتذة كبار فى مصر وخارج مصر وكنت محظوظا أن عرفت قمما كثيرة فى الفلسفة والاقتصاد والسياسة والثقافة ، وأشهد أن جارودى طراز فريد . من هذه القمم فهو قد عرف كل شىء وأحاط بكل صغيرة وكبيرة وفى كل أمر يتحدث فيه ورغم أنه قدير فى مخاطبة الجماهير إلا أن النزعة الأكاديمية لا تفارقه فهو دائم الاستشهاد ، يستند دائما إلى أفعال وقعت أو أقوال ترددت ربما منذ أشهر وربما منذ سنوات ، وفى أحيان أخرى منذ قرون طويلة .

وكما كان روجيه جارودى أول من تنبأ بانهيار الاتحاد السوفيتى بعد أن كان نجما لامعا فى الحزب الشيوعى الفرنسى . كان جارودى أول فيلسوف أوروبى يقف فى مواجهة الصهيونية العالمية ، يحاربها وتحاربه ويلقى فى وطنه جميع

ألوان العسف والظلم ، ولكن قناعته لا تلين وعزيمته لا تتأثر وإرادته لا يفلها شيء .

تحدث جارودى عن إسرائيل فقدَّمها عارية لا تسترها أساطير ولا ادعاءات ولا أكاذيب ، كما تحدث عن الولايات المتحدة الأمريكية فقال إن جوهر السياسة الأمريكية هو إيجاد عدو تحاربه وترهب به الآخرين ويكون حجتها فى التسلح ، فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية وعلى مدى نصف قرن من الزمان كان العدو الرئيسى الذى يحرك السياسة الأمريكية هو التهديد السوفيتى .

وكان باسم الأمن الأمريكى تعتدى أمريكا على أى دولة وأى شعب فى العالم ، فمن فيتنام إلى كوريا ومن أمريكا اللاتينية إلى إفريقيا ، كانت الولايات المتحدة دائما السند القوى للنظم الدكتاتورية فى جميع أرجاء العالم كانت تحمى شاه إيران والدكتاتوريين الصغار فى أمريكا اللاتينية كما تحمى ماركوس فى الفلبين وتحمى التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا .

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى كان لا بد من إيجاد بديل ليقوم بدور (امبراطورية الشر) التى تجب محاربتها على مستوى القارات الثلاث . وكان هذا العدو الجديد هو الإسلام الذى صورته أمريكا أمام العالم مرتبطا بالإرهاب وكان هذا الإرهاب أو الإسلام فى نظر أمريكا هو المبرر للاستمرار فى سباق التسلح كما كان فرصة للتدخل العسكرى والاقتصادى فى جميع أنحاء العالم .

كانت الحروب الكبرى السابقة مثل الحرب العالمية الأولى والثانية ، ومثل حروب القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر جميعها تقع بين أقطار أوروبية ، كانت أوروبا تحارب أوروبا حتى فى الحرب الباردة كانت بين دول أوروبية وبعد انتهاء هذه الحرب خرجت السياسة الغربية من مرحلة الغرب لتصبح مركز التفاعل بين الحضارة الغربية والحضارة غير الغربية ، وبدأ الغرب يطور صور التعاون والوحدة داخل الحضارة التى يمثلها خاصة بين مكوناتها الأوروبية وتلك التى تقع فى شمال أمريكا ثم تضم إلى الغرب مجتمعات شرق

أوروبا وأمـريكا الـلاتينية ، التـى لها ثقافـات قريبـة من الثقـافة الغربية وكان من أول أهداف هـذا التكوين الحد من زيادة القوة العسكـريـة للـدول ذات الحضـارات الأخـرى ابتـداء من الكونفوشيسيـة حتى الإسلام ، وعلى العرب أن يحتفظـوا بالقوة الاقتصاديـة والعسكرية التى تعتبر ضـرورية لحمايـة مصالحهم فى مواجهة هذه الحضارات .

وكانت ركيزة هذه الحضارة الغربية فى منطقة الشرق الأوسط هى إسـرائيل فهذه الـدولة خلقت فى هـذه المنطقة من العـالم لتكون قلعـة وحصنا متقدمـا للحضارة الغربيـة ضد البربـرية . وهـذا هو قـول هرتـزل أبو الصهيـونية العـالمية وأول من نـادى بالـدولة اليهودية ونشـر هذا فى كتابـه بعنوان (الدولة اليهـودية) الذى أصدره فى عام ١٨٩٥ لم يكن هرتزل يهوديا مؤمنا بل يكن يبحث لليهود عن وطن كما يقال فإنـه كان ملحدا لا دينيًّا ولكنه كان يبحث للغرب وللحضارة الغربية عن نقطة الانقضاض على الحضارات الأخرى التى أسماها بالحضارة البريرية .

وهذا بالضبط هـو الذى أغرى الدول الغربية انجلتـرا وفرنسا

وألمانيا و إيطاليا وروسيا بمساندة الصهيونية العالمية وحماية إسرائيل ثم انضمت إلى هذه المجموعة بل تولت قيادتها الولايات المتحدة الأمريكية . الهدف من وجود إسرائيل إذن كما يتصور جميع هؤلاء حماية الحضارة الغربية ضد الإسلام والمسلمين .

وكان اختيار فلسطين لإنشاء هذه الدولة اختيارا عبقريا فإسرائيل فى هذا المكان تتمتع بموقع استراتيجى فريد على مفترق الطرق بين أوروبا وآسيا و إفريقيا وهى نفس الميزة التى تتمتع بها مصر.

كما أن إسرائيل ذات الموقع اقتصادى مهم فى قلب هذا الجزء من العالم الذى يحوى نصف بترول العالم عصب التنمية (بالمعنى الغربى) وهناك أيضا تلك الأسطورة اللاهوتية عن (شعب الله المختار) والتى تستخدم لتغطية أطماع الغرب فى الموقع الاستراتيجى والموقع الاقتصادى لإسرائيل ، وتضع تجاوزاتها بل وأخطاءها فوق أى قانون وأى عقوبة بشرية باعتبار أن كل ما تفعله هو تنفيذ لإرادة الله ، ولذلك فقد أصدرت الأمم

المتحدة ١٩٢ قرارا ضد إسرائيل لم تنفـذ منها قرارا واحدا، إنها تعتبـرها جميعهـا كما قـال جميع رؤسـاء إسرائيل (حبـرا على ورق)

وبـــدأ تسليح إســـرائيل لتحقيق هـــذه القلعـــة التى تقف بالمـرصاد للمسلمين والعرب، ثم تطور السـلاح وأصبح قلعة نووية، وكتبت صحيفة هارتس الإسرائيلية فى يونيو ١٩٧٥ مقالا بقلم الصهيونى شلوموا هارمسون جاء فيه :

إن السلاح النووى هو إحـدى الوسائل التى تستطيع إسرائيل أن تقضى بهـا على الآمال العربيـة فى تحقيق نصر نهـائى على إسرائيل، فيكفى عدد محدود من القنابل النووية لتوقع الخسائر الضخمـة فى جميع العواصم العـربية، وتـؤدى إلى انهيار سـد أسوان فى مصر، وكمية إضافية من هذه القنابل سوف تمكننا من الوصول إلى المنشآت البترولية، كما أن فى العالم العربى آلاف الأهداف التـى سيؤدى تدميـرها إلى حـرمان العـرب من جميع المـزايـا التى اكتسبـوهـا خـلال حـرب عيـد الغفـــران (حـرب ١٩٧٣).

ويصف جارودى إسرائيل بأنها جندى حماية البترول فى الشرق الأوسط لحساب أمريكا والغرب

ومن هنا نستطيع أن نفهم كيف أمكن لإسرائيل الصهيونية أن تنال مثل هذه الأهمية فى الاستراتيجية العالمية بحيث أصبحت تهدد السلام العالمى .

إن دولة إسرائيل ليس فقط مسئولة عن حماية الاستعمار الجماعى للغرب تحت الهيمنة الأمريكية فحسب ، بل إنها أصبحت بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية جزءا رئيسيا من علاقات القوى على الساحة الكونية متعدية بذلك نطاق الشرق الأوسط .

تحدث جارودى عن أمريكا وعن سيطرتها على الاقتصاد العالمى بمؤسسات استعمارية ، اقتصادية هى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والجات وتحث عن انهيار الفن فى أمريكا وتحوله إلى سلعة . فالموسيقى صاخبة والسينما تقوم على الجنس والدم ، والفنون التشكيلية سخيفة وساذجة ، وكل ذلك نتيجة لاقتصاد السوق والقيمة التى تعلو على كل القيم فى

أمريكا والمجتمعات الغربية، وهى أن كل شىء معروض فى السوق ، كل شىء .

ومنها الذمم والضمائر والقيم معروضة للبيع وللشراء ولكل شىء ثمنه .

تحدث عن الأساطير الصهيونية قديمها وجديدها وفنَّدها تفنيدا واضحا، وكشف عن الزيف والكذب فى كل ما قال به الصهيونيون. ووضع فارقا كبيرا بين اليهودية كدين اعترف به الإسلام ويعترف به المسلمون، والصهيونية كحركة عنصرية سياسية هدفها السيطرة وتحقيق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .

ودعا جارودى إلى باندونج جديدة ، وكما كانت باندونج القديمة إعلانا لعدم الانحياز إلى أى من الكتلتين اللتين كانتا تتصارعان على المسرح العالمى، فإن باندونج الجديدة يكون هدفها عدم الانحياز للقوة الواحدة التى تحكم العالم اليوم .

ويرسم جارودى برنامج عمل للعالم الثالث كى يحقق باندونج الجديدة .

تحدث جارودى فى أمور كثيرة . تحدث عن الإسلام وكيف أنه الأمل للعالم كله فى الخروج من محنته الحالية ، ووضع لذلك شروطا أن يكون إسلاما حقيقيا كما نزل من السماء لا إسلام الإرهاب والضلالات .

رد جارودى على عشرات الأسئلة ، وكان لابد أن يتحدث فيما هو قائم الآن بين العرب وإسرائيل وكان لابد من حديث خاص بيننا وقد كان . وجلسنا معا أسأله واحصل منه على إجابات واضحة عن كل ما سألته عنه .

سألته أولا عن اتفاقيات أوسلو باعتبارها الأساس لما يجرى الان تحت اسم السلام .

ورد جارودى قائلا :

أعتقد أن هذا ليس بداية عملية السلام لأن عملية السلام لا يمكن أن تبدأ إلا فى إطار احترام القانون الدولى بدءا من قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين ، لكن يتضح من اتفاقيات أوسلو أن الفلسطينيين لن يحصلوا على أكثر من ٦٪ من الأراضى الفلسطينية ، أضف إلى هذا أن مساحة الحكم

الذاتى (البنتوستات) يحاصرها الجيش الإسرائيلى من ناحية والطريق السريع الذى أنشأه أريل شارون من جهة أخرى، وليس ما يحدث إذن بعملية سلام بأى شكل من الأشكال ، إنما هو وضع يذكِّرنا بتلك الاتفاقيات التى فرضها هتلر على المارشال بيتان عند اجتياح فرنسا فقد اقترح هتلر على بيتان أن يترك له سلطة الحكم الذاتى على نصف الأراضى الفرنسية بشرط أن يقوم هو بمنع أى هجوم ضد القوات الألمانية وهذا الاتفاق يشبه إلى حد كبير ما تفرضه إسرائيل على الفلسطينيين حيث يوافقون على وجود قوات شرطة فلسطينية بشرط أن تظل دولة إسرائيل فى أمان .

الفرق الوحيد بين الحالتين أن بيتان كان لديه خيار آخر حيث كانت انجلترا مستمرة فى الحرب وكانت الجزائر لا تزال فرنسية وبالتالى كان بإمكان بيتان استكمال القتال مستعينا بالقوات الموجودة فى الجزائر وهذا بالضبط ما فعله ديجول .

هل يمكن أن تحقق هذه الاتفاقيات أهداف الفلسطينيين؟

من المؤكد أن ذلك لا يمكن أن يحقق أهداف الفلسطينيين

كذلك ما الـذى يمكن أن يقدمه اتفاق وادى عربـة فهو استمرار المهزلة طبقا لنفس القواعد لذا فقد سعدت برفض الرئيس مبارك المشاركة فى تلك المهزلة .

هل تضع سياسة بيريز تصورا جديدا للشرق الأوسط؟

من الواضح أن بيريـز لا يطرح أى نظام جديـد وأريد أن أذكر بالمنـاقشة التى تمت قبيل الانتخابات بين ممثل حـزب الليكود ليبـراب أيول البـانـون و«يوسى بلين » ممثل بيـريـز فى جريـدة يديعوت أحرونوت اتفق «بلين » و «بانون» فى هذه المناظرة على الشـروط التى تخـدم (مصالح المستـوطنين العـامـة) وهذا هـو التعبير التى استخدمته الجريدة .

الفرق الوحيد أن البانـون ينادى بضرورة استقدام نصف مليون مستوطن آخر أما «بلين» فقد التزم بإبقاء المستوطنات الحالية مع الالتزام بضمـان الأمن والتنمية الشاملـة لها ، هذا يعنى إمكـانية التوسع فى المستوطنـات ، هذا ما أقره بيريـز حين أعلن «طالما عقد المستوطنون مهمتنا لكننا مع ذلك سنلتزم بحمايتهم فى كل مكان » كما أضاف أن التسويـة النهائية تسمح بالإبقاء على كل

المستوطنات. ليس هناك إذن خلاف جوهرى بين نتنياهو وبيريز فى هذا الصدد.

ذلك بالإضافة وفقا لما نشرته إحدى الصحف هناك أن حكومة العمل أخذت العديد من القرارات لمصلحة المستوطنات تفوق بكثير تلك التى أقدمت عليها أى حكومة من حكومات الليكود حتى ١٩٩٢، فعندما خرج الليكود من السلطة فى ١٩٩٢ كان حجم المعونة المخصصة للمستوطنات ٢٥ مليون دولار، بينما منح ائتلاف بيريز ١٤٠٠ مليون دولار لإنشاء طرق سريعة ووحدات سكنية جديدة، هذا خلاف المبالغ المخصصة لتعويض الخسائر التى يمكن أن تترتب على تنفيذ اتفاق أوسلو.

وتضيف الجريدة أن عدد المستوطنين فى ١٤ مارس ١٩٩٦ فى الأراضى المحتلة وباستثناء القدس الموحدة قد وصل إلى ١٤٧ ألفا (مقابل ١٢٢ ألفا) خلال السنوات الثلاث الأولى لحكم بيريز وذلك ما أكدته جريدة يديعوت أحرونوت وهكذا فإن بيريز لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون رجل السلام

القادر على حل هذه المشاكل، إن بيريز يقدم بأسلوب ـ النفاق ـ على نفس ما «يتلذذ» نتنياهو باقترافه فى العلن .

ـ ألاحظ أنكم تفضلون سياسة نتنياهو؟

نعم لأن سياسته توحد العرب . بينما أسلوب بيريز يخلق الأوهام، لذلك لا يمكن القول أن بيريز يخلق نظاما جديدا .

ومن المعروف أن حزب العمل منذ عهد بن جوريون وعهوده الأولى يؤكد أن قرارات الأمم المتحدة لا تعدو أن تكون حبرا على ورق ، فهل يمكن القول بأن بيريز رجل سلام حقا؟

لا أعتقد أننا يمكن أن نقول ذلك عن الرجل الذى أدخل أكبر عدد من المستوطنين .

وما رأيكم فى بنيامين نتنياهو ؟

ـ أنا لا أعرفه ولكن كل ما أعلمه عنه أنه أتى من حزب جابوتسكى وشامي وبيجين إذن فهو خليفة كل أولئك القتلة المسئولين عن مذبحة دير ياسين وجرائم أخرى .

هل يمكن لهذا الشخص أن يحقق سلاما فى الشرق الأوسط؟

ــ لا يمكن طبعـا ، لقد جـاء لتحقيق كل مـا نـادى به أبـاؤه الروحيون أى مشروع إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات التى ستستند إلى تفتيت الدول المتجاورة وهى تضم العراق ، إيران ، سوريا ، الأردن ، مصر ، لبنان .

ـ وما هو دور الولايات المتحدة؟

إن الـولايـات المتحدة ليست معنيـة السـلام بأى حـال من الأحوال ، إن كل ما يهمها هو إبقـاء الوضع على ما هو عليه بل إساءة المـوقف ، كل مـا يهمها هـو البترول الذى يمثـل أساس التنمية الغربيـة والتحكم فى العالم كله وهذا مـا يحقق مشاريع إسرائيل الحالية .

هل يستطيع الاتحاد الأوروبى أن يلعب دورا فى أزمـة الشرق الأوسط ؟

ــ نعم لكن منـذ اتفـاقيـة مـاستـر يخت التى تنص على أن الاتحاد الأوروبى لايمكن إلا أن يكون الدعامة الأوروبية لائتلاف الأطلنطى وهم أيضـا المستعمـرون القدامى ولكـن بعد الحـرب العالمية سقطت انجلترا وفرنسا وأصبحت الولايات المتحدة هى

القوة الوحيدة وكانت تملك نصف ثروات العالم . وبالتالى فإن أوربا تستطيع بالفعل ولكنى لا أعرف إذا كانت ستجد القوة اللازمة لذلك ، فهناك ألمانيا التى تمثل قوة حقيقية بل والقوة الوحيدة فى أوروبا ولكنها أيضا إحدى دعائم حلف الأطلنطى .

ـ إذا وصل الجمهوريون إلى السلطة فى الولايات المتحدة فهل تعتقد أن السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط سوف تتأثر بذلك؟

لا أعتقد أن السياسة الأمريكية متمثلة فى الحزب والتعددية الحزبية والديمقراطية ما هى إلا مجرد أكذوبة . الحقيقة أن هناك حزبا واحدا ذا فرق كثيرة .

الفرقة التى تكسب يستأثر حلفاؤها بالمناصب العليا ولكن السياسة هى فى الحقيقة واحدة، الفرق الوحيد هو تاريخ الحزبين، حيث إن الحزب الجمهوى كان يحتل فى الأصل الجنوب الزراعى، أما الحزب الديمقراطى فكان يعبر عن الشمال الصناعى ولكن هذا عهد مضى مع تحول الولايات المتحدة إلى الصناعة .

ـ إذا نجح كلينتون لن يكون بحاجة إلى أصوات اليهود

الأمريكيين وهذه هى فترة رئاسته الأخيرة فهل يمكن أن يتغير موقفه؟

مشكلة كلينتون داخل الحزب الديقراطى ليست أصوات اليهود فليس هناك سوى ٦ ملايين يهودى فى الولايات المتحدة وليسوا هم الأكثر ولكنه يحتاج إلى أموالهم و ٦٠ ٪ من الأموال المطلوبة لنجاح الحزب الديمقراطى مصدرها اليهود ، فإذا كان الرئيس هو كلينتون أو أى شخص آخر هذه ليست المشكلة وهم يحتاجون أيضا إلى إعلامهم وهو إرسال شركات هوليود وشبكات تليفزيون ، كما أن ثلاثا من قيادات جهاز المخابرات الأمريكى من اليهود بل يمكننا أن نقول إنهم صهيونيون .

ـ إذن لماذا قلتم إن مصير إسرائيل هو الزوال؟

انا لا أتحدث عن زوال عن طريق حرب ولكن لأن كل الامبراطوريات القائمة على القوميات انهارت مثل امبراطورية نابليون وهتلر... وبالتالى فكونها مؤسسة على القوة يجعلها معتمدة اعتمادا كليا على الولايات المتحدة ، إسرائيل لا تستطيع أن تحيا ثلاثة أشهر بدون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية .

ـ ماذا تقترحون على العرب؟

ـ أعتقـد أنـه يجب أن يكـون هنـاك وعى واضح فإن مصيـر فلسطين سوف يحد وليس فى فلسطين ولكن فى واشنطن وكما أن نقطة الضعف ليست القوات المسلحـة فيجب أن نعرف أننا نهزم الصواريخ بالحجارة. الانتفاضة شىء جيد جدا يثبت من خـلاله الشعب الفلسطينى أنـه موجـود وليس كما قـالت جولـد مائير أرض بلا شعب لشعـب بلا أرض إذا فمن الضرورى دائما أن توجد هذه المقاومة المسلحة ولكن ليس بهذا الشكل ستحل المشكلة فـى حالـة مقاطعة العـالم الثالـث للولايـات المتحدة لدفعها إلى الإفلاس.

وهكذا فإن الرأى الخـاص بالسوق المشتركة سيكـون عاملا مهما ، فإن ٨٠٪ من الموارد الطبيعية موجودة فى العالم الثالث فيجب أن تتضاعف العـلاقات التجارية بين الجنـوب والجنوب وأن تلتزم هذه الـدول بمقاطعة جذرية لكل ما هـو أمريكى سواء كانت منتجـات صناعيـة من الكوكـاكولا إلى الأفـلام، وكذلك مقاطعة إسرائيل أعتقد أن هذا هو السلاح الوحيد المتاح حاليا.

المشكلة فى الـوقت الحاضـر إذن هى فى السوق العـالمية لأنهـا مـؤشـر «تشغيل» وهو أسلـوب الـولايـات المتحـدة فى السيطرة على العالـم ، وإسرائيل إحدى مكونات هذه السياسة .

فإسرائيل كانت دائما « رأس الحـربة» للحضارة الغربية فى مقـابل بربـرية الشـرق، لـذلك فإن إسرائيل تلعب دورا رئيسيـا تحدده دائما واشنطن حيث مبعث القوة .

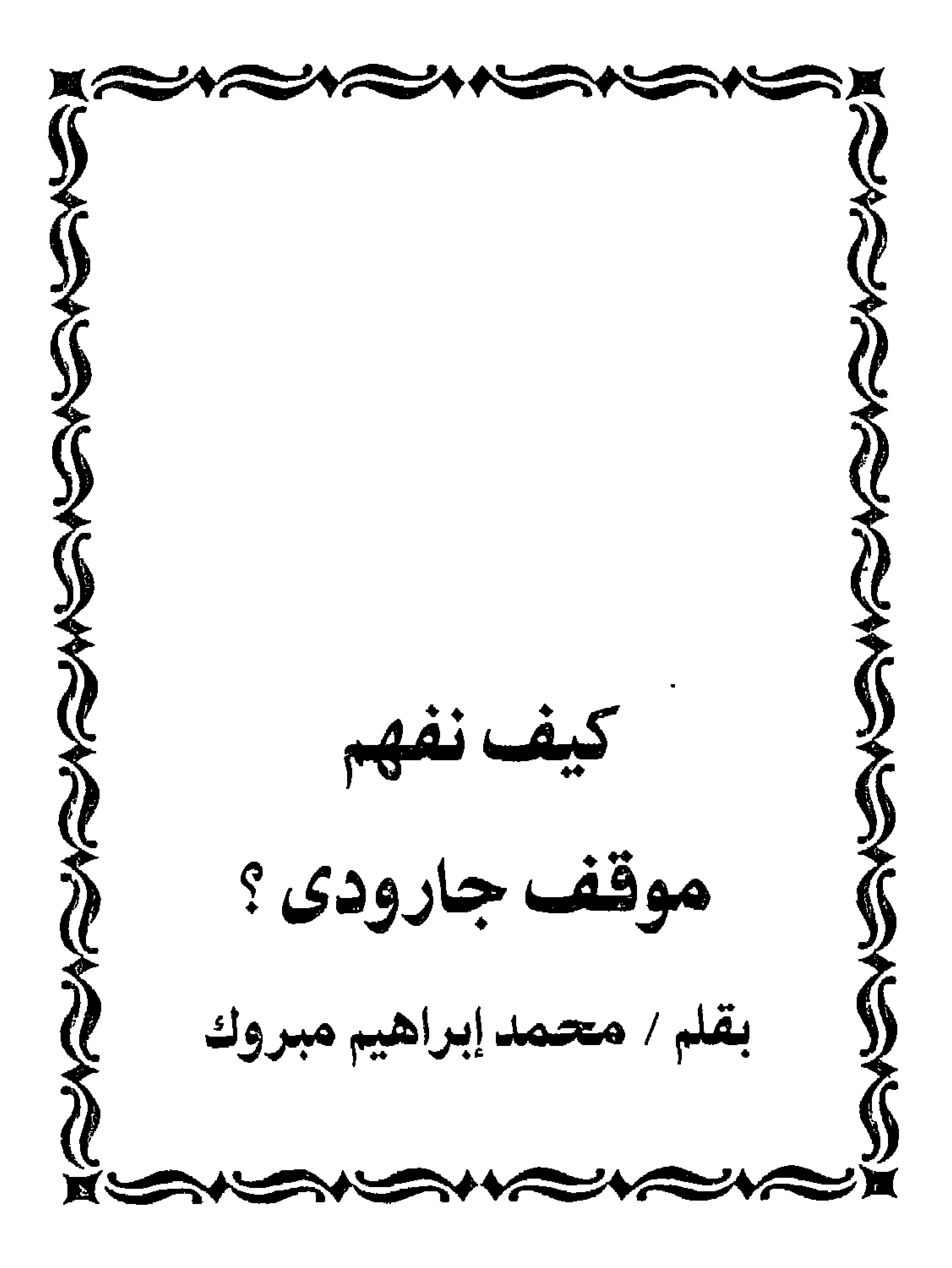
قضى جـارودى فى القاهـرة أربعة أيـام وعدة سـاعات . . ألقى فيها محاضرتين وعقد ٧ نـدوات ، حضر محاضرته الأولى ١٢٠٠ شخص من مختلف الأعمـار والمستويـات والثقافـات والمهن والتقى بأسـاتذة جـامعـة عين شمس وبأعضاء اتحـاد الكتَّـاب ونقابـة الصحفيين ورؤسـاء تحـرير ومحـررى صحف ومجلات مؤسسة الأهرام ومجمـوعة كبيرة من المثقفين تحدث ١٥ ساعـة متصلة وأجـرى عشرة أحـاديث صحفيـة منفردة و ٥ أحاديث تليفزيونيـة و ٣ أحاديث إذاعية . . التقى بحوالى ألفى مثقف وأستاذ وكاتب وصحفى .

عاد جارودى وهو يحس أنه إذا كانت قد خذلته باريس فقد

احتضنته القـاهرة و إذا كـان قد فقـد أصدقـاء فى باريـس وروما ولندن ونيو يـورك ومدريد و برلين فقد كسب مئـات الأصدقاء فى القاهـرة ودمشق و بيروت وعمان وفلسطين وباقى عـواصم الأمة العربية .

أيها الصديق الكبير:

لقد حللـت أهلا ونزلـت سهلا ، قلوبنـا وعقولنـا تحييك فى مجيئك وفى عـودتك وفقك الله ووفقنـا جميعـا من أجل قضيـة عادلة ليتحقق لها النصر بإذن الله .



كيف نفهم موقف جارودى ؟

بقلم / محمد إبراهيم مبروك

إذا أردنا أن نتفهم موقف جارودى من الإسلام لابد أن نسأل أنفسنا هذا السؤال : ما الذى ننتظره من جارودى؟

إنه من السذاجة أن ننظر إلى جارودى ــ تحت ضغط الواقع الفكرى المتردى عندنا ـ على أنه طوق النجاة الذى جاء إلينا من الغرب بعبقريته ليعلمنا حقائق ديننا ويضع الحلول الفريدة للمشاكل والتحديات التى تواجهنا فى هذا العصر. وما لابد أن نعيه هو أن القيمة الحقيقية لجارودى هى فى كونه يمثل دلالة كبرى على مدى سمو هذا الدين على كل الفلسفات والأوهام البشرية بل على كونه يمثل أقصى الإشباع الذى تنشده أكبر العقول الفلسفية فى هذا العصر، وأهم ما يستطيع أن يقدمه جارودى هو أن يكشف لنا أسرار تطور رحلته الفكرية العميقة من أجل الحقيقة حتى اهتدائه إلى هذا الدين؟

ولكن ليس لنا أن نطالب الرجل بما لا يملك ونحاكم مواقفه دون النظر إلى وضعية ظروفه أو الظروف الفكرية لعالمنا الإسلامى فى تلك المرحلة إن جارودى حين دخل الإسلام لم نجد فيمن قابلهم أبا حنيفة أو ابن حزم أو ابن تيمية أو ابن

خلدون وهو الرجل الذى عاش عمره يناطح صناديد وأئمة الفكر الفلسفى فى الحضارة الغربية ، إن تقديم المشروع الحضارى الإسلامى يستلزم استيعاب الأصول الفكرية والتشريعية للإسلام واستيعاب المتغيرات الفكرية والواقعية المعاصرة من أجل امتلاك القدرة على استخلاص الحلول من هذه الأصول لتلك المتغيرات، فهل وجد جارودى من يمتلك هذا فى كل المجالات؟

إننى لا أريد أن أفجر هنا الحديث عن أزمة الفكر الإسلامى المعاصر إن كان ـ إنصافا للحق ـ قد قدم هذا الفكر فى بعض المجالات كالمجال السياسى الكثير ولكننا لابد أن نعترف هنا بأن شحذ الجهود فى المجال السياسى أدَّى إلى التقاعس فى الكثير من المجالات الأخرى ومن ناحية ثانية فإن الفكر المؤسس سواء كان تابعا لأنظمة حاكمة أو كيانات سياسية محددة أدى إلى تطويق الفكر الإبداعى الحر ومن ثم تعويقه عن تقديم المشروع الفكرى الحضارى الذى يواكب المتغيرات الحادثة فى الواقع المعاصر والذى قد يختلف فى مضامينه مع

المضامين السياسية التى تحكم هذه المؤسسات .

إن الأمر كبير وخطير جدا ولا يناسبه هذا المقام لكن المستخلص من كل ذلك أن اتهام جارودى للحركات الإسلامية المعاصرة بعدم تقديم المشروع الحضارى البديل اتهام ظالم فى جانب كبير منه وحقيقى للغاية فى الجانب الآخر، ولكنه فى كلا الأمرين اتهام قائم على عدم استيعاب الضغوط الخطيرة التى يواجهها الفكر الإسلامى المعاصر وعدم الاستيعاب هذا يقابله عندنا عدم الاستيعاب لما وراء أطروحات جارودى الفكرية من غرابة وتجافى للكثير من الحقائق الإسلامية لأنه على أبسط تقدير فإن جارودى الآتى من الغرب لن ينجح فى تقديم ما لم ننجح فى تقديمه ما لم نستطع تقديمه نحن أهل الفكر الإسلامى .

إن سلفنا الصالح كانت تحكمهم قاعدة «إن القوم حديثو عهد بالإسلام » فى تحديد مواقفهم من الناس . أما نحن فلن نطالب هؤلاء الحديثى عهد بالإسلام بأكثر ما نطالب به أنفسنا، إننى لا أنكر ما فى الكثير من أراء جارودى من خروج فى مسائل

مثل مسألـة الحجـاب أو التقـارب مـا بين الأديـان أو هجـومـه القـاسى على بعض علماء المسلميـن دون التهوين من مـدى خطورة جرأته فى تناوله مثل تلك الأمـور، وهو الأمر الذى تدفعه إليـه ذاتيتـه وشعوره بـدوره الـرسـالي كـواحد من أفـذاذ الفكـر العالميين لكننـا إذا تجاوزنا ذلك نظـرنا فى رحلة تطـوره الفكرى حتى اهتدائه إلى الإسلام لأدركنـا أن جارودى وجد فى الإسلام الحل الحقيقى لتلك المعادلة التى جـاهد طوال عمره من أجل الوصول إلى حلها وهى العمل الدؤوب وصولا إلى الجمع بين الإيمـان ودفع الإنسـان إلى العمل مـن أجل تحقيق كينـونتـه الحقيقية فى هذا العالم وإنها المعـادلة التى حاول أن يجد حلا لها فى الجمع بين مـاركس وكيركجارد ولـم ينتج عنهـا الانسجام الحقيقى داخله أو حتى على المستوى الفلسفى فى فكره.

لـذلك فإننـا نجـد فى اهتدائه إلـى الإسلام تمثيـلا لـذروة الاجتهاد البشـرى من أجل الوصـول إلى الصيغة الفلسفيـة لما يجب أن يكـون عليـه الإنسـان وإن كانت الصـورة المعـاصـرة

للإنسان المسلم هى صورة مشوشة لما كان عليه منذ أربعة عشر قرنا، هكذا نستطيع أن نفهم جارودن .

محمد إبراهيم مبروك

حتى كتـابة سطـور هـذه المقابلـة كـانت تفـاعلات قضيـة «جارودى» لا تزال تستأثر باهتمام الصفحات الأولى فى صحافة فـرنسا وخـارجهـا بسبب ما أثـارتـه من جـدل وضع مرة أخـرى «مصداقية الإعلام» الغربى أمام اختبار دقيق وكشفت لكثير من الفرنسيين عن مدى خضوع الإعلام الغربى للدعاية الصهيونية . الحملة على «جارودى» بدأت مع نشر كتابه الخطير «**الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**» وهو الكتاب الـذى يكشف فيه جـارودى عن عدم صحـة كل ما قيل وكتب عن معـاناة اليهـود أثناء الاحتلال النازى وبشكل خاص لـروايات عن غرف الغاز . بمجرد ظهور الكتاب انبرى لـه اللوبى الصهيونى فى الإعلام الفـرنسى بحملـة مكثفـة من الهجـوم على «جـارودى» تتهمـه بالخرف والعداء للسـامية وتأييد ما فعله «هتلر» بـاليهود إلى آخر الإسطوانة المعهودة عند بروز أدنى شك فى التاريخ المروى عن اليهود . أو بالأحرى التاريخ الذى يرويه اليهود عن أنفسهم

والحقيقـة أن كتاب «جـارودى» كان يمكن أن يمـر دون أن يشعر بـه المواطن الفـرنسى ، خصوصـا وأن الكتاب طبع على

نفقه «جارودى» الشخصية، بعـد أن رفضت دور النشر المعروفة طبع الكتاب وتوزيعه ولكن الحـدث الفارق الذى ألهب القضية هـو انحياز الاب بيير الـراهب الفـرنسى العجوز الـذى يكن لـه الجمهـور الفـرنسى قـدرا كبيـرا من الحب والاحتـرام، لمـوقف «جارودى» وحقه فى التعبير عن آرائه . هنا استعرت الحملة على الاثنين . . فالذى يدعم «جارودى» هـذه المرة ليس رجلا عاديا بل هو راهب مسيحى يحظى منذ الخمسينيات بتقدير واسع من كل الفـرنسيين الذين يعـرفون مـواقفه الاجتمـاعية ونضـاله منـذ الخمسينيات من أجل الفقراء بلا مأوى والـذين تابعوه مرة أخرى ينتفض رغم ثقل أعـوامـه التسعين، بعـد أن رأى عشـرات من الفرنسيين يموتون على أرصفة باريس الباردة دون مأوى .

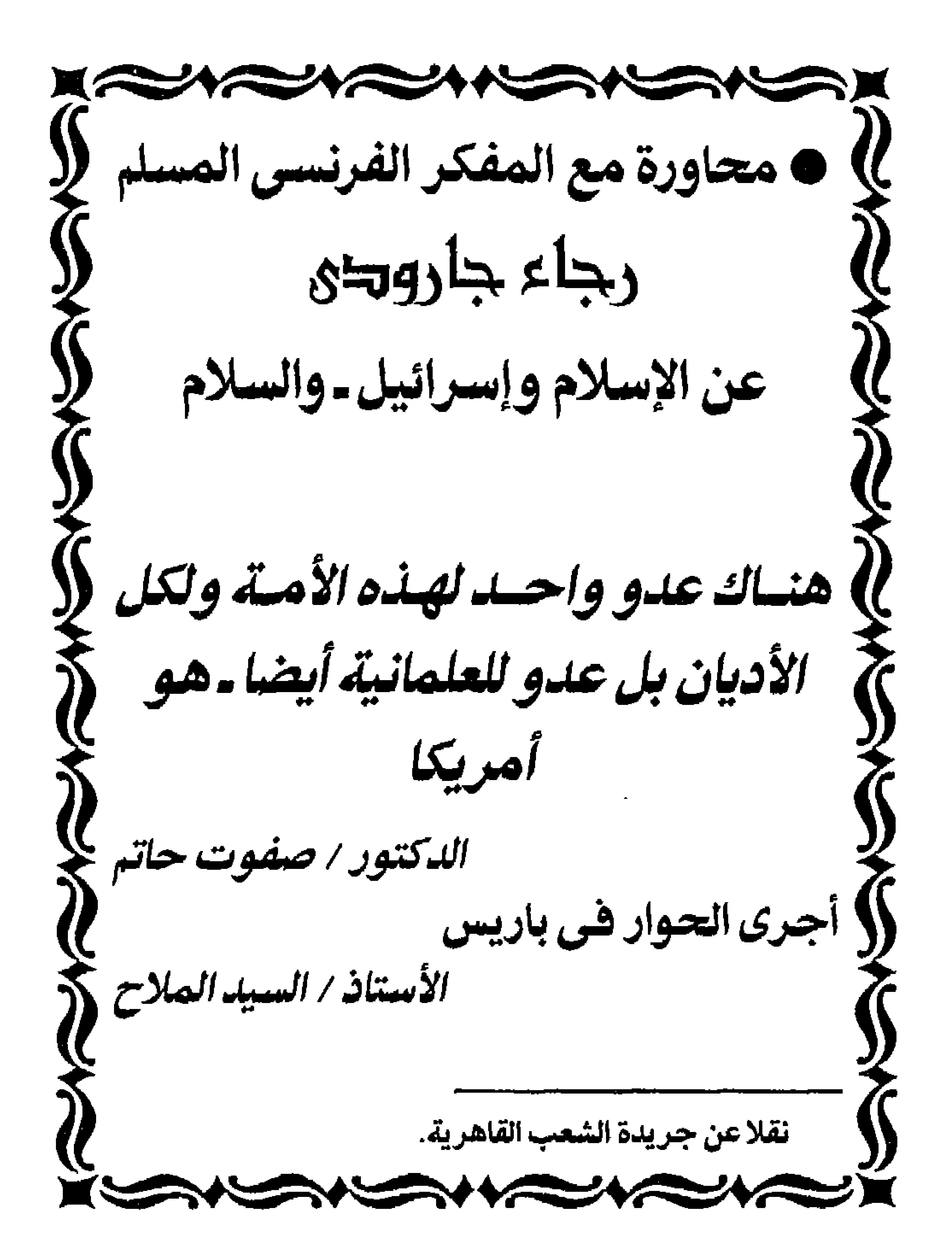
وعنـدما انفجـرت قضيـة «جارودى» أبى الـراهب المسيحى المنـاضل أن يتـرك صـديقـه «المسلم» جـارودى وحيـدا أمـام «اللوبى» الصهيـونى إزاء الحملة التى تعرض لهـا الاثنان . . لم يملك الأب بييـر إلا أن يعلق على هـذ الحملـة قـائلا: «إنهم سيتهموننا بالعداء للسامية وكراهية اليهود إذا قلنا إن مغنيًا يهوديا

يغنى بشكل سيىء» .

المهم أن الحصول على موعد مع «جارودى» لم يكن بالأمر الهين، فالرجل دائب النشاط ودائم الترحال من بلد إلى آخر يحاضر هنا وهناك رغم عمره الذى بدأ يقترب من الثمانين . وكان عوننا على تدبير هذا اللقاء مناضل عربى تونسى وصديق قديم لـ «جارودى» تطوع لتذليل المهمة وبشكل خاص مكان اللقاء فالمفكر الفرنسى لا يستطيع لقاءنا فى مكان عام بعد التهديدات بالقتل التى تلقاها بعد نشر كتابه الأخير الذى فيه لأسس السياسة الإسرائيلية .

تم الاتفاق على عقد اللقاء فى بيت «جارودى» إحدى ضواحى باريس ، واستقبلتنا زوجته بود «شرقى» وروح شرقية تلمحها فى كل أنحاء البيت ، بدءا من الحديقة الكبيرة المرتبة على النسق الأندلسى بالأوانى النحاسية الشرقية المتناثرة فى كل أركان البيت وعلى كل درجة من درجات السلم الذى قادنا إلى مكتب جارودى فى الدور العلوى ، حيث استقبلنا « جارودى» بابتسامة كبيرة بعد أن قدم كرسى مكتبه لـ «السيد الملاح»

قـائلا : « تفضل ستكون أنت عميـد هذه الجلسـة» ليستقر هـو على كرسى فوتيه «عريض» مستأذنا فى رفع قدميه ، فوق كرسى صغير شديد الانخفاض نظـر إلى إصابته بجلطات فى الساقين لا تمكنه من الجلوس طويلا وفيما يلى أهم ما جرى فى اللقاء .



● محاورة مع المفكر الفرنسى المسلم

رجاء جارودى

عن الإسلام وإسرائيل - والسلام

هنـاك عدو واحـد لهذه الأمـة ولكل الأديان بل عدو للعلمانية أيضا - هو أمريكا

الدكتور / صفوت حاتم

أجرى الحوار فى باريس

الأستاذ / السيد الملاح

نقلا عن جريدة الشعب القاهرية.

افتتح «جـارودى» اللقاء بذكـريات دافئـة عن زيارتـه الأولى لمصـر عـام ١٩٦٧ لقـائه بـالمثقفين المصـريين فى جـريـدة «الأهرام» ثم لقائه الرئيس بالراحل «**جمال عبد الناصر** » بصحبة الكاتـب الكبير «محمد حسنين هيكـل » وروى لنا كيف قـال له الرئيس **عبد الناصر**: إنه لولا وجوده هو شخصيا فى السلطة لكان هيكل قد استقر فى السجن لجرأة ما يكتبه . .

ومن جانبنـا أثرنـا أن نقدم أنفسنا للمفكـر الكبير بـالتعريف بنشـاط «حزب العمل» التيـارات الفكـرية المشكلـة له وتطـوره السيـاسى ولجريـدة «الشعب » ومـا تـمثله فى الحيـاة السياسيـة المصرية .

ثم بدأنا حوارنا بالسـؤال المتوقع : السيد روجيه جارودى قد يكـــون من المفيـد أن نسمـع منكم شخصيـا كيـف التقيتم مع الإسلام؟

الإسلام أنقذ حياتى

جواب : لقائى الأول مع الإسلام كان ذا طابع عجيب ، وأدين له بحياتى ، فقد حدث أثنـاء إقامتى فى الجزائر أن وقع تمرد فى

المعسكر الفرنسى الـذى أخدم به آنذاك . أصـدر على أثره قائد المعسكر أمـرا بإطلاق النـاس علىَّ وكان المنـوط به تنفيـذ هذا الأمر سرية من الجنود المسلمين الذين رفضوا تنفيذ هذا الأمر. . وعندمـا سألت قائد السريـة الجزائرى عن سبب تصـرف هؤلاء الجنود . . أجـابنى بأنـه لا يوجد سبـب و إنما الشرف العـربى يأبى أن يطلق رجل مسلح النـاس على رجل أعـزل . . وأعتـرف لكم بأنهـا كـانت المرة الأولـى التى أعرف فيهـا معنى «الشـرفْ العسكرى» بهذا الشكل ... وبفضل هـذا الشرف أنقذت حياتى وأنـا فى سن الثـامنـة والعشـرين بعـد أن أمـر القـائد الفـرنسى بإهدارها .

لقـائى الثـانى مع الإسـلام كـــان بعـد إطـلاق سـراحى من معسكرات النـازى . . وقد بدأ اهتمامـى أولا بالثقافة الإسـلامية وليس بـالدين الإسـلامى وكان أول أعمالـى هو المحاضـرة عن «دور الثقافة الإسلامية فى الثقافة العالمية» عام ١٩٤٦ فى مدينة الجزائر قـرر على إثرهـا الجنوال «مـاس » طردى من الجـــزائر بتهمة «الترويـج لدعاية ناهضـة لفرنسا» ... هل تعـرفون لماذا؟ لأننى اقتطفت فى هـذه المحاضـرة مقولة لــ «أناتـول فرانس»

يقول فيها : إن أسـود عام فى التاريخ الأوروبى هـو العام الذى حدثت فيه معركة بواتييه التى اندحرت فيها الحضارة العربية أمام البربـرية الفرنسية . . ولقـد اندهشت حين أخبرنى الـرئيس عبد الناصر حينما قابلتـه عام ١٩٦٧ فإن الضباط الأحرار المصريين ترجموا هذه المحـاضرة فيما بعد وكانوا يتداولـونها ... هكذا كان اهتمـامى أولا بـالثقـافـة الإسـلاميـة وكل كتبى التى كتبتهـا عن الإسلام كتبتهـا قبل أن أعتنق الإسلام فكتبت «الإسـلام يسكن مستقبلنا» وكتـاب «وعود الإسـلام» إلى آخره ، لم أكـن مسلما ولكن كان لـدى إلمام كبير بالثقـافة الإسلاميـة وبشكل خاص الفكر الصـوفى والصوفيين الأوائل وهـو بالفكر الـذى استهوانى كثيرا ولا يـزال يستهوينى حتى هذه اللحظـة ، إن قرطبة عـاصمة الخلافـة فى إسبانيا أكبـر شاهـد على هذه الثقافـة التى لا تزال تجذب مئات الآلاف إليها كل عام . . مائة ألف زائر كل عام .

لاتزال الثقافة الإسلامية تجذب مئات الألوف

لقد كـانت قرطبة بحق هى عـاصمة الثقافة فى أوربـا . . خذ مثـلا الجـراحة ، لقـد عـرفت أعظم الجـراحين فى العمليـات

الجراحية والولادية وعمليات العيون ... إن كل الأدوات الجراحية التى استعملت فيما بعد فى كل جامعات أوروبا فى لندن وباريس وباليرمو ومونبلييه وكتبهم فى الطب كانت هى المراجع المعتمدة فى كل معاهد الطب فى أوروبا ونفس الشىء فى الرياضيات والفلك وكل العلوم كالبصريات والضوء مع ابن الهيثم الذى كان يعيش فى مصر وكل هؤلاء الذين طوروا المناهج والتجارب العلمية .

باختصار ما يسمى بـ «الغزو العربى» لم يكن غزوا عسكريا وإنما هو فتح للحضارة والثقافة أو إذا أردت الدقة «ثورة ثقافية» ... وإنه لمن دواعى سعادتى أننى أسمع ملك إسبانيا الحالى «خوان كارلوس» يردد مقولة «إن فترة الخلافة الإسلامية هى فترة عظيمة فى التاريخ الإسبانى». وإن كانت الحقيقة تتطلب القول: إنها حقبة عظيمة فى التاريخ الأوربى كله.

هذا هو المظهر الثانى الذى جذبنى إلى الإسلام ، المظهر العلمى والثقافى.

المظهر الثالث الذى جذبنى إلى الإسلام هو جانبه الروحى

والصوفى وأنا دارس بشكل خاص للفكر الفلسفى الصوفى وقد كتبت أكثر من مرة أن الإسلام هو الذى أدخل مفهوم «وحدة العالم» مفهوم «الواحد الكلى» ... وهكذا أصبحت مسلما تدرجت من الإعجاب بالثقافة الإسلامية إلى «روحية الإسلام» ...

الإسلام فى خدمة الإنسان وليس لتدميره

إن ما يدهش الإنسان فى الثقافة الإسلامية وما يدهشنى أنا بشكل خاص أن الثقافة والعلم فى الإسلام كانتا دوما لخدمة الإنسان وليس لتدميره. . إن المناهج التجريبية والبحث العلمى والكشف الفلسفى الذى كان موجودا فى قرطبة كان لخدمة الإنسان وهدفها الأساسى البحث عن الحكمة وتطور الإنسان. على العكس من الحضارة الغربية التى تستخدم العلم لتدمير الإنسان كما فى اكتشاف الذرة والقنابل النووية ، الغرب كان دوما هكذا. . بينما العرب قدَّموا مفهوما آخر للعلم مفهوما يربط بين العلم والحكمة.

العلم ضالة المسلم

الشيء الثالث الذى يعطى الإسلام تفرده الخلاق هو أن الإسلام يرى أن العلم فى بحثه عن السببية . . لم يكن يعطى الأولوية لـ «السببية» المادية . كما أن الحكمة فى بحثها عن الوحى «النهائى» لم تعتبر نفسها «نهائية» ومن ثم كان «الإيمان . كان هناك حدود للعقل كما أن الإيمان لم يكن حدًّا للعقل ، على العكس كان الإيمان دافعا للعقل من دون حدود ... هذا هو الذى أعطى لجامعة قرطبة تفردها الخلاق .

الشيء الرابع هو ديمقراطية الثقافة التى انتهجها الإسلام فبعد اختراع الورق وأخذه عن الصينيين ثم تصنيعه فى دمشق ثم فى قرطبة ، فبعد الورق ثم تعميم الثقافة ولم تكن مقصورة على فئة معينة .

الديمقراطية الاجتماعية فى الإسلام

ثم هناك أيضا الديمقراطية الاجتماعية . . فأنا قرأت ماركس منذ عام ١٩٣٣ ، ما جذبنى فى ماركس ليس فلسفته ولكن منهجيته فى فهم «المبادرة الإنسانية» وعندما كنت أقول آنذاك : إننى مسيحى وماركسى كانوا يتهموننى بالجنون .

فى تاريخ الرأسمالية هناك منظران أساسيان آدم سميث وكارل ماركس كل منهما حلل الرأسمالية على طريقته. . والآن وبعد قرنين من الرأسمالية وصلنا إلى نتيجتين متناقضتين. . إن ماركس الذى درس جيدا آدم سميث وأعجب به قال إن الرأسمالية. . تصنع ثراء واسعا وتقدما تكنولوجيا هائلا ولكنها ستخلق ظلما اجتماعيا واغترابا للإنسان. . والآن من كان على حق آدم سميث أم كارل ماركس؟ بالتأكيد كارل ماركس...

خذ مثلا الشمال والجنوب. . إن ٨٠ ٪ من المصادر الطبيعية موجودة فى الجنوب ولكن هذه الثروة مسيطر عليها ومستهلكة من قبل ٢٠ ٪ فقط فى الشمال والنتيجة الطبيعية لكل هذا أن ٤٥ مليون إنسان يموتون من الجوع أو سوء التغذية. . وطبقا لإحصاءات اليونيسيف هناك بينهم ١٥ مليون طفل. . هذا يعنى أن النمو على طريقة آدم سميث والفكر الليبرالى الذى يتبناه الليبراليون يعنى أن نموذج النمو الغربى يكلف بلدان العالم الثالث «هيروشيما» كل يومين. هل تصدق كل يومين. هذا يفسر لك لماذا كنت ماركسيا.

الإسلام دين الحوار

الشيء الأخير الذى جعلنى مسلما ، قلت من قبل الأسباب الثقافية والغلمية ، ولكن كان هناك شيء آخر يدهشنى فى الإسلام ، فعندما ترى اليهودية ترفض المسيح نبيًّا ، وترى المسيحية ترفض محمدا نبيا ، تجد الإسلام يعترف بأنبياء كل هذه الأديان . . على عكس ما يروجونه هنا من أن الإسلام منغلق ، تجد أن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى يتحاور مع الأديان الآخرى ويقبلها . دليل على ذلك أننى عندما انتقدت المتشددين المسيحيين فى كتابى «هل نحن محتاجون إلى الله» وعندما انتقدت المتشددين المسلمين والذين سميتهم مرضى الإسلام ، كان ذلك انتقاداً وبقى فى حدود الانتقاد دون أن يحدث أى شيء ، ولكن عندما انتقدت المتشددين اليهود والسياسة الإسرائيلية ، استدعوا البوليس (ضحك) .

لم تكن مناظرة حرة يبينون لى فيها ما إذا كنت على حق أو خطأ لا ، لم يكن الأمر كذلك استدعوا البوليس لهذا الكاتب ورفضوا الحوار.

أحد هـؤلاء كتب فى صحيفـة «اللومـوند» يقول : إنـه يجب عدم الحوار مع أشخـاص من هذا النوع ، إنك إذا أعطيتهم حق الكـلام فسيكسبـوننا مقـدمـا . . أى اعتـراف!! مرورا بـالتأكيـد بتهـديـدات حقيقيـة بـالمـوت ، ولكننى قلت ردا علـى هـذه التهـديدات : إذا كنتم تـريدون قتلى لإسكـاتى فهذا يثبت عـدم قـدرتكم على إعطاء الحجـة والـرد على ، إنكم توقعـون بقتلى على فشلكم!! .

لماذا تراجع الإسلام؟

والسؤال الآن : لماذا لا يلعب الإسلام الـدور المأمول منه ؟ ذلك يتطلب منا العودة إلى الأعـوام الأولى للهجرة وكيف انتصر المسلمـون العرب على الامبـراطـورية الفـارسيـة؟! لقد انتصـر العرب لأنهم استطـاعوا أولا تحقيق ثـورة اجتماعيـة عندمـا قرر القرآن أن المال مـال الله والبشر مستخلفون فيه ولا تـوجد ملكية لإنسان ، الإنسان يدير هذا المال دون أن يملكه بل يحصل عليه بالعمل .

لماذا تراجع الإسلام إذن؟ تراجع المسلمـون عندما تغاضوا

عن كل هذه الفضائل التى جاء بها الإسلام والتى تكلمت عنها .
وكما يقول صديقى الفيزيائى المسلم «عبده سلام» إن القرآن يحتوى على ثلاثمائة وثلاث وخمسين مرة الدعوة إلى المبادرة الإنسانية أى أن هناك مغزى وهو تشجيع الإنسان على الاجتهاد، وهو الأمر الذى كان معمولا به . خذ مثلا : « أبا حنيفة أو الشافعى» هذان العبقريان عندما عاشا فى مجتمعات متغايرة ، أظهرا كيف يمكن أن يتغير اجتهادهما .

إن الشريعة تم تحديدها بشكل كامل ، لذلك ترى فى القرآن كيف يتحدث الله للرسول قائلا له : إنه شرع له شرعة إبراهيم وموسى وعيسى أى كل الأديان السماوية ، أى أن الشريعة كما يحددها القرآن هى واحدة فى كل الأديان السماوية أى أن هذه الشريعة هى المحدد الوحيد لكل شروط الاجتماع الإنسانى الله وحده يعلم، الله وحده المشرِّع ، الله وحده يملك » هذه المفاهيم الثلاثة لا يمكن أن يفلت منها أى مجتمع .

ويجب التفكير والاجتهاد وعملنا كمسلمين هو أن نجتهد فى تطبيق الشريعة ، كما كان يجتهد العباقرة الأوائل كأبى حنيفة أو الشافعى ، إن دور المسلم الآن هو تأسيس «فكر إسلامى »

للقرن العشـرين أو الحادى والعشرين كما فعلـوا هم ، إن دورنا هو تقليـد «القدوة » وليس تقليـد فتاواهـم . . إننـا لا نستطيع أن نجـد لديهم حـلا لمشاكل الطـاقة النـووية ولا إدارة البنـوك ولا وضعية المرأة الحالية . إذن من المبادئ المقدسة يجب أن نجد طريقنـا فى فهم مجتمع معين ولحظـة تاريخيـة معينة ، هـذا يا صـديقى هـو السبب فى تـراجع الإسـلام . . لهـذا قلت : إن التشدد الإسلامى المتطرف ليس سـوى مرض إسلامى عنـدما نخلط بين الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامى أى عندما نخلط بين القوانين المقدسة وبين التطبيقات التاريخية .

ما هدانى للإسلام

أنه يوظف العلم والثقافة لخدمة الإنسان وليس لتدميره على عكس ما تفعله الحضارة الغربية..

* سـؤال : السيـد روجيـه جـارودى : كيف تفسـر الحملـة العالمية لتشويه الإسلام بوصفه مرة بالتشدد والرجعية ومرة أخرى بالإرهاب . . إلى آخر بقية الاتهامات؟

جواب : منذ الحملة الصليبية وهناك تشـويه للإسلام لايزال

قائما حتى هـذه اللحظة . خذ مثلا الأندلس لقـد أسموه «الغزو الإسلامى» ، وبالنسبة إلى فرنسا هناك حرب الجزائر ولعلمك لا يزال بعض الفرنسيين يعتقد أن الحروب الصليبية وحرب الجزائر لم تنته بعد ... والمسلم لأنه فقط مسلم يعتبر عدوا . . من قبل كان العدو هو الاتحاد السوفيتى والشيوعية . . الآن لم يعد هناك شيوعيـة ، كيف ينبغى إذن تبرير كل هـذا السباق على التسلح إنه الإسلام .

* سـؤال : هل تعنـى أن العـداء لـلإســلام أصبح ضـرورة أيديولوجية للغرب؟

تشويه الإسلام ضرورة اقتصادية غربية للتسلح والسيطرة العالمية.

جواب : إنه ضرورة أكثر من أيديولوجية . . إنه أيضا ضرورة اقتصادية لضمان دوران آلة الحرب والتسلح والسيطرة العالمية ، إننا ننتج سلاحا الآن أكثر مما كنا ننتج أثناء حقبة الحرب الباردة عندما كـان العدو هو الاتحاد السوفيتى ، إن الـولايات المتحدة الأمريكيـة تنتج سلاحـا الآن أكثر مما كـانت تنتجه أثنـاء حرب

الخيلج . يجب البحث عن شيطان ، والشيطان الآن هو الإسلام كما كانت الشيوعية من قبل ، الإسلام هو العدو الآن . وكما سجنت فى الماضى لمدة ثلاث سنوات لمجرد أننى شيوعى بدعوى الإضرار بمصلحة الأمة ، نفس الأمر يتكرر الآن بالنسبة المسلمين .

ولكن هناك شيء أود أن أنبه إليه خاص بالأصوليين الإسلاميين . هناك نقطة ضعف فى فكرهم . إننى لست مطلعا بشكل جيد على أحوال الحركة الإسلامية فى مصر ولكننى مطلع جيدا على الحركة الإسلامية فى الجزائر وعندما أرسل إلىَّ الرئس أحمد بن بيلا برنامج جبهة الإنقاذ الإسلامية لاحظت أنه برنامج جيد على مستوى الرفض : يقولون مثلا : إننا نرفض الهيمنة الفرنسية وهم على حق ، يقولون : إننا نرفض الهيمنة الأمريكية ، وهم على حق ، يقولون : إننا نرفض أوامر البنك الدولى ، وهم على حق . . ولكن للأسف لم أجد شيئا إيجابيا فى البرنامج ، والانتقادات جيدة ولكن لا يوجد مشروع للمستقبل . . ما الذى سيفعلونه مثلا لحل مشكلة البطالة؟ ما

الذى سيفعلونه لحل مشكلة السكن؟ ـ وهى مشكلة خطيرة فى الجزائر ـ نقط الضعف تلك تقلل من قوتهم. ليس كافيا أن نردد الإسلام . . الإسلام . . كما لو كانت كلمة سحرية ستحل كل المشاكل . إن الأمر يتطلب التفكير والاجتهاد، والإسلام يدعو إلى التفكير والاجتهاد. الإسلام يبين كيف نبنى مجتمعا متوائما مع شريعة الله .

* سؤال : نعود إلى موضوع كتابك عن إسرائيل ... ما الذى دعاك إلى كتابة هذا الكتاب ذى الطابع السياسى فى هذا الوقت؟

** جواب : ليس هذا أمرا جديدا علىَّ ، فلقد كتبت منذ كثر من خمسة عشر عاما كتاب «القضية الإسرائيلية، ولم أكن قد اعتنقت الإسلام بعد، ثم كتبت بعد ذلك، وبعد أن اعتنقت الإسلام، مؤلفى «فلسطين أرض الرسالات » ثم كان كتابى الأخير عن السياسة الإسرائيلية ، لماذا كان هذا الكتاب الأخير؟ سأقول لك لقد بدأت مشروعا نقديا عن التشدد الدينى . لقد انتقدت التشدد الدينى للبابا فى كتابى «هل نحن محتاجون إلى الله » والذى كتب مقدمته الأب « بيير» .

ثم انتهيت من كتابى «موقع ورحابة الإسلام» الذى سيصدر هذا الأسبوع والذى أنتقد فيه الاصوليين الإسلاميين الذين لا يحملون مشروعا للمستقبل ثم جاء الدور على المتشددين الإسرائيليين ، وهو ليس نقدا دينيا ، بالنسبة لنقدى للإسلام فأنا اعتبر نفسى منتقدا من داخله وبالنسبة لإسرائيل انتقدت السياسة الإسرائيلية وعلى المستوى السياسى المحض ، وأنا اعتبر نقدى للسياسة الإسرائيلية يدخل فى باب الانتقاد للسياسة الأمريكية فإسرائيل ليست سوى ذراع لأمريكا تولت بدلا عنها إشعال خمسة حروب فى الشرق الأوسط بغرض إدماج كل دول الشرق الأوسط فى السياسة الأمريكية وللأسف الشديد هذه السياسة تلقى تأييد بعض الزعماء العرب .

* سؤال : كيف تفسر صمت المثقفين الفرنسيين إزاء الحملة التى تتعرض لها خصوصا وأن هؤلاء المثقفين انتقضوا من أجل حرية التعبير عندما أثيرت قضية سلمان رشدى منذ عدة سنوات؟

** جواب : إننى لا أعتقد أن سبب ذلك هو الجبن ولكن

أعتقـد أن المثقفن الشـرفاء لا يملكـون القـدرة على النفـاذ إلى وسائل الإعلام بسبب النفوذ الصهيونى ...

* سؤال : الغرب يرفع شعار الـديمقراطية ولكن عندما تأتى الديمقـراطية بـالإسلاميين فهو يتنكـر لها ، هل الغـرب حريص فعلا على شيوع الديمقراطية فى البلدان الإسلامية؟

لا توجد ديمقراطية فى الغرب

** جواب : أولا لا يـوجد هناك شىء اسمه ديمقـراطية فى الغرب . إن الديمقـراطية «الأثينية » كانت ديمقـراطية العشرين ألف سيد فى مواجهة مائة ألف من العبيد الذين لم يكن لهم أى حقوق .

المثال الثانى الولايات المتحـدة الأمريكية التى أعلنت ميثاقا لحقـوق الإنســان والمـواطن عنـد الاستقــلال وأن كل البشـر متسـاوون أمـام الله ولكنهـا أبقت مـائة عـام على نظـام العبيـد للزنوج ، فالديمقراطية كانت إذن للبيض وليست للسود .

ميثاق حقـوق الإنسان الفـرنسى : كل البشر متسـاوون أمام القانون ، بينما الدستـور يقول : إن من شروط الترشيح أن تكون

مالكـا ثروة معينة ، أى إنها ديمقـراطية للأغنيـاء وليست للفقراء لـذلك ليس عجيبا أن يكتب فيلسـوف كبير من فـلاسفة الثـورة الفرنسية هو «ديدرو» إن المواطن هو فقط من يملك .

ثـم خذ أيضـا بلدا يعتبر نفسـه بلد الديمقراطيـة الأول يعترف رئيسه «كلينتون» أن ١ ٪ من الأمريكـان يملكون ٤٠٪ من الثروة القـوميـة وهـو تقـريبـا نفس الشـىء فى فـرنسـا . أين هى إذن الديمقـراطية؟ أين الـديمقراطيـة لعاطل عن العمـل ؟ إن ميثاق حقوق الإنسان العالمي عـام ١٩٤٨ يقول : إن البشر لهم الحق فى العمل ، ولكن يوجد ٣ مـلايين متعطل عن العمل فى فرنسا على الورق لدى الحق فى العمل ولكن لا يوجد عمل .

إن القـانون يعـاقب على سـرقة الخبـز، يعـاقب الملياردير ويعـاقب العـاطل عن العمل . كل النـاس لهم الحق فى شـراء صحيفة أو تلفـزيون ولكن هناك المليـاردير وهنـاك العاطل عن العمل لهما حقوق على الورق ولكن ليس لها أى محتوى فعلى . هذه هى الـديمقراطية ، كل الديمقـراطيين هنا نادوا بديمقـراطية وانتخابـات حرة فى الجـزائر ، وقد كان حـدثت انتخابـات حرة

ولكنها جاءت على غير هواهم، وحصلت جبهة الإنقاذ على المقدمة ، وهنا أوقفوا العملية الانتخابية ثم قبل كل هؤلاء الديمقراطيين بالديكتاتورية العسكرية .

* سؤال : الإسلام السياسى يتخذ أشكالا متعددة فى السودان أو إيران أو تركيا . فى مصر الإسلاميون قدموا أيديهم للتيارات الأخرى كالناصريين واليساريين الآخرين فاستجاب لهذه الدعوة النصاريون وبعض فئات اليسار ولم يستجب لها العلمانيون وفضلوا التعاون مع قوم اليمين الأخرى بدعوى أن الخطر الأساسى هو خطر الإسلاميين. ما رأيكم فى هذا الموقف؟

على اليمين واليسار أن يتحدا ضد الهيمنة الأمريكية.

** جواب : الحقيقة أنه ليس لدى إلمام كاف بتضاريس الحركة السياسية المصرية، ولكن فيما يخصنى أنا أعتقد أن الأمر لم يعد أمر يمين ويسار أو علمانيين ومتدينين المسألة الأساسية : هل نحن مع الهيمنة الأمريكية أو ضدها؟ إن الشيء الذى يجب الاتفاق عليه هو الوقوف أمام الهيمنة الأمريكية .

أثناء الاحتلال النـازى لفرنسا لم يكن هناك يمين ويسـار وعندما عارض الكثيـرون معاهدة «مـاستريخت» كان بجـانبى الجنرال «جالوا» وهو رجل ديجـولى وطنى من اليمين وساهم فى تحرير فرنسا وتـذكرت أنه أثناء الاحتـلال النازى لم يكن هناك يمين ويسار، كنت أنا مسجـونا فى سجون النازى وكـان هو طيار من قوات ديجول .

المسألـة الآن ليست العلمـانيـة أو الإسـلام وليست اليمين واليسار، هنـاك المصلحة العليـا للأمة وهنـاك عدو لهـذه الأمة ولكل الأديان بل وعـدو للعلمانية أيضـا هو أمريكـا ، وكفرنسى ودون تـدخل فى الشـؤون المصريـة ، إن الشىء الـذى يجب أن يلحم الجميع هـو النضال أمـام العـدو الواحـد، النضال ضـد الهيمنة الأمريكية .

* سـؤال بعد الإعـلان عن نجـاح الليكـود فى الانتخابـات الإسرائيلية ، . . كيف ترى مستقبل عملية السلام؟

الانتخابات الإسرائيلية كانت بين قاتلين

** جـواب أولا: ليس هـذا سـلاما ، سيكـون هنـاك سـلام

عندما يخضع كل الأطراف للقانون الدولى، ولكن دولة إسرائيل كانت دوما خارج القانون الدولى، ودافيد بن غوريون قال ذات يوم عندما كان هناك حديث عن التقسيم : إن القانون الدولى ليس سوى خرقة من الورق لذلك فأنا لا أعتقد فى هذا السلام، يمكن الحديث حقا عن السلام عندما يتم إخلاء المستوطنات الإسرائيلية بالكامل، والفلسطينيون لم يستفيدوا سوى ٦ ٪ من أراضيهم، ومهندس هذه المستوطنات هو الجنرال أريل شارون مجرم صبرا وشاتيلا هذا المجرم هو الذى نفذ أتوستراد يربط المستوطنات بعضها ببعض ويعزل القرى الفلسطينية إلى «بانتوستان» كما فى جنوب أفريقيا، لا يوجد سلام ما دامت القدس ليست للجميع، سواء باقتسامها كما كانت من قبل أو وفق وضعية دولية لكل الأديان، ليس هناك سلام إذن. إن الانتخابات الإسرائيلية كانت اختيارا بين قاتلين : السيد شيمون بيريز مجرم مذبحة قانا، والسيد بنيامين نتنياهو والذى نظرا، لصغر سنه لم يشارك بعد فى أى مذابح وإن كان هو الوريث الشرعى لمذابح بيجين وشامير اللذين اعتبرهما مجرمى حرب

منذ كفر قاسم ودير ياسين ومنذ مشروع شامير بالتحالف مع هتلر.

إن الاختيـــــار بين الاثنين هو اختيار بين منافق وبين كارثة.

* سؤال : سيد جارودى : هل تعتقدون أن حياتكم معرضة فعلا للخطر وهل هناك تهديدات فعلية على حياتكم؟

** جواب : نعم هناك تهديدات وهناك تحريض بالقتل ويمكن أن يتعدى أمر التهديد إلى التنفيذ الفعلى.

* سؤال : هل تأخذ السلطات الفرنسية هذه التهديدات محمل الجد وهل عرضت حمايتك؟

** جواب : على أى حال ليس معقولا أن أطلب من البوليس الفرنسى حمايتى.

* سيد جارودى : نشكرك على هذا الحوار الشجاع ونتمنى لك دوام التوفيق والنجاح فى نضالك الشجاع وقلوبنا معك.

«نقلا من جريدة الشعب عدد الجمعة ٢٨/ ٦/ ١٩٩٦م»

«شعراوى» فرنسا الذى تكرهه إسرائيل ويطارده اليهود



الأب «بيير» الذى يبلغ من العمر ٧٥ عاما والذى كرَّس وقته وعمره لمساعدة المحتاجين ومجابهة الظلم والبحث المضنى عن العدل الاجتماعى والذى بلغت شعبيته حد القداسة فى فرنسا، لم يستطع أن يتحمل هجوما شرسا قادته ما تسمى بـ «منظمات السامية» الفرنسية ضده فى الفترة الأخيرة بسبب وقوفه بجانب صديقه المفكر «روجيه جارودى» مؤلف

«الأساطيرا لمؤسسة للسياسة الإسرائيلية» الذى نفى فيها أسطورة حرق اليهود فى محارق النازى ، فقرر الأب بيير أن يترك وراءه كل مجده وشعبيته وأن يبتعد عن بلده فرنسا إلى إحدى دور العبادة المنعزلة فى إيطاليا فى محاولة لتضميد جراح غدر الزمن ونكران الجميل الذى عانى منه . شعبية الأب بيير الإعلامية التى توازى هنا شعبية الشيخ الشعراوى . بدأت منذ عام ١٩٥٤ وظل الأب بيير وجها من الوجوه الأعلامية و«النجومية» شديدة التأثير وظل هو شديد الانشغال أيضا بكل ما هو إنسانى .

لكن الوسائل الإعلامية فى فرنسا لم تنظر لشيخوخته ولم تذكر كل تضحياته . . وبدأت تطالب بتقاعده وتهدده بأقصى التهديدات . بعد إعلان تأييده «لروجيه جارودى» الأمر الذى اعتبرته وسائل الأعلام أحد «تخاريف » القس العجوز.

غير أن هذا القس العجوز لم يستسلم وبدأ فى هجوم مضاد ففى حديث له فى جريدة «لومتان » السويسرية قال الأب بيير : يجب أن تكون لدينا القدرة لكى نرى الحقيقة ونكشف المغالطات التى تم حشو عقولنا بها بما فى ذلك أن ضحايا هتلر

ليسوا فقط اليهـود ولكن هناك ٥٠ مليون إنسان سقطـوا ولا أحد يتكلم أو يسمح لـه بـالكـلام إلا عن اليهـود فقط !! وفى هـذا السياق أشار الأب بيير إلى نفوذ الحركة الصهيونيـة العالمية فى الغـرب وفى وسـائل الإعـلام علـى نحـو خـاص وأعطى مثـلا بالحملـة المنسقة ضده وضـد جارودى وتساءل بسخـرية إن لم تكن هذه الحملة بإيحـاء وتوجيه مباشر من الحركـة الصهيونية فهل تكون الشياطين هى المسئولة؟!

أما القنبلـة المدوية التى قـذف بها الأب بيير فى وجـه هؤلاء الذين أجبروه على هجرة وطنه فقد تمثلت فى قوله : « إن العهد القـديم يخبرنـا بأن اليهـود أنفسهم ارتكبوا مـذابح عـرقية بشعـة شبيهة بمحارق النـازى التى يتحدثون عنها وذلك عنـدما دخلوا فلسطين فى القرنين الثانى والحادى عشر قبل الميلاد!!

●*●*●*●

«الفهرس»

الموضوع	الصفحة
تعقيب	٢١٧
ـ جارودى يلملم خيوط الشمس تحت سماء القاهرة	
بقلم/ حمدان جعفر	٢٢٥
ـ رحلة جارودى وماذا أنتجت	
بقلم المستشار سعيد الجمل	٢٣١
ـ محاضرات جارودى ومحاوراته فى القاهرة	
أعدها/ مصطفى عبد الرازق	٢٤٧
ـ محاضرة جارودى مع أساتذة وطلاب جامعة عين شمس ..	٢٥٥
ـ لقاء جارودى مع المثقفين والمفكرين المصرين	٢٧٧
ـ لقاء جارودى فى مكتبة القاهرة	٢٩٧
ـ محاضرة المفكر الفرنسى الكبير روجيه جارودى حول	
« الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»	٣٠٧
ـ جندى حماية البترول فى الشرق الأوسط	٣٢٤
ـ التشدد الديني وأسطورة « اليهودية المسيحية » حرب عالمية جديدة	٣٢٩
برنامج عملى ١ ـ بالنسبة للعالم الثالث باندونج جديدة	٣٤٣
ـ المقال الذى كتبه الكاتب الكبير سعد الدين وهبة بجريدة الأهرام تحت عنوان «إسرائيل عارية»	٣٥١
ـ كيف نفهم موقف جارودى ؟ بقلم *محمد إبراهيم مبروك* ...	٣٧٣



صدر من هذه السلسلة

اسم الكتاب	المؤلف
١- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية	رجاء جارودي
طبع ٧ طبعات ونفدت في الحال	
٢- د. جمال حمدان - صفحات من أوراقه الخاصة	الدكتور جمال حمدان
٣- آليات الاختراق الإسرائيلي للمنطقة العربية	الكتب الصحفي: مصطفى عبد الرازق
٤- المسكوت عنه في مذبحة «قانا» والهجوم الأميركي على بطرس غالي	دراسه للدكتور عبد الحميد صالح حمدان

طبع بمطـــابع

دار الغــد العربى

٣ شارع دانش ـ العباسية ـ القاهرة

ت : ٢٩٧٣٨٧٠ ـ ٢٨٥٦١٢٢



هذا الكتاب

جارودى.. شاهد على العصر

بعد أن أصدرت «**دار الغد العربى**» (٧) سبع طبعات من كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الأسرائيلية» الذى أحدث دويًا هائلاً على مستوى العالم كله وقد نفدت هذه الطبعات فى القاهرة وعلى مستوى العالم كله . . .

وكان لابد أن يحضر جارودى إلى القاهرة التى فتحت قلبها وذراعيها لفكره وكفاحه من أجل الحق . . لأن مصر بلد الحرية ترحب بهذا المفكر العملاق .

ويسعد «**دار الغد العربى**» أن تقدم هذه الطبعة الشعبية التى تقع فى ٤١٣ صفحه وهى تحتوى على كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ومحاورات جارودى فى القاهرة التى ناقش فيها مثقفى مصر ومبدعيها . . وقال فكره بكل حرية ووضوح . . .

إن الأساطير والحوارات كُلٌّ لا يتجزأ . . وهو يعرى حقيقة الضهيونية وادعاءاتها الكاذبة . . ويجعلها أمام العالم عارية بلارتو

إنه كتاب كل عربى فى الوطن العربى او عربيًا مغترباً العالم أجمع .

الناشر

حمدان جعفر

الثمن ٤ جنيهات